الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري - قسنطينة -

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

رقم التسلسل: ....

رقم التسجيل: ....

مهام مفتديي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي

تقديم الطالبة:

حفيظة خشمون

تحت إشراف:

الأستاذ الدكتور/ كمال فيلالي

أعضاء لجنة المناقشة:

تاريخ المناقشة: ....

	الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
01	عبد الكريم بوصفصاف	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة منتوري قسنطينة
02	كمال فيلالي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة منتوري قسنطينة
03	فاطمة الزهراء قشي	أستاذة التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة منتوري قسنطينة
04	عائشة غطاس	أستاذة محاضرة	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر

السنة الجامعية: 2007 / 2006

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي العزيزين

الخطة

" مهام مفتديي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية "

المقدمة

الفصل التمهيدي: طرق افتداء الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال الفترة العثمانية

I. الافتداء الذاتي AUTORACHAT

II. الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلم

III. الافتداء عن طريق جهود القساوسة و مفتديي الأسرى

الفصل الأول: التعريف بمفتديي الأسرى

I. التسمية

II. الانتماء الديني (أهم الطوائف و الجمعيات بمدينة الجزائر)

1) تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى

L'ORDRE DE LA SAINTE TRINITE ET DE LA REDEMPTION DES CAPTIFS

2) تنظيم سيدة الرحمة

L'ORDRE DE NOTRE DAME DE LA MERCI

3) التنظيم اللازاري L'ORDRE L'AZARISTE

الفصل الثاني: المهام المعلنة لمفتديي الأسرى بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية

I. افتداء الأسرى

II. تقديم الرعاية الصحية للأسرى

III. تقديم الرعاية الروحية للأسرى

الفصل الثالث: المهام الخفية لمفتديي الأسرى بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية

I. الدعاية

II. الجوسسة

III. التبشير

الخاتمة

الفصل التمهيدي:

طرق افتداء الأسرى المسيحيين بالجزائر خلال الفترة العثمانية

I. الافتداء الذاتي AUTORACHAT

II. الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلم

III. الافتداء عن طريق جهود القساوسة و مفتديي الأسرى

طرق افتداء الأسرى الأوربيين بالجزائر خلال العهد العثماني

أورد صاحب كتاب "الغزوات" حواراً دار بين "خير الدين بربروس"[*] و أحد أسراه، و كان مقدم العسكر و الأجفان التي أرسلها "شارل الخامس"« شارلكان » [**] إلى مدينة الجزائر[***] سنة 1519 م.

بعد أن اكتشف[****] "خير الدين" نوايا هذا الأسير في الفرار مع باقي رفقائه في الأسر، و كان قد أُسكِنَ في قصر الإمارة، و تلقى إحسانا كبيرًا خاصة في فترة مرضه، طلبه معاتبًا، مذكرًا إياه إحسانه السالف معه. قائلاً له في أثناء كلامه: "لو كان غيرك عزم على هذا الأمر كنت أنت تمنعه و تأخذ خبره إلي و تأتيني به. لِما فرط من إحساني إليك، و أنت تعلم ذلك"، فأجابه النصراني بهذه العبارات: "جميع ما قلته حق، و أنت أحسنت إلي و أنا قابلتك بالإساءة ... لكن يا مولانا، جرت عادة الأسير أنه يسعى في خلاص رقبته بما يمكنه من الحيلة و على سيده أن يحتاط في أمره ، و يبالغ في حراسته"[1].

إذن، لقد كانت رغبة كل أسير مسيحي في الجزائر - كما هي رغبة كل أسير مسلم في الأراضي المسيحية - هي الحصول على الحرية. فقد أورد القس الإسباني "هايدو" « Haëdo» في كتابه « De La captivité à Alger » مفاهيم كثيرة للحرية تبين قيمتها

---

[*] "خير الدين بربروس" هو أول بايلربايات الجزائر، حكم من 1518 م إلى 1533 م، أنظر: كرونولوجيا حكام الجزائر في:
- FERAUD (Charles), Histoire des villes de La province de Constantine, La Calle. Interprète principal de l'Armé auprès du gouvernement général de l'Algérie, Alger 1877, p. 76.

[**] هو الملك الإسباني "كارلوس الخامس" الذي أشتهر في التاريخ الغربي بـ "شارلكان"، ارتقى العرش الإسباني منذ 1516 م, واستمر حكمه إلى غاية 1556 م، أنظر:
- Nouveau Larousse , Encyclopédique , Dictionnaire Volume 2, Paris 2003, , p. 304.

[***] وضعت الحملة تحت قيادة نائب الصقليين "هوكو دي منكاد"« HUGO DE MONCADE » و اشترك معه القائد الإسباني "كونزالفو مارينو دي ريبرا" « GANZALVO MARINO DE RIBERA »، حيث أبحر الأسطول من جزيرة صقلية أواخر جويلية و وصل أمام مدينة الجزائر يوم: 17 أوت 1519 م، انظر:
- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا (1492 م - 1792 م)، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976 م، ص. 206.

[****] أكتشف خير الدين بربروس نوايا هذا الأسير في الفرار من خلال رؤيا في منامه، و كانت عناية من الله، و كرامة أكرمه بها. حول تفاصيل الرؤيا، انظر:
- مجهول، كتاب غزوات عروج و خير الدين، تصحيح و تعليق عبد القادر نور الدين، الجزائر (1353 هـ / 1934 م)، ص. 38.

[1] نفسه، ص. 38.

عندهم، إذ يقول: هي - كما عرفها « Tullius »[*] - أن يعيش الإنسان بالطريقة التي يريدها، كما عبر عن ذلك على لسان شخصية « Sosa »[**] بقوله: "لا يمكن أن يبيع الإنسان حريته و لو كان ذلك مقابل ذهب العالم لأن الحرية لا تقدر بثمن"[1].

من جهة أخرى، تصدرت كتاب "مولاي بلحميسي" المعنون"الأسرى الجزائريين و أوروبا المسيحية" « Les captifs algériens et L'Europe Chrétienne » أبياتًا شعرية للشاعر "محمد بلخير" باللهجة العامية تعكس بصدق رغبة الأسير المسلم في الحصول على الحرية، في قوله:

سَـلاَكْ المَـغْـبُـونْ مَنْ وَّطَـنْ الكُـفَـارْ   قـادَرْ كُـلْ غْـرِيـبْ لَبْـلاَدْ تَدِيـهْ

سَلَّـكْـنِـي مَنْ ضِيق العـدا و التـزيارْ   قادر تبني الريـح و الكـاف تـوطيه

سَلَّكْنِي يا خـالـقي مـن هـذا الجـارْ   حبس الرومي لا تخلي مسلم فيه

فيما يخص موضوع أوضاع الأسرى الجزائريين في البلدان الأوروبية، و طرق حصولهم على الحرية، فقد حضي بدراسة معمقة للدكتور "مولاي بلحميسي" في كتابه المشار إليه سابقًا[***].

و نحن من جهتنا سوف نحاول في هذا الفصل من الدراسة أن نستعرض أهم الطرق التي شاع استعمالها للحصول على الحرية بالنسبة للأسرى الأوروبيين في الجزائر، اعتمادًا على المادة المتوفرة لدينا.

في النصف الأول من القرن السادس عشر (16 م)، رفض "خير الدين بربروس" فداء جماعة من أعيان أسبانيا، و كان من بينهم مقدم العسكر و الأجفان الذي سبق ذكره، حيث أن ملك اسبانيا (الطاغية) وجه إلى الحصن المجاور للجزائر بأن يبعثوا إلى "خير الدين" في شأن فداء رؤساء الأسرى. و كان عددهم ستة و ثلاثين (36)[*] أسيراً على أن يدفع له أهل الحصن مائة و عشرين ألف (120000) ديناراً ذهباً.

---

[*] Cicéron Marcus Tullius: خطيب ورجل سياسة و محامي روماني أشتهر بدراساته الفلسفية و الميتافيزيقية، انظر:

- Le Petit Larousse Illustré 1995, Dictionnaire Encyclopédique, Paris, 1995, p. 1246.

[**] Sosa: كان طبيبًا، تعرض للأسر في سجون المغاربة، عبر "هايدو" على لسانه عن مساوئ الأسر و أوضاع الأسرى الذين وقعوا تحت سلطة المغاربة، و الأتراك خاصة في الجزائر. و ذلك من خلال حوار مع الفارس"انطونيو" الذي جاء لزيارته بالسجن، انظر:

- HAËDO (Fray Diego de), De la captivité à Alger, trad. par Moliner-Violle, Alger, 1911, p.5.

[1] ibid., p. 16.

[***] نقصد به كتاب:

- BELHAMISSI (Moulay), Les Captifs algériens & l'Europe Chrétienne (1518 - 1830), (ENAL), Alger, 1988.

[*] ذكر التلمساني في رحلته أن عدد هؤلاء الأسرى كان ثلاثة و ثلاثين (33) أو ستة و ثلاثين (36) رأسا، انظر:

جمع "خير الدين بربروس" فقهاء المدينة، و استفتاهم في القضية، فاتفقت فتواهم على عدم جواز فداء هؤلاء الأسرى بالمال، لأن هؤلاء من أعيان النصارى و زعمائهم، يتقوى بهم عدو المسلمين[1].

هذه الفتوى جعلتنا نبحث عن موقف الشريعة الإسلامية من أخذ الفدية من النصارى مقابل تحرير أسراهم. فوجدنا أن هذه القضية قد فصل فيها نهائيًا في عهد الرسول ρ بناءً على ما أورده الطبري في تفسيره و غيره من المفسرين.

قال الله I : [**فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ و لَكِنْ لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَ الذّينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**][2].

ذكر الطبري في تفسيره أن أهل العلم قد اختلفوا في قوله I: [**حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً**].

فقال بعضهم: هو منسوخ، نسخه قوله I : [**فَإِذَا أنْسَلَخَ الأَشْــهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ**][3]، و قوله I: [**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ، فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**][4].

الصواب عند الطبري أن هذه الآية محكّمَة غير منسوخة[5].

جاء في تفسير "ابن كثير" للآية الأولى ما يلي: [**فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ**] أي إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصدًا بالسيوف: [**حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ**] أي أهلكتموهم قتلاً: [**فَشُدُّوا الوَثَاقَ**] الأسارى الذين تأسرونهم: [**فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا**] ثم انتم بعد انقضاء الحرب و انفصال المعركة مخيرون في أمرهم، إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أسراهم مجانًا، و إن شئتم فاديتموهم بمالٍ تأخذونه منهم و تشارطونهم عليه...

- التلمساني (محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن الجيلاني بن رقية)، الزهرة النايرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط في مجموع، رقم 2603، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، ص. 15.

[1] مجهول، غزوات عروج و خير الدين، المصدر السابق، ص. 39 - 40 .

[2] سورة محمد، الآية 04 .

[3] سورة التوبة، الآية 05.

[4] سورة الأنفال، الآية 57.

[5] الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، جزء 10، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1405 هـ / 1983 م، ص. 42.

و زاد "الشافعي" رحمه الله فقال: "الإمام مخير بين قتله (أي الأسير) أو المَّن عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضًا"[1].

و عليه، فإنه غير مستنكر - يقول الطبري - أن يكون جعل الخيار في المَنِّ و الفداء، و القتال إلى الرسول ρ و إلى القائمين بعده بأمر الأمة و إن لم يكن القتل مذكورًا في هذه الآية[2]، لأنه قد أذِن بقتلهم في قوله I: [**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم...**] [3].

إذن لقد عمل الرسول ρ بالخيار بين القتل و الاسترقاق و المَنِّ و الفدية بالمال أو الرجال، تبعًا للمصلحة. فقد قتل النبي ρ رجال بني قريضة، واسترق بن المصطلق، و مَنَّ على أبي العاص بن الربيع و تمامة بن أثال، و فدى أسرى بدرٍ بمال[4].

كما فدى في سرية عبد الله بن جحش رجلين من أصحابه برجل من المشركين[*].

يتضح من خلال ما سبق أن العلة في تحريم أخذ الفداء من النصارى الأسبان في فتوى علماء الجزائر لخير الدين بربروس ليس تحريم الفداء شرعا و إنما ذلك نابع من كون هؤلاء الأسرى من الأعيان و كبار النصارى، و هو الأمر الموضح في قولهم: "... يتقوى بهم عدو المسلمين"[**].

لذلك أمر علماء الجزائر بضرب أعناقهم، فقتلوا عن آخرهم، و رميت جثتهم في البحر لكي لا يصل شيء منهم لأهل الحصن المذكور[5].

بعد قراءاتنا لمختلف المصادر و المراجع، لاحظنا تطورًا كبيرًا في عمليات افتداء الأسرى الأوروبيين في الجزائر خاصة منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر، كما استنتجنا أن هؤلاء الأسرى كانوا يتحصلون على حرياتهم بمختلف الطرق.

---

[1] ابن كثير الدمشقي الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت 774 ه)، تفسير القرآن العظيم، ج 7، تعليق هاني الحاج، مراجعة الأحاديث ناصر الدين الألباني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ص. 237.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج 10، ص. 426 .

[3] سورة التوبة، الآية 05.

[4] الطبري، المصدر نفسه، ص. 42 .

[*] السَرِيَة م ، ج : سرايا و هي المعارك التي أوفد فيها الرسول ρ أصحابه لقيادتها نيابة عنه لفتح الأقاليم و الأمصار. في سرية عبد الله بن جحش التي أشرنا إليها، بعثت قريش في فداء عثمان بن عبد الله و الحكم بن كيسان، فقال الرسول ρ : لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا، و يعني سعد بن أبي وقاص و عتبة بن غزوان، فإنا نخشاكم عليهما فإن تقتلوهما، نقتل صاحبكم. فقدم سعد و عتبة بن غزوان و أفداهما رسول الله ρ منهم، انظر:

- محمد عفيف الزعبي، مختصر سيرة بن هشام (السيرة النبوية)، ومراجعة عبد الحميد الأحدب، ط 2، دار النفائس بيروت، لبنان، 1399 ه / 1999 م، ص. 115.

[**] نحن نعتقد بأن "خير الدين بربروس" يعلم الحكم الشرعي من قضية افتداء الأسرى المسيحيين بالمال نظرا إلى تكوينه الديني ومشواره الجهادي، وقد سبق له أن قبض مبالغ مالية من النصارى مقابل منحهم الحرية ، لذا فالهدف من طلب هذه الفتوى - من وجهة نظرنا - هو تعزيز ثقة علماء الجزائر في شخصه. حول أخذ خير الدين للأموال الفداء من النصارى، انظر:

- عنصر الإقتداء الذاتي من هذا الفصل.

[5] التلمساني، المصدر السابق، ص. 16.

إذا استثنينا طريقة الفرار التي لم تكن شرعية وغالبا ما تعرض صاحبها إلى عقاب قد يصل إلى حد الموت[*] ، فإن هؤلاء الأسرى يتحررون إمَّا بإجراء تبادلٍ في صفوف الأسرى و إمَّا عن طريق شراء هذه الحرية بمبالغ مالية، وتتدخل في هذه العملية أو تلك أطراف متعددة مثل: الملوك، الأهل، الأصدقاء، رجال الدين ... الخ.

ومن أشهر صور الفداء التي رصدناها ما يلي:

I. الافتداء الذاتي « AUTORACHAT » :

حدث هذا النوع من الفداء عندما كان "خير الدين بربروس" يعمل في البحر. و يعود إلى جزيرة "جَرْبَة" التونسية[**]، حيث كان يقوم بأسر النصارى و يدفع خمس الغنائم إلى السلطان الحفصي في تونس[***].

« في إحدى خرجاته البحرية، أسر "خير الدين بربروس" في جزر النصارى ألف و ثمانمائة (1800) كافر، فقام بتوزيع الرجال على خدمة الأجفان. و قسم البنات و البنين على الغزاة. ثم طلب منه هؤلاء الأسرى الفداء، فقبض منهم ألف دينار من النحاس مطبوعة عن كل واحد منهم ثم سرحهم إلى جزيرتهم »[1].

لقد تمَّ العمل رسميًا بطريقة الافتداء الذاتي داخل الأيالة الجزائرية، فيما بعد، حيث نصت المعاهدة الجزائرية الفرنسية التي أبرمت مع السيد "كوكبيل" يوم 07 جويلية 1640 م في بندها الحادي عشر على هذا الاتفاق: "إن الفرنسيين الذين لا يزالون هنا كأرقاء، و المسلمين الذين وُجِدوا على ظهر الأجفان الإسبانية الموجودين في فرنسا (في نفس الوضع)، فإنه سيتم بعون

---

[*] أثرت قضية فرار الأسرى على العلاقات الجزائرية الأوروبية حيث يروي لنا أحمد الشريف الزهار في مذكراته أنه قد حدث في عهد "الحاج علي باشا" (1624 م - 1671 م) أن فر أحد الأسرى البرتغاليين من ناحية باب الواد، و حمله مركب إسباني صغير، و على إثر هذا الخبر أمر الأمير بحجز كل مراكب الأسبان الموجودة في المرسى، و بعث لملك إسبانيا يلزمه في لهجة حادة بإرسال الأسير. فاستجاب الملك الإسباني لطلب الباشا الذي أطلق سراح الأسير إكراما لملك الأسبان.لأنه أراد تنفيذ أوامره ليس إلاّ، الأمر الذي يوضح بأنه قد كان "للحاج علي باشا" سطوة كبيرة على النصارى، انظر:

- الشريف الزهار (نقيب أشراف الجزائر)، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص. 110.

[**] اختلف الرحالة و الجغرافيون في بعض التفاصيل المتعلقة بهذه الجزيرة، حيث يذكر "التيجاني" في رحلته بأن طولها من المغرب إلى المشرق ستون (60) ميلاً، و عرض الرأس الغربي منها عشرون (20) ميلاً، و عرض الرأس الشرقي منها خمسة عشر (15) ميلاً، و هي أرض كريمة المزارع و عذبة المشارع، و أكثر أشجارها النخل و الزيتون و التين و العنب ... الخ، أما "الحسن الوزان" فيصفها بأنها أرض منبسطة قريبة من اليابسة، تربتها رملية وغير خصبة. انظر:

- التيجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة التيجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1377 هـ / 1958 م، ص. 121 - 122. و انظر أيضاً:

- الوزان (الحسن بن محمد) ، وصف إفريقيا، ج 2، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط 2، دار المغرب الإسلامي - بيروت و الشركة المغربية للناشرين المتحدين الرباط، 1983 م، ص. 93.

[***] هو السلطان أبو عبد الله محمد الحفصي، انظر:

- المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ص. 158.

[1] مجهول، الغزوات، المصدر السابق، ص. 23.

الله تحريرهم، في أجل قصير، و في انتظار ذلك. فإذا وجد من بين الفرنسيين الباقين هنا من يريد افتداء أنفسهم، فإنهم يستطيعون ذلك بدفع الثمن الذي اشتروا به لأسيادهم"[1].

هذا ولم تقتصر عمليات الافتداء الذاتي على الفرنسيين فقط، بل وجدنا في مؤلفات الأسرى المتعلقة بالرق والفداء ، قصصًا كثيرة. تروي لنا حكايات بعض إخوانهم تخلصوا من الأسر بعد أن وفروا نقودًا افتدوا بها أنفسهم.

من ذلك ما ساقه إلينا "إيمانويل دارندا" « Emanuel De Aranda »[*] حول أحد الأسرى البرتغاليين و هو: "دون فرانسيسكو دو ماسكاروناس" « Don Francisco de Mascarenas » الذي أُسِرَ سنة 1641 م من قبل أحد قرصان الجزائر، و أصبح ملكًا لمراد باشا. و قد تمكن هذا الأسير من فداء نفسه والحصول على حريته بأن دفع لمالكه مبلغًا كبيرًا قُدِّرَ بـ 4000 دوقة[2].

أمّا الجنرال علي بتشين فقد حرر أسيراً له، كان قد اشتراه من السوق بـ 400 patagon ، يتعلق الأمر بالقس « P. Bartholomeo de Ledesma »، و هو رهبان من مالقة، حامل لشهادة ليسانس في علم اللاهوت، ينتمي إلى « L'ordre de S. Dominique ». حرر بدفع مبلغ 1500 « patagons » ثمن الفداء الذي طلبه منه سيده علي بتشين، و هذا بعد اتصاله بأصدقائه و أقربائه الذين أرسلوا إليه المبلغ المطلوب[3].

يروي لنا المؤلف نفسه عملية افتداء ذاتي تمت بطريقة غريبة، تتعلق بأسير إسباني. اشتراه بسعر زهيد أحد العلوج الأثرياء، وهو شعبان أغا (1661 م - 1664 م)[**].

---

[1] انظر البند - 11 - من نص المعاهدة في كتاب: قنان (جمال) ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 م – 1830 م، ص. 268.

[*] "إيمانويل دارندا" « Emanuel De Aranda »: ولد في « Bruges » سنة 1614 م من عائلة أرغونية أسبانية الأصل. أُسِرَ في 22 أوت 1640 م بالسواحل البريطانية، من طرف القراصنة الأتراك، و أُحضر إلى مدينة الجزائر، تحرر بعد سنتين من الأسر. لخص هذه التجربة في كتابه الذي ترجم إلى لغات عدة منذ أن طبع لأول مرة ببروكسل في 21 جويلية 1656 م.

وقد اعتمدنا على النسخة المترجمة إلى اللغة الفرنسية التي طبعت سنة 1662 م تحت عنوان: « Relation De La captivité et Liberté Du SR Emanuel De Aranda »، لمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية و أعمالها، انظر مقدمة كتاب:

- El Hassar-Zeghari (Latifa), Les captifs D'Alger D'Après La relation de Emanuel D'Aranda jadis esclave à Alger (XVIIème siècle), Casbah Editions, Alger, 2004, pp. 11 - 12.

[2] في حديث "إيمانويل دارندا" « Emanuel Daranda » مع هذا السير أخبره بأن الثمن الذي اتفق مع الباشا على دفعه مرتفع جدًا، و أنه لو صبر أربعة أو خمسة أيام على الأكثر لكان بإمكانه أن يحصل على حريته مقابل ثمن أقل، 1500 دوقة أو 2000 دوقة على الأكثر، أجابه هذا الأسير قائلاً: "ماذا يفعل الأسير بالمال عندما يمتلكه، هل يبقى في العمل كالكلب أو يشتري به حريته ؟"، انظر:

- DE ARANDA (Emanuel), Relation de la captivité et liberté de sieur Emanuel d'Aranda Jadis esclave à Alger, Édit. 3, Bruxelles, 1662, pp. 201 - 202.

[3] El Hassar-Zeghari (Latifa), op. cit., pp. 235 - 236.

[**] شعبان أغا (1661 م - 1664 م) ؛ ولد في إحدى المناطق الواقعة على الحدود الأسبانية البرتغالية، كان ابنًا لأحد البحارة، أسر أيام شبابه من طرف أحد الأتراك، ثم اعتنق الإسلام (ترك المسيحية). بعدة فترة من الزمن أصبح أغا أي (سيد العسكر). انظر:

- DE ARANDA (Emanuel), op. cit., p. 221.

بعدما أقام هذا الأسير مع سيده مدة معينة، طلبه قائلاً: "لقد دفعت من أجل شرائك مائة و خمسين (150) patagon، فإن أردت ،عدني بدفع المبلغ نفسه في بلادك إلى والدي بإسبانيا و سوف أطلق سراحك، و أسمح لك بالذهاب إلى وطنك مع أول قرصان يذهب إلى هناك".

قبل الأسير العرض و عاد إلى وطنه و باع كل ممتلكاته وسدد ثمن فدائه و حريته كما تم الاتفاق عليه مع سيده السابق.

لقد كان هذا الاتفاق اختبارًا لمدى وفاء الأسير بوعده، و فرصة منحها له سيده رأفة به خاصة و أنه كان فقيرًا ولا يمكنه تسديد فديته عشية أسره، إذ لم يكن سوى صياداً[(1)].

لقد وقع هذا الشخص مرة أخرى في الأسر. فاشتراه سيده "شعبان" أغا من جديد ، واقترح عليه الطريقة نفسها في الفداء، و ذلك بأن يعود إلى وطنه مع التزامه بدفع ثمن شرائه في ظرف زمني لا يتعدى السنتين، إلا أنه - و بعد انقضاء هذه المدة - لم يتمكن سوى من تسديد ثلث (**2**) هذا المبلغ، لذا قام بإحضار قنطار من التبغ لبيعه في مدينة الجزائر، و أخبر سيده بأن تسديد المبلغ متوقف على نجاحه في بيع هذه السلعة، أما في حالة فشله في هذا المشروع، فسوف يبقى عبدا لسيده الذي تكرم عليه بأن منحه - جزاء هذا الموقف - حريته مع أموال التبغ[(2)].

لعل هذه القصة تناقض ما روي عن بعض الملاك، الذين جعلوا من الافتداء الذاتي وسيلة للربح، و جلب الثروة، حيث كان الأرقاء الذين تنبئ أحوالهم عن إمكانية الحصول منهم على نقود الفداء هم المفضلين عادة عند الشراة[(3)]. فكل واحد يريد شراء الأسير الذي تنبئ أحواله بدفع فدية كبيرة[(4)].

لقد نقل لنا "شارل أندري جوليان " صورة عن سوق الرقيق في قوله: "... ثم تساق قطعان البشر إلى السوق حال عودتهم إلى الجزائر ... و يقلب النخاسون الأسرى كما تقلب الحيوانات المعروضة في السوق. و يدققون النظر في أسنانهم و عيونهم و أيديهم و يجسون لحومهم و يضربونهم بالعصا لحملهم على المشي و القفز و التشقلب"[(5)].

---

(1) DE ARANDA (Emanuel), op. cit., pp. 221 - 222.

(2) El Hassar-Zeghari (Latifa), op. cit., p. 143.

(3) وولف (جون ب.)، الجزائر و أوروبا (1500 م - 1830 م)، ترجمة و تعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 112.

(4) GRAMMONT (Henri - Delmas De), Histoire d'Alger sous la domination turque (1515 - 1830), Éditions Bouchene, 2002, p 128.

(5) جوليان (شارل أندري) ، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 2، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص. 357.

يبدو أن هذه الصورة ملتقطة من سوق الرقيق « Badistan » نقلا عن ما كتبه بعض الأسرى ، مثل "إيمانويل دارندا" « Emanuel Daranda » الذي قدم وصفًا دقيقًا لتفاصيل عرضه للبيع رفقة مجموعة من أصحابه، أين كان الشراة يتفحصونهم حيث سألوه عن اسمه، بلده الأصلي، مهنته. كما أمسكوه ليتحسسوا نعومة يده من خشونتها، بغرض التعرف على نوعية العمل الذي كان يمارسه قبل أسره، كما أمروه بفتح فمه لمعاينة أسنانه[1].

كل ذلك كان من أجل التعرُّفِ على الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الأسير، و ما إذا كان بإمكانه دفع مبلغ فدائه[2].

لكن حتى و لو كان الأسير من الطبقات الفقيرة، فإن ممارسة بعض الأعمال خلال فترة أسره بمدينة الجزائر تسمح له من توفير ثمن فدائه. فالعمل في الخمارات و الملاهي الموجودة على مستوى سجون الأسرى « Les Bagnes » يتيح له فرصة مناسبة للافتداء الذاتي[3]. فقد كانت سلطات مدينة الجزائر تسمح للعبيد بممارسة أعمالهم فيها مقابل دفع دولارا واحدا فقط في الشهر[4]. وكان مجموع هذه الحانات الموجودة بالمدينة يتراوح مابين 27 و 30 حانة، بما في ذلك الحانات الموجودة في السجون. و كلها يديرها عبيد مسيحيون مقابل دفع رسوم لحكومة الأيالة و يستخدمون عددًا هاما من الأسرى للعمل فيها[5].

---

(1) DE ARANDA (Emanuel), op. cit., p. 13.

(2) D'ESTRY (Stephen), histoire d'Alger (depuis les temps les plus reculés jusqu'a nos jours, Édit. 3, tours admame & c^{ie}, imprimeurs, Libraires - 1845 , p. 113.

(3) VENTURE DE PARADIS (Jean-Michel), Tunis et Alger au XVIIIe siècle, Mémoires et observations rassemblés et présentés par Joseph Cuoq, Édit. Sindbad, Paris, 1983, p. 50.

(4) كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة و تعليق و تقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص. 58.

(5) نفسه، ص. 101.

II.الافتداء المنصوص عليه في معاهدات السلم :

نوضح في هذا العنصر بأن مسألة الأسرى الأوروبيين و افتدائهم كانت من المسائل الكبرى التي تضمنتها بنود المعاهدات الجزائرية الأوروبية، و نحاول أخذ نماذج عن ذلك اعتمادًا على المادة الأرشيفية و العلمية المتوفرة لدينا، و المتمثلة خاصة في نصوص لهذه المعاهدات عثرنا عليها بمصلحة أرشيف ولاية قسنطينة، مدعمة بتحاليل و قراءات لبعض الدارسين الذين تناولوا موضوع العلاقات الجزائرية الأوروبية خلال الفترة العثمانية مثل: "جون وولف"، "جمال قنان" و "أحمد توفيق المدني" و "مولاي بلحميسي" ... الخ.

1) افتداء الأسرى الأوروبيين في المعاهدات الجزائرية الفرنسية:

منذ النصف الثاني للقرن السادس عشر (16 م) لاحظنا تطورًا كبيرًا في عملية الفداء، حيث أدرجت بنود عديدة في المعاهدات التي أبرمت بين الأيالة الجزائرية و الدول الأوروبية[(1)]. أين سيطرت مسألة أسرى القرصنة على العلاقات بين الطرفين[(2)].

بعد توقيع معاهدة الامتيازات بين الباب العالي و فرنسا بالأستانة في شهر فيفري سنة 1536 م، أصبحت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة التي تمتلك امتيازات لرعاياها داخل الإمبراطورية العثمانية[(3)].

نصت هذه المعاهدة في بندها العاشر (10) على ما يلي:

"بمجرد اعتماد جلالة السلطان و ملك فرنسا لهذه المعاهدة، فجميع رعاياهما الموجودين عندهما أو عند تابعيهما أو على مراكبهما أو سفنهما أو في أي محل أو إقليم تابع لسلطتهما - في حالة الرِّق - سواءً كان ذلك بشرائهم أو أسرهم وقت الحرب يصير إخراجهم فورًا من حالة الاسترقاق إلى بحبوحة الحرية بمجرد طلب و تقرير السفير أو القنصل أو أي شخص آخر معين لهذا الخصوص ولو كان أحدهم قد غير دينه و معتقده. فلا يكون ذلك مانعًا لإطلاق سراحه. و من الآن فصاعدًا، لا يجوز لجلالة السلطان أو ملك فرنسا و لا لقبودانات (قبطانات) البحر و رجال الحرب أو أي شخص آخر تابع لأحدهما أو لمن يستأجرونهم لذلك

---

(1) BEHAMISSI (Moulay), op. cit., p. 91.

(2) سبنسر (وليم)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب و تعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص. 145.

(3) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ص. 223 ، 230.

سواء في البر أو البحر أخذ أو شراء أو بيع أو حجز أسرى الحرب بصفة أرقاء و لو تجاسر قرصان أو غيره من رعايا إحدى الدولتين المتعاقدتين على أخذ أحد رعايا الطرف الآخر أو اغتصاب أملاكه أو أمواله يصير إخبار حاكم الجهة و عليه ضبط الفاعل و معاقبته على مخالفته شروط الصلح عبرة لغيره و ردِّ ما يوجد عنده من الأشياء المغتصبة إلى من أخذت منه. و إذا لم يُضبط الفاعل فيمنع هو و جميع شركائه من الدخول في البلاد و تضبط ممتلكاته لجانب الحكومة التابع إليها و يصير التعويض على ما حصل له من الضرر ممّا يُصادر من أملاك الجاني. و هذا لا يمنع من مجازاته لو صار ضبطه فيما بعد. و للمجني عليه أن يستعين في الحصول على ذلك بضامني هذا الصلح و هم السر عسكر عن الجانب السلطاني و أكبر القضاة عن ملك فرنسا".

هذا وقد اشترط ملك فرنسا – في البند الثالث عشر من المعاهدة نفسها– أن يكون للبابا و ملك إنجلترا أخيه و حليفه الأبدي و ملك إيقوسيا (اسكتلندا) الحق في الاشتراك بمنافع هذه المعاهدة لو أرادوا بشرط أنهم يبلغون تصديقهم عليها إلى جلالة السلطان و يطلب منه اعتماد ذلك في ظرف ثمانية شهور تمضي من هذا اليوم[1].

إن بنود المعاهدة التي منحت امتيازات كبيرة للمملكة الفرنسية وصلت إلى درجة الذُّل و الضعف، طرحت أمام الأيالة الجزائرية – باعتبارها جزءًا من الأمبراطورية العثمانية - اختيارًا صعبًا بين إتباع السياسة العثمانية حيال فرنسا و رعاياها، أو اتخاذ مواقف تراعى من خلالها مصالحها في ظل مشاكلها الخاصة مع الدول الأوروبية بما في ذلك فرنسا[2].

اختار حكام مدينة الجزائر إتباع سياسة مستقلة[*] بخصوص التعامل مع فرنسا[3] على الرغم من التهديدات التي كانت تَردُ عليهم من قبل الباب العالي، إثر الترتيبات التي تحصل عليها الفرنسيون في توسيع معاهدة الامتيازات و تمديدها في عامي 1581 م و 1604 م. خاصة ترتيبين على درجة كبيرة من الأهمية و الخطورة، بخصوص مستقبل السياسة العثمانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط من جهة و علاقات الجزائر المستقبلية بالدولة العثمانية من جهة أخرى، حيث ينص الترتيب الأول على تعميم تنفيذ معاهدة الامتيازات على جميع

---

(1) محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص. 227 - 229.

(2) قنان (جمال) ، المرجع السابق، ص. 38.

(*) ظهر استقلال الجزائر عن الباب العالي بوضوح منذ مرحلة الباشاوات (1587 م - 1659 م)، و يتضح هذا الاستقلال في علاقاتها مع أوروبا من خلال التمثيل الذي يقوم به القناصل الأوروبيين بها. انظر:

- سبنسر وليم ، المرجع السابق، ص. 139.

(3) قنان (جمال) ، المرجع السابق ، ص. 44.

مناطق الإمبراطورية بدون تمييز و اعتبار كل من يعرقل تنفيذه أو يخالفها عاصيًا و متمردًا و يعاقب على ذلك بدون تأجيل و لا هوادة.

أمَّا الترتيب الثاني فينص على ما يلي: "على الرغم من أن قرصان الجزائر يعاملون معاملة حسنة عندما يرسلون إلى الموانئ الفرنسية حيث يعطى لهم البارود و الرصاص و الأشرعة و المعدات الأخرى إلا أنهم لم يقلعوا عن أسر الفرنسيين الذين يلاقونهم في البحر و سلب ممتلكاتهم، و هو عمل كانـــوا قد منعوا عنه عدة مرّات ... و لكنهم لم يتوقفوا عنه. إننّا نشجب هذا السلوك بشدة و نريد إطلاق سراح كل فرنسي تمّ أسره في مثل هذه الظروف و ردِّ كل الأشياء التي سلبت منه ...."[1].

رغم هذه التهديدات، واصلت الجزائر إتباع سياستها المستقلة في التعامل مع الدول الأوروبية، الأمر الذي جعل فرنسا - بعد فشل مساعيها مع الباب العالي- تقرر الدخول في علاقات مباشرة مع حكام الجزائر من خلال عدة اتفاقيات تناولت مختلف القضايا العالقة بين البلدين على رأسها قضية الأسرى و افتدائهم[2].

نصّت معاهدة 21 مارس 1619 م في بندها الرابع على أنه إذا حدث و ساق أحد القرصان أسرى فرنسيين إلى سواحل الجزائر، فإنه سيطلق سراحهم في الحال و تُردَّ إليهم كل مراكبهم و أمتعتهم[*]. فيما نص البند الأول من معاهدة 07 جويلية 1640 م على أمر يقضي بالتسريح الكلي لجميع الفرنسيين الموجودين بمدينة الجزائر[3].

أما معاهدة 25 أفريل 1684 م، فقد كان الهـــدف منها وضع حل نهائي لمشكـــلة الأسرى و قضية القرصنة بين الطرفين (الجزائر و فرنسا)[4].

و فيما يلي نستعرض بعض بنودها:

يقر البند الثامن (08)، أن كل الفرنسيين الذين أُسِرُوا من طرف أعداء إمبراطور فرنسا و اقتيدوا إلى مدينة الجزائر ... سيطلق سراحهم في الحال.

---

[1] قنان (جمال) ، المرجع السابق ، ص. 44.
[2] نفسه، ص. 45.
[*] انظر البند الرابع من المعاهدة الأصلية الموقعة بمرسيليا بين ملك فرنسا حاكم الجزائر في 21 مارس 1619 م (الملحق رقم 01).
[3] نص المعاهدة موجود في كتاب: جمال قنان، المرجع السابق، بند 1، ص. 269.
[4] ينص البند 2 من هذه المعاهدة على أن: كل قرصنة و كل الأعمال العدائية سواء في البحر أو على البر ستتوقف من الآن فصاعدًا بين سفن و رعايا إمبراطور فرنسا و أصحاب السفن الخواص من مدينة الجزائر. راجع نص المعاهدة (الملحق رقم 02).

كما أن الداي الباشا(*) و الديوان و أوجاق مدينة و مملكة الجزائر - ورد هذا في البند الموالي (التاسع) -، سيعطون منذ الآن أوامر لولاتهم لجمع الأرقاء و تهيئتهم ليتم شراؤهم من طرف قنصل فرنسا بأفضل الأسعار، و نفس التسهيلات تتم في فرنسا إزاء رعايا مملكته.

أما البند الثاني عشر (12)، فينص على تحريم عمليات الأسر بين الطرفين حتى و لو كان ذلك على متن السفن الأجنبية[1].

إن تخصيص أغلب بنود هذه المعاهدة لقضية تحرير الأسرى، يؤكد أن المعاهدات الجزائرية الفرنسية السابقة قد عجزت عن حل هذه المسألة بسبب عدم الالتزام ببنود المعاهدات من جهة[2] و التوتر الذي كان يصيب علاقات البلدين من جهة أخرى(**). حيث أن المادة التي تنص على إعادة شراء الأسرى بثمن محدد كانت كثيرا ما تسبب مشاكل للقنصل الفرنسي في الجزائر لأن الملوك كانوا بطيئين في تخصيص المال للفداء، خاصة خلال الفترة الممتدة ما بين 1635 م - 1660 م بسبب مصاريف الحرب الكبيرة المنجرّة عن ثورات الفلاحين ضد الضرائب الباهظة.

أما البند الذي ينص على تبادل الأسرى الفرنسيين بالأتراك أو المغاربة المأسورين بفرنسا، فإن الفرنسيين غالبا ما اكتفوا بإرسال المسنين و المرضى و العجزة . و أحيانًا يرسلون أشخاصًا لم يعرفوا الجزائر يوماً[3].

لقد ظهرت هذه المسألة عندما تعمدت فرنسا تضليل المسؤولين بخصوص هذه القضية بمقتضى معاهدة 1684 م، حيث تعهدت فرنسا بإطلاق سراح عساكر الأوجاق و جنود البحرية الذين سيتم تبادلهم مع الأسرى الفرنسيين بالجزائر، وبدل تسريح هؤلاء، أطلقت سراح أسرى مسلمين من البلدان الأخرى اختارتهم من بين المسنين و المعطوبين، إذ وجد المسؤولون الجزائريون أنفسهم أمام وضعية جد حرجة عندما أرسى هؤلاء بمرسى العاصمة، هل يقبلون هذه الصفقة المغشوشة أم يرفضونها؟ إلى أن قرروا في النهاية استقبال هؤلاء الأسرى

(*) هو الداي "حسين ميزومورتو" « Hossein Mezzomorto » (1682 م - 1686 م).

[1] البند8، 9 من المعاهدة السابقة (الموقعة في 25 أفريل 1684 م).

[2] وولف (جون) ، المرجع السابق، ص. 285.

(**) حول تطور العلاقات الجزائرية الفرنسية، انظر:

- PLANTET (Eugène), Correspondances des Deys d'Alger avec La coure de France, 2 vol. t. I. (1579 - 1700), t. II. (1700 - 1833), Paris, 1889.
- BEHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe et La guerre secrète (1518 - 1830), Edit. Dahlab.
- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830 م، ج 1 و 2، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1985.

[3] وولف (جون) ، المرجع السابق، ص. 285.

في الوقت الذي صمموا فيه على ضرورة المطالبة بفك أغلال الأسرى الجزائريين الموجودين بفرنسا، لذلك لم تهدأ العلاقات بين البلدين إلاّ بعد تسوية هذه المسألة نهائياً سنة 1692 م[1].

كما أن بعض الجزائريين كانوا يرفضون تبادل الأرقاء و أصروا على أن الشخص الذي اشترى الرقيق يجب أن يكون له الحق في بيعه بأسعار السوق بدل السعر الأصلي، وكانت أسعار الرِّق آنذاك في ارتفاع مستمر[2].

و عليه فكلا الطرفين يتحملان مسؤولية الإخلال ببنود هذه المعاهدات و غيرها.

[1] قنان (جمال)، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994 م، ص. 51.
[2] وولف (جون) ، المرجع السابق، ص. 285.

2) افتداء الأسرى الأوروبيين في المعاهدات الجزائرية الإنجليزية:

وجدنا في مختلف الدراسات أن الملوك الإنجليز لم يهتموا كثيرًا بفداء رعاياهم، و قد برروا ذلك بحجة أن إنقاذهم لهم سيقنع البحارة الجزائريين بأن أسر الإنجليز مغامرة تجارية رابحة، فالفداء - حسب رأيهم - يشجع النهب.

استمرت هذه القناعة إلى غاية الأربعينات من القرن 17 م، حيث فرض البرلمان الإنجليزي في 05 ماي 1642 م ضريبة تقدر بـ 1 % خفضت فيما بعد إلى **3** % على التجارة، خُصصت لافتداء الأسرى الإنجليز[1].

يكاد يجمع الباحثون على أن العلاقات الجزائرية الإنجليزية خلال العهد العثماني كانت قائمة على أساس التعاون و تبادل المصالح و يطبعها الوئام طوال قرون[2] هذا رغم الغارات البحرية التي كانت تقودها أحيانا انجلترا ضد الجزائر[*].

في حديثه عن تطور العلاقات الجزائرية الإنجليزية في العهد العثماني، قدم مولود قاسم نايت بلقاسم قائمة المعاهدات التي عقدت بين الطرفين[**]، حيث أثبتها بتواريخها، و الأطراف التي أمضتها، إلاّ أنه لم يتعرض لمحتوي بنود تلك المعاهدات بالتفصيل ما عدا معاهدة السلم المنعقدة بتاريخ 10 أفريل 1682 م بين الداي بابا حسين (1681 م - 1682 م) و الملك البريطاني شارل الثاني (1660 م - 1682 م) التي جاءت على إثر توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية.

وصفها القنصل الفرنسي "لوفاشي" « Le vacher » بأنها معاهدة مخزية لبريطانيا، ... حيث التزمت فيها للجزائريين بردِّ أسراهم الموجودين على الأسطول البريطاني دون المطالبة مقابل ذلك باسترجاع البريطانيين الأسرى الموجودين في سجون الجزائر[3].

أما المعاهدة التي أشار إليها أحمد الشريف الزهار في مذكراته - دون إثبات لتاريخها -، فقد عقدت - يقول المؤلف - بعد الكارثة البحرية الجزائرية و توجت بإطلاق سراح 1200 أسير

---

[1] وولف (جون) ، المرجع السابق، ص. 218.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ج 1، ص. 181.

[*] تجاوز عدد الغارات الإنجليزية على الجزائر عشر حملات، كانت كلها فاشلة، ما عدا الحملة الأخيرة (حملة اللورد اكسموت في سنة 1816 م)، و تخللت هذه الحروب فترات للتعاون و التبادل التجاري بين الطرفين، انظر:

- مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع نفسه، ص. 183 - 184.

[**] عقدت بين الطرفين ما لا يقل عن 18 معاهدة حتى سنة 1830 م، و هي معاهدات سلم و تجارة، انظر:

- المرجع نفسه، ص. 188 - 191.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع نفسه، ص. 190.

منهم أسرى إمارتي نابولي و سردينيا الذين أطلقوا مقابل دفع 2500 فرنك فدية لكل أسير نابوليطاني و 1500 فرنك فدية لكل أسير سرديني[1].

أما بالنسبة لهولندا - و على غرار دول شمال أوروبا - فقد كان لها تاريخ سلمي طويل مع الجزائر و الجزائريين الذين كانوا يحترمون تلك الدول بعمق نظراً لسياساتها السلمية و طابعها الدولي المرموق[2].

لقد كان برلمان الأراضي المنخفضة (هولندا) أول سلطة أوروبية تقوم بعملية تنظيم الفداء و الحماية من الغارات و ذلك من خلال عقد معاهدة مع الجزائر تنص على دفع إتاوة، و هو العمل الذي اعتبره قناصلة فرنسا و انجلترا مهانة تستدعي الخجل، إلاّ أن الهولنديين رأوا أن شراء الحماية أرخص من فرضها بواسطة السفن الحربية[3].

---

[1] الشريف الزهار (نقيب أشراف الجزائر)، المصدر السابق، ص. 128.

[2] سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر (1401 هـ / 1981 م)، ص. 253.

[3] وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 218.

3) افتداء الأسرى الأوروبيين في المعاهدات الجزائرية الإسبانية:

كانت اسبانيا أكثر الدول المغضوب عليها من طرف الجزائريين، فكثير منهم - الذين عرفوا بالمور - عاشوا بالأندلس عدة قرون، طردوا من طرف الصليبيين الأسبان بعد سقوط غرناطة سنة 1492 م، بالإضافة إلى ذلك فإن الأسبان قد طاردوا المسلمين الفارين في بداية القرن السادس عشر ميلادي (16 م) حين احتلوا وهران، بجاية و هددوا مدينة الجزائر نفسها[1].

لهذه الأسباب و غيرها، ظلت الحروب المستمرة الطابع المميز للعلاقات الإسبانية الجزائرية خلال الفترة العثمانية لمدة ثلاثة (03) قرون.

و قد خصص أحمد توفيق المدني كتابًا قيما تناول هذه العلاقات تحت عنوان "حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر و اسبانيا"، عرض فيه تفاصيل الحملات الحربية الإسبانية و خلفياتها الدينية و السياسية، اعتمادًا على مصادر و وثائق رسمية و أرشيفية مختلفة (محلية و أجنبية)[2].

فكيف كان إذاً تحرير الأسرى الأسبان في ظل هذه العلاقات؟ علمًا بأن عددهم كان كبيرًا، بالمقابل كانت سجون اسبانيا تعج بالأسرى الجزائريين.

وقع أول تبادل في صفوف الأسرى بين الطرفين سنة 1768 م، بعد جهود كبيرة من الطرف الأسباني. انتهت باتفاق في شهر أكتوبر من سنة 1768 م ينص على هذا التبادل، حيث اشترط الجزائريون على أسبانيا إطلاق جميع ما لديها من الأسرى مقابل افتداء الأسرى الأسبان الموجودين قي الجزائر. فأطلق سراح 120 أسيراً مسلماً مقابل 712 أسيراً أسبانياً حرروا عن طريق دفع مبالغ مالية.

و أعيدت الاتفاقية نفسها سنة 1773 م، أين اشترطت الجزائر إطلاق سراح أسيرين مسلمين عن كل أسير إسباني.

و بهذه الطريقة، تم تحرير 1106 من الأسرى المسلمين و 570 من الأسبان[3].

---

[1] سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص. 252 - 253.

[2] استهل توفيق المدني بحثه بمقدمة بدأها بإبراز أهمية عمله في قوله: "أقدم اليوم بين أيدي الباحثين و القراء، دراسة تشمل في آن واحد عصرًا معينًا، هو الغزو الصليبي الاستعماري لبلادنا، و ما كان لذلك الغزو من أسباب و من نتائج، و ما اقترن به طيلة ثلاثة قرون (1492 م - 1792 م) من ملابسات و من تطورات، ثم أَصِفُ الوقائع، حربية كانت أو سياسية، وصفًا مسهبًا ..."، انظر:
- المدني أحمد توفيق، مقدمة المرجع السابق، ص. 05.

[3] المدني أحمد توفيق ، المرجع السابق، ص. 509 - 510.

إن قَبول أسبانيا بشروط هذا التبادل يبيّن و يبرهن ضعفها أمام سياسة الأيالة الجزائرية التي كانت في موقف القوة. الأمر الذي جعل أسبانيا تبحث في فرص عديدة عن السلم مع الجزائر بعد أن أخفقت خططها الحربية المتكررة، و ذلك ما ثبت فعلا من خلال فشلهم في حملاتهم الثلاث التي أرسلوها ضدها في سنوات 1775 م[*]، 1783 م[**]، 1784 م. و لجوئهم إلى طريق السلم و الحوار، واضطرارهم إلى دفع أموال كثيرة لعقد معاهدة الصلح معها في 14 جوان عام 1786 م[1].

- **معاهدة 14 جوان 1786 م:**

تمت بفضل مجهودات المندوبين الأسبانيين "الكونت داسبلي" « D'ESPEILLY » و الأميرال "مازاريدو" « MAZZAREDO »، بوساطة القنصل الفرنسي "مسيو كرسي" « Kercy »[2]. و مع رفض الداي محمد عثمان باشا (1766 م - 1791 م)، دامت المفاوضات سنة كاملة، قبل توقيع المعاهدة[3] يوم 17 شوال 1200 هـ / 14 جوان 1786 م، و هي معاهدة سلم و صداقة مع دون كارلوس الثالث (1759 م - 1788 م) ملك أسبانيا بعد قَبوله بشروط قاسية[4].

ذكر "مصطفى بن حسن خوجة" في كتاب: "المضحكات العجائبات على رؤوس الأصبانيول المقهورات المهلكات" أن الملك الإسباني عندما بلغه خبر التوقيع على المعاهدة، بدأ يرقص ثم وضع التاج على رأسه، تعبيراً منه عن الفرح بذلك الحدث الذي اعتبره انتصاراً دبلوماسياً كبيراً لاسبانيا خصوصاً أنه كان قبل اثنين و ثلاثين سنة قد أقسم بأنه لن يضع تاج الملك على رأسه إلاّ بعد أن يستولي على الجزائر أو يعقد معاهدة صلح معها[5].

ورد في مذكرات أحمد الشريف الزهار: "فلمَّا كانت سنة 1199 هـ، أتى الاصبانيول للصلح، و أتوا معهم بالأسارى الذين معهم. و أبدلوهم بالنصارى الأسرى، أما الأسرى الباقين

(*) قائد هذه الحملة الجنرال « O'Reilly » على رأس أسطول يضم أكثر من ثلاثمائة سفينة، انتهت بالفشل، انظر:

- BONO (Salvatore), Les Corsaires en Méditerranée, Trad. Ahmed Somaï, Édit. La Porte, Paris, EDIF 2000.

(**) تولى قيادة الأسطول الحربي « Don Antonio Barcelo »، قام بقنبلة مدينة الجزائر لمدة ثمانية أيام، إلا أنها انتهت بالفشل، و أعاد الإسبان الهجوم على المدينة سنة 1784 م، غير أن النتيجة واحدة (الإخفاق)، انظر:

- BONO (Salvatore), Ibid., p. 39.

(1) بن حفري شكيب، العلاقات الإسبانية الجزائرية في القرن الثامن عشر من خلال مخطوط عثماني، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، عدد1، محرم 1413 هـ، أفريل 2002 م، ص.121.

(2) المدني أحمد توفيق ، المرجع السابق، ص. 520.

(3) مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ج 1، ص. 169.

(4) ذكر توفيق المدني أن المعاهدة عقدت بتاريخ 14 جوان 1785، إلا أن التاريخ الصحيح هو 14 جوان 1786، انظر:

- بن حفري شكيب، المرجع السابق، ص. 133، نقلا عن مصطفى بن حسن خوجة، كتاب المضحكات العجائبات على رؤوس الاصبنيول المقهورات المهلكات (مخطوط بمكتبة قصر طوب قابو باستانبول تحت رقم 1412).

(5) بن حفري شكيب ، المرجع نفسه، ص. 133.

من الأصبانيول فدفع عنهم ألف دورو على الرأس و كذلك لأهل البلاد قيمة الأسرى الذين بأيديهم ألف دورو لكل رأس، و حملوا الأسارى و وقع الصلح بينهم"[1]. قد تناقص بموجب هذه المعاهدة عدد الأسرى الإسبان في الجزائر، و لم يبق منهم إلاّ حوالي 500 أسير[2].

هذه المعاهدات كانت ممهدة لعقد معاهدة الصلح النهائي في 16 ديسمبر 1791 م بين الداي "حسان باشا" (1791 م - 1798 م) و الملك الإسباني "كارلوس الرابع" (1788 م - 1808 م) التي نصّت على الجلاء النهائي عن وهران و المرسى الكبير بداية من يوم 17 ديسمبر 1791 م إلى غاية مارس 1792 م[3].

---

[1] الشريف الزهار: المصدر السابق، ص. 34.

[2] FISHER (Sir Godfrey), Légende Barbaresque : Guerre, Commerce et Piraterie en Afrique du Nord de 1445 à 1830, Trad. et Annoté par Farrida HALLAL, Office des Publications Universitaires, Alger - 1991, p. 158.

[3] GRAMMONT (Henri - Delmas De),op. cit., p. 272.

4) افتداء الأسرى الأوروبيين في المعاهدات الجزائرية البرتغالية:

كانت البرتغال دائمًا في تيار المد الصليبي إلى جانب أسبانيا و البابوية ضد الجزائر[1]، إلاّ أنها كانت أضعف من اسبانيا حيث اضطرت إلى دفع جزية سنوية للجزائر.

في سنة 1810 م كان هناك 615 أسيراً برتغاليا في سجون الجزائر و قد توسطت بريطانيا بوضع خطة لتحرير هؤلاء الأسرى و ذلك بأن تدفع البرتغال للجزائر فدية مالية تقدر بـ 690337 دولار[2].

عقدت الجزائر مع البرتغال أربع معاهدات، هي عبارة عن فترات هدنة مع الملكة "ماريا الأولى":

- معاهدة 1785 م مع الداي محمد عثمان (1766 م - 1791 م)
- معاهدة 17 سبتمبر 1793 م مع حسن داي (1791 م - 1798 م).
- معاهدة السلم 28 سبتمبر 1795 م مع حسن داي.
- معاهدة السلم 14 يوليو 1813 م[*] مع الحاج علي داي (1809 م - 1815 م)[3]، التي أشار إليها الزهار بقوله: "في سنة 1227 هـ ، تمكن البرتغال من عقد الصلح مع الجزائر بعد أن توسطت له الوسائط ... و دفع مليوني و نصف ثمن الصلح و افتدى جميع أسراه الذين من جنسه بألف دورو لكل واحد"[4].

من خلال ما سبق يتضح بأن المعاهدات الجزائرية الأوربية لم تجد حلاً نهائيا لقضية افتداء الأسرى ، و عليه، فهذه المسألة قد تكفلت بها جهات أخرى.

---

(1) مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ج 1، ص. 91.
(2) سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص. 253.
(*) انظر: نص المعاهدة في الملحق رقم 04.
(3) مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ج 1، ص. 91 ، 93.
(4) لشريف الزهار: المصدر السابق، ص. 110.

III. الافتداء عن طريق جهود القساوسة و مفتديي الأسرى:

إن الأغنياء و النبلاء من الأسرى المسيحيين، كانوا يتوقعون دفع مبالغ فدائهم من طرف ملوكهم أو أقربائهم أو ذويهم رغم وجود بعض الأسباب و المشاكل التي تؤثر على استقرار الحالة المادية لهؤلاء، إلا أنه - وعلى النقيض من ذلك -، كان مصير الغالبية من الأسرى الفقراء و اليتامى و من لا أصدقاء لهم مجهولاً.

من جهة أخرى، فإن الأسير الفرنسي و الإنجليزي و الهولندي أيضاً، قد يتوقع - كما رأينا- الحصول على حريته عن طريق معاهدة بين حاكمه و أيالة الجزائر، رغم الصعوبات الموجودة في إجراء التبادل أو في الحصول على نقود الفداء. ومع ذلك تبقى فرص الحرية قائمة بالنسبة إليهم.

أمام هذه المعطيات يتساءل "جون وولف": "عن مصير الرقيق البائس إذا كان اسبانياً أو برتغالياً أو إيطالياً ؟".

فبينما كانت للجزائر معاهدات صلح و تجارة مع الدول الأوروبية القوية فلا سلام مع ملك الدولة الإسبانية[*]، و لم يكن هناك قناصل يسهرون على مصالح رعايا الملك الأسباني.

لهذا حاولت التنظيمات الدينية المسيحية « Les Ordres Religieux» ملء هذا الفراغ الذي خلقته الأزمات و الحروب الطويلة بين الدولة الأسبانية و البابوية و أيالات شمال إفريقيا[1].

و قد اتجه نشاط تلك البعثات بصفة مركزة خلال القرنين 16 م و 17 م إلى إيالات شمال إفريقيا - بما فيها الجزائر - التي كانت تعتبر وَكْر أعمال الأسر و القرصنة في البحر المتوسط. بينما تراجع هذا النشاط بشكل كبير في نهايات القرن 18 م بتراجع عمليات القرصنة البحرية الذي تبعه قرار إلغاء العبودية في العالم، حسب اتفاقيات فينا سنة 1815 م[2].

---

[*] لم تكن هناك معاهدة صلح بين الجزائر و اسبانيا إلى غاية القرن 18 م، و كذلك الأمر بالنسبة للبرتغال.

[1] وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 215.

[2] الوسلاتي (الهادي) ، المستشفى الترينيتاري الأسباني بتونس، وثيقة من أرشيفه عن حملة العثمانيين بالجزائر سنة 1756 م على تونس، المجلة التاريخية المغربية عدد 21 - 22، أفريل 1981 م، ص. 167.

الفصل الأول:

التعريف بمفتديي الأسرى

I. التسمية

II. الانتماء الديني (أهم الطوائف و الجمعيات في مدينة الجزائر)

1) تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى

L'ORDRE DE LA SAINTE TRINITE ET DE LA REDEMPTION DES CAPTIFS

2) تنظيم سيدة الرحمة

L'ORDRE DE NOTRE DAME DE LA MERCI

3) التنظيم اللازاري **L'ORDRE L'AZARISTE**

الـفـصل الأول

التعريف بمفتديي الأسرى

I.التسمية « Rédemptoristes »:

مشتقة من كلمة « Rédempteur » التي أطلقها المسيحيون على المخلص المسيح - عيسى عليه السلام - الذي افتدى البشرية و خلصها من الخطايا و الذنوب[1] .

وعليه، فكلمة« Rédemption » معناها الخلاص و الافتداء[2]. أمّا« Rédemptoristes » فتطلق على جماعات دينية مسيحية من القساوسة[*] و الأساقفة[**]، ينتمون إلى تنظيمات و طوائف دينية مختلفة تأسس أغلبها في العصر الوسيط[3].

كما يطلق عليهم أيضا اسم "الآباء المخلصين المفتديين" « Pères Rédempteurs »[4].

لقد وَضَّـــحَ "الأب جان كامي" معني لفظ "أب" « Père »، بقوله: "لفظ أب مرادف للفظ « السّلف »"، و الأب هو من له أبناء يربيهم و يقودهم إلى النضج، لذا كان يُدعى المعلم قديما أبًا. فهو يسلم الحكمة التي هي في الوقت نفسه عقيدة. و أحيانا يأتي اللقب في صيغة بابا. و في اللفظ نبرة أمان و ثقة، لذا كان لآباء الكنيسة مكانة مرموقة[5].

---

(1) Dominique et Michel , Quid 1999, Encyclopédie RTL, Robert Laffont, p. 503.

(2) - Petit Larousse illustré 1990, p. 125.
- Nouveau Larousse , Encyclopédique, Vol. 2, Paris, 2003, p. 1314.

(*) القساوسة ج مفرده قس؛ و هو عند المسيحيين بمثابة الإمام الذي يقيم الصلوات و يفتيهم في الدين.

(**) الأساقفة ج أسقف؛ و هو في الملة النصرانية نائب البابا، و مبعوثه إلى أمم أخرى. حول اسم القس و الأسقف انظر:
- ابن خلدون عبد الرحمان (ت سنة 808 هـ)، المقدمة ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421 هـ/ 2000 م، ص. 183.

(3) BONO (Salvatore), op. cit., p. 225.

(4) BEN MANSOUR (Abd El Hadi), Alger XVIe - XVIIe siècle, Journal de Jean - Baptiste Gramaye, « évêque d’Afrique », Préface par André Mandouze, Éditions du CERF, Paris, 1998, p. 163.

(5) جان كامي، تاريخ الكنيسة، تحت إشراف يوسف ضرغام و آخرون، تعريب الأب أيوب زكي الفرنسيسكاني و آخرون، ط1، دار المشرق، بيروت، 1994، ص. 137.

II.الانتماء الديني (أهم الطوائف و الجمعيات في مدينة الجزائر):

لقد تحملت الكنائس المسيحية مسؤولية كبيرة في التكفل بالأسرى المسيحيين بالجزائر و شمال إفريقيا ككل[1] ... فكانت ترسل أعضاء من السلك الديني في شكل بعثات لهذا الغرض[2] منذ القرن 16 م[3]. و ينتمي هؤلاء إلى طوائف و تنظيمات مسيحية مختلفة.

ومن أهم الجمعيات المسيحية التي نشطت في الجزائر خلال الفترة العثمانية، نجد الجمعيات التابعة للتنظيمات[*] الآتية:

- تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى.
  « L'Ordre de la sainte Trinité et de la rédemption des Captifs »
- تنظيم سيدة الرحمة « [4] L'Ordre de Note Dame de la merci »
  تنظيم الجماعة اللازارية « [5]L'Ordre Lazariste »

و فيما يلي نلقي الضوء على هذه التنظيمات بنوع من التفصيل.

1) تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى:

« L'Ordre de la très sainte Trinité et de la rédemption des Captifs »

أ- النشأة (التأسيس):

يروي القساوسة الأوروبيون حكايات مطولة حول قصة تأسيس هذا التنظيم، تختلف فيما بينها في بعض التفاصيل و تتفق في أخرى.

أورد "الأب دان" « P. Dan » في كتابه "تاريخ البلاد البربرية و قراصنتها" أن هذا التنظيم قد تأسس على يد القديسين: "جون دو ماتا" « Jean De Matha » و "فليكس دو فالوا" « Félix De Valois ».

---

[1] BEHAMISSI (Moulay), Alger, l'Europe et … , op. cit., p. 25.

[2] سبنسر (وليم) ، المرجع السابق، ص. 131.

[3] DEVOULX (A), Tachrifat, Recueil de notes historiques sur l'Administration de l'Ancienne Régence d'Alger, Alger, 1852, p. 57.

[*] هناك تنظيمات كثيرة تضاف إلى التي ذكرناها في المتن مثل: (تنظيم وردة المسيح، وتنظيم القديس « Saint Dominique » و غيرهما، إلا أن دورها كان محدودًا في الجزائر. عكس التنظيمات الثلاث المذكورة.

[4] BERBRUGGER (A), Voies et Moyens du Rachat des Captifs. R.A. 1847, p. 325.

[5] BEHAMISSI (Moulay), Alger, l'Europe et … , op. cit., p. 25.

ينحدر "جون دو ماتا" « Jean De Matha » من عائلة ثرية ، فرنسية الأصل، تلقى تعليمه الأول في "أيكس" « Aix »، عشق حياة التعبد و الرهبنة بالصوامع، درس علم اللاهوت بجامعة باريس و منها تحصل على شهادة الدكتوراه بتفوق(*)، أمّا "فليكس دو فالوا" « Félix De Valois » فهو أحد القديسين الذين تمتعوا بشهرة كبيرة في فرنسا.

رأي جون دو ماتا « Jean De Matha » - يقول الأب دان « P. Dan » - رؤيا تمثل ملكا في صورة مشعة يرتدي قميصا أبيضًا، و يحمل على صدره صليبا نصفه أحمر و النصف الآخر أزق اللون، و على جانبيه يجلس أسيرين، يبدو من خلال هيئتهما أن الأول مسيحيا و الثاني تركيا، وقد شاهد "جون دو ماتا" « Jean De Matha » حركة يدوية يقوم بها هذا الملك تشير إلى استبدال الأسيرين، الواحد بالآخر[1].

لقد فسر "جون دوماتا" « Jean De Matha » هذه الرؤيا بأنها رسالة من الله يريد من خلالها أن يكلفه بخدمة معينة. و هو التفسير نفسه الذي توصل إليه "فليكس دو فالوا" « Félix De Valois » الذي كان هو الأخر كثيرا، ما يشاهد بعض الرؤى و الألغاز الموحية. حيث أنهما في أحد الأيام رأيَا معًا قرب أحد الينابيع شخصاً غريباً من مدينة « Cerf roi »، حيث كانت هيئته تشبه هيئة الملك - المذكور سابقا -.

أولى القديسان هذه القضية اهتماما كبيرًا، فاتجها - باقتراح من قساوسة باريس و رؤساء دير "القديس فكتور" « Saint Victor » - إلى بابا روما "انوسونت الثالث"« Innocent III » (1198 - 1216)(**) الذي أخبرهما بتأويل تلك الرؤى و هو أن الله يريد منهما تأسيس تنظيم ديني من أجل تخليص و افتداء الأسرى المسيحيين من أيدي أعدائهم المسلمين[2].

ذكر القس "هايدو" « HAËDO » أيضا أن هذا التنظيم قد تأسس على يد القديسين "جون دوماتا" « Jean De Matha » و "فليكس دو فالوا" « Félix De Valois » ، اللذان كرسا

(*) لتفاصيل أكثر حول حياة "جون دو ماتا" انظر:

- HAËDO (Fray Diego de), op. cit., pp. 190 - 191

- DAN (Pierre), Histoire de la Barbarie et de ses corsaires, Des Royaumes, et des villes d'Alger, De Tunis, de Salé, & de Tripoly, Édit. 2, Paris 1637, livre 6, p. 454.

(1) DAN (pierre), Ibid., pp. 454 - 455.

(**) "انوسونت الثالث" « Innocent III » : (1160 م - 1216 م) شغل منصب البابا من 1198 م - 1216 م، أنظر:

- Petit Larousse 1990, p.1340.

(2) DAN (pierre), op. cit., Livre 6, pp. 454 - 455.

حياتهما للعبادة والرهبنة(*) لسنوات طويلة(**)، إلى أن اختارهما الرب لغاية أسمى من خلال رؤيا تكررت معهما ثلاث مرات، أمرهما الله فيها أن يقصدا بابا روما "انوسونت الثالث" « Innocent III » ليدلهما على طريقة أخرى للعيش، يقدمان من خلالها خدمات للرّب و يعملان على إعلائه و نصرته(***).

وصل القديسان إلى روما(****) و هناك التقيا بالبابا "إنوسونت الثالث" « Innocent III » فأخبراه برؤاهما، و طلبا منه أن يدلهما على أسلوب الحياة الأفضل الذي يخدمان به الرّب، و كان ذلك في 20 جانفي 1198 م.

في يوم 28 جانفي 1198 م، طلبهما البابا - بعد أن أقاما في قصره مدة سبعة (07) أيام يتعبدان - لحضور مراسيم الاحتفال بعيد القديسة « Agnès » (La fête de Sainte Agnès).

أثناء القداس، رفع البابا رأسه إلى السماء، فرأى رؤية واضحة، تمثلت أمامه في صورة ملك Ange ، ينزل من أعالي السماء، في وسط قرص مشع، يرتدي كتفية (Scapulaire)(*****) و يحمل بين يديه صليبًا (Croix)، نصفه أحمر و نصفه الآخر أزرق اللون، و يمسك بيمينه أسيرًا مسيحيًا و بيساره رجلاً مغربيًا(1).

فهم البابا من هذه الرؤية بأنَّ إرادة الله هي أنْ يجعل القديسين في خدمة و إعلاء اسمه بالعمل على إنقاذ و افتداء الأسرى المسيحيين و تخليصهم من يد أعدائهم المسلمين.

اتجه البابا إلى القديسيْن قائلاً: "إنّ أمنيتكما قد تحققت و أنّ إرادة الله تلزمكما بإنقاذ إخوانكم في الأسر و الإحسان إليهم و إسالة دمائكما من أجلهم كما فعل الرّب من أجلنا"، و بعدها أعلن رسميًا عن ميلاد هذا التنظيم بهذه العبارات: "باسم السلطة التي املكها في الأرض بصفتي

(*) الرهبنة: هي الانقطاع و حبس النفس في الخلوة و العبادة بالصوامع و يسمى من يقوم بذلك بالراهب. انظر:
- ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 183.

(**) كان القديسان يعيشان بعيدا عن بعضهما البعض يتعبدان وسط جبال صعبة المسالك، و لا يلتقيان إلا في الأعياد الدينية: انظر التفاصيل في :
- HAËDO (Fray Diego de), op. cit., p. 191.

(***) أتتهما الرؤية في نفس التوقيت، وكانا بعيدين عن بعضهما، أمرهما الله فيها بترك حياة النسك و ضرورة القيام بعمل أسمى، من خلال تقديم خدمات لله، انظر:
- HAËDO (Fray Diego de), op. cit., p. 191.

(****) يقول "هايدو" « HAËDO » أنهما سلكا طريقين مختلفين إلى روما، و مع ذك فقد وصلا و في نفس الوقت إلى الباب التي يتم الدخول منها إلى مدينة روما. و هناك تمت المقابلة غير المتوقعة، حول التفاصيل، أنظر:
- Ibid., p. 192.

(*****) مشتقة من « scapula » التي تعني كتف « épaule »، و الكتفية عبارة عن ثوب يلبسه الرهبان، يتكون من قلنسوة و شريطين مثلثي الشكل، يغطيان الكتف و ينسدلان على الظهر و الصدر إلى غاية القدمين، انظر:
- Petit Larousse illustré 1990, p. 875 .

(1) HAËDO (Fray Diego de), op. cit., p. 193.

البابا[*] أعلن من هذه اللحظة باسم الثالوث المقدس: الأب، الابن، الروح القدس، عن ميلاد التنظيم الذي تكافحون من أجله . و هو تنظيم لم يصدر عن البشر (الرجال) و لكن عن السيد الرَّب الأعلى و يسمى: " تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى " « L'ordre de la très Sainte Trinité et de la rédemption des Captifs »"[1] .

طلب البابا من "جون دو ماتا" « Jean De Matha » الإقامة في روما، بينما أرسل "فليكس دو فالوا" « Félix De Valois » إلى فرنسا. ليؤسس هناك أول جمعية لهذا التنظيم تحت اسم « Cerf Rois »[2]. و هي المقر الرئيسي لهذا التنظيم الذي انتشر مع مرور الوقت في كل من البلاد المسيحية، فرنسا، ايطاليا، اسبانيا، ألمانيا، انجلترا، ايقوسيا، و حتى الهند ....[3]، و بعد أربعين (40) سنة فقط من إنشائه أصبح له أكثر من ستمائة (600) مقر[4]. و ذلك بفضل التشجيع و المساندة الذي وجدته من طرف الباباوات و الملوك المسيحيين، فانتشرت في كامل أوروبا و آسيا. و بلغت قمة إشعاعها في القرن السادس عشر الميلادي الذي ازدهرت به القرصنة، و كثرت فيه الحروب بين المسلمين و المسيحيين.

أما زوالها فيعود إلى إلغاء العبودية و الاسترقاق في العالم، تبعًا لما نصت عليه اتفاقيات فيينا سنة 1815 م[5].

مما سبق، نستنتج أنه رغم اختلاف الروايات في بعض تفاصيل تأسيس هذا التنظيم إلاّ أنّها تتفق في أنّه قد تأسس بوحي من الله أو على حد تعبير أصحابها بوحي من الإرادة السماوية، و كان ذلك على يد القديسيْن المذكوريْن بإقرار و مباركة البابا.

السؤال المطروح هنا، ما هي دلالات التسمية و الألوان (الأزرق، الأبيض، الأحمر) ؟

---

[*] البابا عند المسيحيين هو صاحب الدين، و المقيم لمراسيمه، و هو - يقول ابن خلدون رئيس الملكة عندهم - و خليفة المسيح فيهم، انظر:
- ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 182 - 183 .

[1] HAËDO (Fray Diego de), op. cit., pp. 194 - 195.
[2] HERAULT (Lucien), Les Victoires de la Charité ou La relation des Voyages de Barbarie faits en Alger par le R. P., pour le Rachat des François Esclaves aux années 1643. & 1645, Des Religieux de la congrégation reformée de l'Ordre de la Sainte Trinité & Rédemption des captifs , Paris 1666, p. 10.
[3] DAN (Pierre), op. cit., livre 06, p. 456.
[4] PECHOT (L.), Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, précédée de la géographie physique et politique de la Tunisie, de l'Algérie et du Maroc, 2 v, Alger 1914, p. 58.
[5] الوسلاتي الهادي ، المستشفى الترينيتاري الأسباني بتونس و وثيقة من أرشيفه عن حملة العثمانيين بالجزائر سنة 1756 م على تونس، المجلة التاريخية المغربية، عدد 21 - 22، أفريل 1981، ص.167.

ب. دلالات التسمية و الألوان:

أعلن البابا - كما رأينا - عن ميلاد هذا التنظيم رسميًا تحت هذا الاسم: "تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى"[*] « L'ordre de la très Sainte Trinité et de la rédemption des Captifs ». و الاسم كما يبدو يتكون من جزأين، جزؤه الثاني يشير إلى الهدف الأساسي من إنشائه و هو افتداء الأسرى المسيحيين، أمّا الجزء الأول منه فيوضح مصادر القوة الروحية التي تساعد أصحاب هذا التنظيم على بلوغ هدفهم و تتمثل عندهم في الثلاثية الإلهية المقدسة المتكونة من الأب، الابن، و الروح القُدُس[1]. المعبر عنها بالألوان الثلاثة: البياض الناصع (لون القميص)[**]، الأزرق و الأحمر (لوني الصليب).

ترمز هذه الألوان عندهم إلى الصور الإلهية الثلاث:

- الأب: يظهر من خلال البياض الناصع لأنه مصدر كل الألوان، فيمثل هنا أصل الأشياء و أصل الابن و الروح القدس.
- الابن: يظهر من خلال اللون الأزرق السماوي الذي يوحي للمسيحيين بالتأمل و صورة الإنسان الرَّب « L'Homme Dieu » في معاناته الدنيوية.
- الروح القدس: يظهر من خلال اللون الأحمر، لون الدم و أصبغة النار، و هو أيضًا رمز الحب و قداسة الروح[2].

أثناء تصفحنا لبعض المصادر الأوروبية، عثرنا على أسماء أخرى تطلق على هذا التنظيم أو على أصحابه و هي:

- « **L'ordre Mathurin** »: اسم منتشر بكثرة في فرنسا حيث يعرف أصحابه بـ « Les Pères Mathurins » نسبة إلى مقر جمعيتهم بأسقفية القديس« Mathurin »

---

[*] يرد الاسم أحياناً: تنظيم الثالوث المقدس لافتداء الأسرى « L'Ordre de la sainte Trinité pour la rédemption des Captifs » .

[1] HERAULT (Lucien), <u>op. cit.,</u> p. 8.

[**] طلب البابا "انوسونت الثالث" « Innocent III » من رجال الدين أن يكون لباسهم من النسيج الأبيض و هو لباس الملَك الذي بدا له، و كان ذلك لباسهم طيلة سنوات، لكنَّ عندما تكاثر عددهم في أماكن لا يتوفر فيها النسيج، طلب رجال الدين (الآباء) من البابا "انوسونت الثالث" « Innocent III » السماح لهم بلبس الصوف الأبيض المتوفر بكثرة. و في كل البلدان، فلبسوه إلى غاية 1562 م، حيث أمر البابا « Pie IV » بطلب من الآباء الأسبان بالعودة إلى عادة لبس النسيج، انظر:

- HAËDO (Fray Diego de), <u>op. cit.</u>, p.194.

[2] HERAULT (Lucien), <u>op. cit.,</u> p. 7.

في باريس[1]، و قد أطلق عليهم هذا الاسم بعد وفاة "جون دو ماتا" « Jean De Mathat » بأربعين (40) سنة[2].

- إخوة الأحمرة « Frères des ânes »: لأن أصحابه كانوا يتنقلون أحياناً على ظهور الأحمرة أثناء المسافات الطويلة لجمع المبالغ المالية (التبرعات).
- التنظيم الإستشفائي للثالوث المقدس و افتداء الأسرى « L'ordre Hospitalier de la Sainte Trinité et de la Rédemption des Captifs »: لأنهم عرفوا بالعمل الإستشفائي لصالح أسراهم المرضى[3].

---

(1) BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p. 163.
(2) Dominique et Michel , op. cit., p. 503.
(3) BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p. 163.

2) تنظيم سيدة الرحمة « L’ordre de Notre Dame de la merci »:

تأسس هذا التنظيم في 10 أوت 1218 م[1] من طرف القديس "بيير نولاسك" « S. Pierre Nolasque » (1189 م - 1275 م)[*]، "ريمون دو بينا فور" « Raymond de Pénafort » (1185 م - 1275 م)[**]. تحت رعاية ملك أرغونة "جاك الأول" « Jacque I » (1213 م - 1276 م)[2]. و اعترف بهذا التنظيم رسمياً البابا "غريغوار التاسع" « Grégoire IX » في 17 جانفي 1235 م[3].

توجد في اسم هذا التنظيم، الكلمة الفرنسية « Merci » و تعني« Grâce »، أي شكر، رحمة، أو رأفة. و قد تكون مشتقة من الكلمة اللاتينية « Merces » التي تعني "فدية" « Rançon ».

أما بالنسبة لـ: « Notre Dame »، فيشير بها المسيحيون عمومًا إلى السيدة مريم العذراء[4].

لقد تصدَّرَ كتاب « Le miroir de la charité » فصلاً حول تأسيس هذا التنظيم. جاء فيه أن ذلك تم بوحي من السيدة مريم العذراء.

حيث أنه في منتصف ليلة 01 أوت 1212 م، بينما كان "بيير نولاسك" « S. Pierre Nolasque » يتعبد في الكنيسة تجلت أمامه السيدة مريم برفقة بعض الملائكة مخاطبة إياه بهذه الكلمات: "يا بني أنا والدة المسيح الــذي ضحى بدمه من أجل إنقاذ العنصر البشري، و أنا أبحث عن رجال يشبهون ابني يُضحون بحياتهم من أجل إنقاذ إخوانهم في الأسر و هي تضحية

---

[1] - Dominique et Michel , op. cit., p. 503.
- BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p. 164.

[*] "بيير نولاسك" « S. Pierre Nolasque »: رجل دين، ينحدر من عائلة نبيلة، ثرية و مشهورة من اسبانيا. تلقى تكوينًا عسكريًا و روحيًا. انتقل إلى برشلونة كان يعمل على إنقاذ الأسرى المسيحيين من ماله الخاص (ثروته الخاصة)، إذ كان غالباً ما يردد بأنه يرغب في بيع حتى نفسه من أجل تخليص إخوانه من أيدي البربر المسلمين، أنظر:
- BERARD (Victor), Les Saints de l’Algérie, Imprimeur de l’évêché, 1857, p. 41.

[**] "ريمون دو بينا فور" « S. Raymond de pénafort »: رجل دين و قانون، ولد قرب برشلونة الاسبانية، وسط عائلة نبيلة، و كان يدرس الفلسفة، بعدها انتقل إلى ايطاليا، أين درس القانون. و هناك أصبح أستاذًا لمدة ثلاث (3) سنوات. عينه البابا "غريغوار" التاسع « GrégoireIX » ، الكاهن الأكبر الذي يمنح الغفران « Le grand pénitencier »، في ستة 1230 م، و رُفع إلى مرئية قديس في سنة 1601 م.لمزيد من المعلومات انظر:
- AUVRY & autres, Le Miroir de la Charité chrétienne, Ouvrage composé par l’un des Pères Rédempteurs du l’Ordre de Nôtre Dame de la Mercy, AIX 1663, p. 8.

[2] - Ibid., p. 20.
- PECHOT (L.), op. cit., p. 05.

[3] Dominique et Michel, op. cit., p. 503.

[4] Ibid., p. 503.

جليلة ... سوف تُؤَسِس على شرفي تنظيمًا تعمل من خلاله على تخليص العبيد المسيحيين من أيدي أعدائنا"[1].

نفس الرؤيا حدثت مع « Raymond de pénafort » و ملك أرغونه "جاك الأول" « Jacque I » الذي اجتمع بالقديسَيْن في الكنيسة قائلاً لهما: "لقد ظهرت لي السيدة هذه الليلة في صورة توحي بالجمال و الوقار لا مثيل لهما، أمرتني بتأسيس تنظيم من أجل افتداء الأسرى يحمل اسم " تنظيم الرحمة" « L'Ordre de Notre Dame de la merci » أو « L'Ordre de la miséricorde ». و سوف أكلفك "بيير نولاسك" « Pierre Nolasque » بتنفيذ هذا الأمر، و أنت « Raymand » سوف تكون المدعم الأساسي لهذا التنظيم عن طريق الوعظ و التبشير"[2].

إن ارتباط تأسيس هذا التنظيم بهذه الرؤيا يُضْفِي عليه نوعًا من القداسة. و يعطيه شرعيةً روحيةً أكبر من شأنها أن تزيد في استقطاب عدد كبير لصفوفه.

---

(1) AUVRY & autres, op. cit., p. 9.
(2) Ibid., pp. 9 - 10.

3) التنظيم اللازاري « L'Ordre Lazariste »:

إذا كان مؤسسو تنظيم الثالوث المقدس « L'Ordre Trinitaire » و تنظيم سيدة الرحمة « L'Ordre de Notre Dame de la merci » قد بدأوا نشاطهم في إطار افتداء الأسرى المسيحيين و تقديم الأعمال الخيرية منذ العصور الوسطى، فإن أعمال القديس "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » قد تجلت حديثًا و على نطاق واسع خلال القرن 17 م[1]، و ذلك من خلال نشاط التنظيم الذي أشرف هذا القديس على تأسيسه، و المسمى بالتنظيم اللازاري « L'Ordre Lazariste » أو « L'Ordre de Saint Lazart »[2].

فمن هو "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » ؟ و كيف تمكن من تأسيس هذا التنظيم ؟

ولد "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » وسط عائلة فلاحية متواضعة (متوسطة الحال) كانت تقطن بقرية « Pouy » بالقرب من "داكس" « Dax » التابعة لمقاطعة « Gasgogne » الفرنسية و كان ذلك حوالي 1581 م[*].

أرسله والده للدراسة إلى إحدى مدارس داكس « Dax »، و هناك أقام وسط عائلة محترمة يشتغل أفرادها في سلك المحاماة، وهي عائلة "كومي" « Comet ».

وبعدها، التحق بجامعة تولوز« Toulouse » لدراسة علم اللاهوت « la sacerdoce ».

كان "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » يتمتع بنشاط دائم منذ صغره، بعد وفاة والده لم يشأ أن يُحمل عائلته تكاليف دراسته، لذا فقد اشتغل في التعليم ليواصل دراسته.

و بعد سبع سنوات من الدراسة ، عُيِّن قساً « Prêtre » بأسقفية « Château l'évêque » في 23 سبتمبر 1600 م[3]، من قبل القديس« François de Bourdelles ».

و كان قبل ذلك قد شغل عدة وظائف دينية[4].

---

[1] TOURNIER (Jules), Jean Le Vacher, Prêtre Consul de France & martyr (1647 - 1683), Les Éditions la Porte, Rabat, 1947, p. 48.

[2] AUGUSTIN (Bernard), L'Algérie, Librairie Félix Alcan, Paris, 1929, p. 170.

[*] لا يُعلم بالضبط تاريخ ميلاده، هناك من *ذكر سنة 1576 م، إلا أن التاريخ الأكثر تداولا و المرجع الصواب هو 1581 م، انظر:

- GLEIZES C. M (Raymond), CAPTIVITE & Œuvres, De Saint Vincent Paul en Barbarie, Librairie Lecoffre, Paris, 1930, p. 2.

[3] Ibid, pp. 3 - 4.

[4] تحصل على نائب شماس « sous-diaconat » في 19 سبتمبر 1598 م، و بعد ثلاثة أشهر ارتقى إلى رتبة شماس « diaconat » في 19 ديسمبر 1598 م، بإحدى الكنائس الكاتدرائية، انظر:

- GLEIZES C. M (Raymond), op. cit., p. 4.

ذكر بعض الدارسين[*]، أن "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » قد عاش لسنين (1605 م - 1607 م) حياة الرِّق في تونس، تعرف خلالها على معاناة الأسرى المسيحيين في شمال إفريقيا[1].

يشير « Raymond » الذي درس حياة و أعمال "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » في كتابه « Captivité Et Œuvres De Saint Vincent De Paul En Barbarie » بأنه قد قرأ إحدى رسائل « Paul » التي وجهها إلى عائلة « Comet »، يخبرهم فيها بقصة تعرضه للاسترقاق من طرف القراصنة الأتراك، و عُرِضَ للبيع في تونس مع جماعة أخرى من الرقيق المسيحيين في هيئة مأساوية، لكن من الغريب أن « Vincent » - يقول الكاتب نفسه - لم يتحدث عن خصوصيات استرقاقه إلاّ في مناسبات قليلة[2].

مما جعل بعض الدارسين يشككون في صدق قصة استرقاقه، بل هناك من اعتبرها كذبة اخترعها صاحبها من أجل إضفاء مكانة مميزة على ماضيه، و الحصول على احترام البلاط و الحاشية الملكية، بكونه يعرف الكثير عن أسرار الرِّق في شمال إفريقيا[3].

في كل الأحوال، سواء كانت هذه القضية حقيقيةً أم خيالاً، فإنَّ صورة الرقيق المسيحيين في شمال إفريقيا لم تكن مجهولة و لا مغيبة تماماً عن فكر مسيحيي القرن 17 م في أوربا، فتقارير القساوسة و العرائض التي كان يرسلها الأسرى للملوك طالبين من خلالها الفداء، و الرسائل التي كان يبعثها هؤلاء أيضا لأهاليهم و أصدقائهم يناشدونهم فيها الفداء. قد أسهبت في وصف حالة الأسرى الأوربيين، فيكفي فقط تصفح بعض النماذج مما كتبه هؤلاء إلى غاية القرن 17 م، حتى يأخذ الأوربي صورة واضحة عن حياة إخوانه المسيحيين في الأسر في بلاد البرابرة المتوحشين، على حد تعبير هؤلاء الكتاب. لذا فنحن لا نستبعد أن يكون « S. V. De Paul » قد اطلع على مثل هذه النماذج من الكتابات و عليه، يمكن القول بأن معرفته بأوضاع الأسرى في شمال إفريقيا ليست بالضرورة نابعة من تجربة شخصية.

---

[*] من هؤلاء « Mercier »، حيث ذكر بأنه كان أسيراً في تونس أيام شبابه و لم يتحصل على حريته إلا بعد الهروب في إحدى السفن برفقة بعض الأشخاص و كان ذلك في 18 جوان 1607 م، انظر:

- MERCIER (Erneste), Histoire DE l'Afrique septentrionale, T 3, E. Leroux éditeur, Paris, 1891, p. 237.

[1] GRAMMONT (Henri - Delmas De), op. cit., p. 169.

[2] GLEIZES C. M (Raymond), op. cit., p. 23.

[3] وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 295 - 296.

لقد تأثر "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » بالحالة التي كان يعيشها الأسرى الأوربيون الذين لم يسعفهم الحظ في نيل الفداء، لذا عمل على التخفيف عنهم إلى أن يحين فداؤهم عن طريق تقديم تبرعات مالية و السهر على الحضور اليومي للقداس و تعليم مبادئ الديانة المسيحية.

و لهذا شكل نخبة من المبعوثين و المبشرين « Elite des Missionnaires » سخرت نفسها لخدمة هؤلاء الأسرى مادياً و روحياً.

و من أجل تنسيق جهود هذه النخبة، عمل "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » على إنشاء جمعية القساوسة « La congrégation Des Prêtres De La mission »[1]، و وضعها تحت اسم التنظيم اللازاري « L'Ordre Lazariste » سنة 1633 م، لأن مقرها بالكنيسة القديمة للقديس لازار « Saint Lazart » بباريس[2].

كان مؤسس هذا التنظيم "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » يرسل قساوسة لازاريين « Des Prêtres Lazaristes » للإقامة في شمال إفريقيا إلى جانب القناصل و ذلك بصفتهم كهان للكنيسة « des chapelains »، من أجل القيام ببعض الالتزامات و المهام تجاه أسراهم.

و إذا كان "فانسان دو بول" « Saint Vincent de Paul » قد وجد سهولة في إرسال مبعوثاً « Missionnaire » إلى تونس سنة 1645 م، فإنّ قنصل مدينة الجزائر رفض وجود كاهن « chapelain » إلى جانبه[3].

لتجاوز هذه الإشكالية قامت دوقة دي ڤيون « La duchesse d'Aigaillon » بشراء مبنى القنصلية الفرنسية بالجزائر. من عائلة "فياس" « Vias »، باسم جمعية المبشرين « La congrégation de la mission »، و قدمتها مع قنصلية تونس للآباء اللازاريين « Pères Lazaristes »[4].

إن نقل القنصلية من يد رجال السياسة و الأعمال إلى أيدي رجال الدِّين قد نتج عنه عدة مشاكل، فالقناصل المتدِّينون لا يتسامحون في انتهاك النشرات البابوية التي تمنع بيع المواد

---

(1) TOURNIER (Jules), op. cit., p. 49.
(2) Dominique et Michel, op. cit., p. 502.
(3) GLEIZES C. M (Raymond), op. cit., p. 103.
(4) Ibid., p. 104.

الحربية للمسلمين، و من جهة أخرى فإن وصول القساوسة الفرنسيين اللازاريين قد ضايق القساوسة الأسبان و الإيطاليين الذين ينتمون إلى طوائف التثليث و الرحمة - التي كانت تسيطر على الحياة الروحية و افتداء الأسرى - خاصة بعد أن نجح « Vincent De Paul » في إقناع البابا بأن يجعل القنصل الفرنسي أسقفا رسمياً « Titulaire » و الوكيل الرسولي (البابوي) « Vicaire Apostolique » سنة 1650 م[1].

لقد أرسل « Vincent De Paul » أول قنصل لازاري في جويلية سنة 1646 م. و هو « Jean Barreau » و كان محاميًا في البرلمان، و استقبل استقبالاً حسناً في الجزائر التي قضى بها خمسة عشر سنة. على الرغم من المشاكل التي اعترضته في أواخر هذه المدة[2].

كما تواصل وفود المبعوثين اللازاريين إلى الجزائر إلى غاية الفترة المتأخرة للعهد العثماني في الجزائر سنة 1827 م[3]. قاموا خلالها بالمهام الموكلة إليهم هناك[*].

[1] وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 296 -297.

[2] PLANTET (Eugène), op. cit., p. 14.

[3] GLEIZES C. M (Raymond), op. cit., p. 199.

[*] انظر قائمة الكهنة اللازاريين المبعوثين إلى الجزائر في الملحق رقم 06.

- **<u>بعض الشخصيات التي تتوفر في حقها معلومات</u>**:

لقد حضي قساوسة الفداء « Pères Rédempteurs » المبعوثين إلى الجزائر في الوسط المسيحي بمكانه محترمة جدا تصل إلى درجة القداسة.

و لمسنا ذلك من خلال الكتابات الأوروبية المتأخرة حول تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية. حيث اعتمدت في استيقاء معلوماتها بصفة كبيرة على تقارير هؤلاء الأشخاص « Les Pères Rédempteurs »[*]. و هي في مجملها رحلات دينية مؤسسة على أسطورة الباربراسك ، حيث تضمنت الأحكام و الصور الدعائية الأكثر تأثيراً في تاريخ البربر. وعملت على زيادة حدة التأزم في العلاقات الشمالية الجنوبية التي فرضتها حروب الاسترداد "الروكنكسطا" « Reconquista » بعد سقوط غرناطة 1492 م[1].

سنتناول بعض النماذج من هذه الشخصيات الدينية المرموقة من خلال إدراج بيبليوغرافيات مختصرة مع تسليط الضوء على أهم أعمالهم و كتاباتهم المتوفرة لدينا.حول الجزائر.

أ. **<u>فراي دايغو دو هايدو «Fray Diego de HAËDO »</u>**:

"عمل "هايدو" « HAËDO » إبداع قلب نبيل، هو نداء للإحسان المسيحي و العمل الخيري الذي أنقذ كثيرًا من البؤساء بواسطة آباء الفداء ... إننا نحترمه كثيرًا".

بهذه العبارات، ختم "مولينر فيول" « Moliner-Violle » تقديمه لكتاب هايدو المعنون بـ: « De la Captivité à Alger »[**].

- فمن تكون هذه الشخصية التي تحضى بهذا الاحترام الكبير؟
- ما هي أهم أعمالها ؟

"فراي دايغو دو هايدو" « Fray Diego de HAËDO » من أصل إسباني، ولد وسط عائلة عريقة بالقرب من واد « Carança »، وصل إلى أعلى المناصب في مذهب « Saint benoît »، حيث كان مطراناً "رئيس الأساقفة"، و من رجال الدين المرموقين آنذاك، نظراً

---

[*] وقف الكتاب الأوروبيون الذين كتبوا حول الجزائر خلال الحقبة العثمانية موقف عدم الثقة من مصادرنا المحلية و دعوا إلى الاعتماد على المصادر الأوروبية على رأسها تقارير رجال الدين و قساوسة الفداء، ومن بينهم هؤلاء الكتاب: "غرامون" « Grammont » .

[1] FILALI Kamel, <u>Les voyageurs religieux dans le regard de Laugier de Tassy, en mission à Alger (1725)</u>, Revue « Emigrations et Voyages », Université Mentouri-Constantine, vol 01, Avril, 2005, p. 21.

[**] انظر مقدمة كتاب "هايدو": « De la Captivité à Alger » ، ص. 3.

للخدمات الكبيرة التي قدمها للمسيحية والمسيحيين إلى غاية وفاته في النصف الأول من القرن 17 م(*).

لقد اختلفت الآراء حول قضية مجيء "هايدو" « HAËDO » كأسير إلى الجزائر، و حتى سنة 1870 م كان الكثير من الدارسين يشكك في صحة هذا الأمر على رأسهم مترجماً كتاب "طوبوغرافيا و تاريخ الجزائر" « Monnereau » و « Berbrugger »، إلاّ أن هذه الشكوك اضمحلت بظهور مخطوط للأب "دان" « p. pierre Dan » بمكتبة « Mazarine » بباريس بعنوان: « Les illustres captifs » تحت رقم 1919، و الذي يعالج فيه قضية المسيحيين الذين أخذوا على ظهر السفن كأسرى من طرف المسلمين، حيث ورد فيه ذكر "هايدو" ضمن قائمة المأسورين.

هذا و قد خصص له الفصل الثاني عشر بعنوان: « Histoire de la Captivité à Alger de Fray Diego de HAËDO de Fromesta »(**).

وصف « GRAMMONT » كتابات "هايدو" « HAËDO » حول الجزائر بأنها وثيقة واضحة و دقيقة استحضر فيها صاحبها كل وعيه و ضميره. كما كان في بعض الأحيان شاهداً على الأحداث، لأنه أقام في الجزائر لسنوات عديدة (من 1578 م إلى 1581 م)(1).

إن هذه العبارات تؤكد زوال التشكيك في قضية مجيء "هايدو" « HAËDO » إلى الجزائر و إقامته فيها من جهة، كما تبين بوضوح أهمية عمل "هايدو" « HAËDO » في الوسط المسيحي.

قام "هايدو" سنة 1612 م بإهداء كتابه باللغة الإسبانية إلى عمه القائد العام لمملكة صقلية « Don Diego De HAËDO » في عهد الملك « Philippe II » (1527- 1598)(***)، و لم يطبع إلاّ بإذن ملكي بعد الإطلاع عليه و الإجماع على أنه لا يحتوي على ما يسيء للدولة و الأدب(2).

(*) حول حياة هايدو، انظر:
- البيبليوغرافيا الواردة كملحق في ص. 233. تحت عنوان: « Notice sur HAËDO, rédigée par Ferdinand Denis » في كتاب هايدو المعنون بـ: - HAËDO (Fray Diego de), <u>Histoire Des Rois d'Alger</u>, trad. par H.-D de Grammont, présentation de Jocelyne Dakhlia, Éditions Bouchène, Alger, 1998

(**) ورد هذا الكلام في هامش مقدمة كتاب "هايدو" المعنون بـ: « Histoire des Rois d'Alger »، ص. 16.

(1) مقدمة كتاب هايدو « Histoire des Rois d'Alger »، ص. 15.

(***) « Philippe II »: ملك إسباني تولى الحكم بعد وفاة أبيه شارل الخامس (شارلكان) سنة 1556 م، انظر:
- <u>LAROUSSE ENCYCLOP2DIQUE</u> , V 2, p. 1198.

(2) انظر: مقدمة كتاب هايدو « De la Captivité à Alger »، ص. 05.

تتمحور أعمال "هايدو" « HAËDO » حول الطبوغرافية و التاريخ العام للجزائر، و تحتوي على خمس دراسات مختلفة، و هي:

- طوبوغرافيا الجزائر « La Topographie d’Alger »
- تاريخ ملوك الجزائر « Histoire des Rois d’Alger »
- الأسر في الجزائر « De la captivité à Alger »
- الشهداء و المرابطون « Les Martyres et Les Marabouts »

❖ La Topographie d’Alger "طوبوغرافيا الجزائر":

ترجمت إلى اللغة الفرنسية من طرف: « M . M. Monnereau » و « Berbrugger » و نشرت فصولها بالمجلة الإفريقية في عدديها 14 و 15 (1870-1871)[1].

بعد قراءتنا لمحتوى فصول الطوبوغرافيا وجدناها عبارة عن دراسة وصفية دقيقة جدًا تجعل القارئ يرسم في دهنه صورة جلية عن الجزائر من حيث:

- تاريخها (بناؤها، ملوكها، وحكامها).
- مناخها و عمرانها (أسوارها، حصونها، أبوابها، شوارعها، بيوتها).
- سكانها (الأتراك، العلوج، الــقياد، الانكشارية، القراصنة، اليهود ...).
- العادات و التقاليد (الأعياد و المناسبات، اللغات و اللباس...).

❖ Histoire des Rois d’Alger "تاريخ ملوك الجزائر":

وضّح « GRAMMONT » دوافع إقدامه على ترجمة هذا الكتاب بهذه العبارات: "يعتبر هذا الكتاب الجزء الرئيسي في عمل "هايدو" « HAËDO »، و معرفته ضرورية لكل من يهتم بتاريخ الجزائر، لأنه الكتاب الوحيد الذي بدّد الظلام عن الفترة التاريخية (القرن 16 م)، و بدونه يسيطر الليل القاتم على كل هذه الفترة، لهذا قمت بترجمته[2]".

أصبح هذا الكتاب معروفاً لدى المؤرخين و هو عبارة عن جرد « inventaire » لقائمة بأسماء ملوك الجزائر خلال القرن 16 م، وفق تسلسل كرونولوجي بداية بـ: "عروج بربروس" (1516 م - 1518 م) إلى مصطفى باشا (1596 م- 1598 م).

---

[1] HAËDO (Fray Diego de), Topographie et histoire générale d’Alger, trad. Monnereau et Berbrugger, R. A. 1870-1871.

[2] من مقدمة كتاب - HAËDO (Fray Diego de), Histoire Des Rois … , op. cit., p. 15

❖ De la captivité à Alger "الأسر في الجزائر":

ترجمت هذه الدراسة من طرف « Moliner Violle »، و جاءت في شكل حوار دار بين « Antonio Gonzalez de Torres »أحد فرسان القديس « Chevalier de Saint Jean » الذي جاء لزيارة أحد أصدقائه الأسرى بسجن الجزائر، وهو الدكتور "سوزا" « Sosa » فكان ذلك اللقاء فرصة للحديث عن معاناة الأسرى في الجزائر و قدرهم المشؤوم بها[1].

لم يكن "هايدو" « HAËDO » في هذا العمل حاقداً فقط على الملاك البرابرة (أسياد الأسرى) و الطامعين من العلوج، بل كان ساخطاً أيضا على بعض المسيحيين من النبلاء و الأثرياء الذين يُسرفون أموالاً طائلة كان من المفروض أن تخصص لإنقاذ الأسرى و فدائهم.

في عتابه لهؤلاء المتخلفين عن هذا الواجب المقدس، يتساءل على لسان شخصية « Antonio »: " لماذا - و في هذه الحالة – لم تبادر السلطات المسيحية ؟ أين الإحسان ؟ أين محبة الله ؟ أين حماس المسيحيين لنصرة الرّب ؟ أين الطموح و التضحية من أجله ؟ أين هي الشفقة و التضامن الإنساني ؟"[2].

❖ Les Martyres et Les Marabouts "الشهداء و المرابطون":

قُدم هذا العمل أيضاً في شكل حوار جاء في خضم الزيارة التي قام بها القائد "جيروم راميرز" « Capitaine Jérôme Ramirez » لصديقه الدكتور « Sosa » في السجن، حيث شاهد كتاباً بين يدي هذا السجين، فكان ذلك فرصة مناسبة للحديث حول فائدة قراءة الكتب الجيدة خاصة حول حياة القدسيين و شهداء الإيمان.

و حول هذا الموضوع قص عليه قصة موت "القديس بولان" « Saint Paulin » الذي كان أسيراً في بلاد البربر[3].

كما أثبت قائمة بأسماء بعض الأسرى الذين قتلوا على يد أتراك الجزائر، مع رسم صور بشعة لعذاب و معاناة هؤلاء الشهداء « Les Martyres » على حد تعبيره.

---

(1) HAËDO (Fray Diego de), De la captivité … op. cit., p. 05.
(2) Ibid., p. 188.
(3) Ibid., p. 206.

كان "جوزيف مورقان"[*] كثير النقد للمصادر الأوروبية. و كان يشعر أن الأوروبيين الذين سبقوه للتأليف كانوا مدفوعين بروح الجهل و الحقد الديني و الأحكام المسبقة. لذلك فقد انتقد "هايدو" « HAËDO »، رغم أنه يعترف له بالفضل و قد أسماه مرشده في عمله، فقال بأن كتاباته تقوم على فكرة رئيسية هي: أسر المسيحيين من طرف الجزائريين و موتهم على أيدي المسلمين، و هي فكرة - حسب رأيه - تافهة، فاتهمه بضيق الأفق و المحاباة الدينية[1].

من خلال هذا العرض الموجز، اتضح لنا أن أعمال هايدو « HAËDO » تدخل ضمن الكتابات الإثنولوجية المهتمة بأنماط المعيشة، عادات و تقاليد المجتمع بمختلف فئاته مع التركيز في أكثر من مناسبة على تقديم أوصاف مبالغ فيها لحالة الأسرى المسيحيين في الجزائر. تجعل من يسلم بصدقها يرسم صورة موحشة و قاتمة عن واقع الجزائر آنذاك سلطةً و مجتمعاً.

لقد لوحظ اهتماما كبيرا بأعمال هايدو « HAËDO » منذ احتلال الجزائر من طرف أصحاب الدراسات الحديثة لمعرفة خصوصيات هذا البلد[**].

ونحن بدورنا – في هذه الدراسة – أولينا كتابات هايدو « HAËDO » عناية كبيرة بإبرازها كنموذج عن الكتابات الدعائية لقساوسة الفداء « Les Rédemptoristes » مع إخضاعها للنقد اعتماداً على بعض المصادر المحلية الناذرة و مؤلفات أوروبية أكثر مصداقية، مؤسسة على واقع علمي و حيوي في شكل رحلات سياسية أو استكشافية على رأسها كتابات الدكتور "شو" « SHAW » و "لوجي دو طاسي" « LAUGIER DE Tassy ».

---

[*] عاش "مورقان" سنوات طويلة في الجزائر و تولى منها بعض المهام في قنصلية بلاده في عهد القنصل البريطاني "ربير كول" « R. Cole »، و قد كتب حول الجزائر كتاباً ضخماً باللغة الانجليزية بعنوان "الكامل في تاريخ الجزائر"، يقع في أكثر من 700 صفحة، طبع سنة 1731 م، عرض محتواه بإيجاز الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتاب " أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر" تحت عنوان: الجزائر في مؤلف انجليزي قديم، 1731 م، من الصفحة 313 إلى الصفحة 327.

[1] سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، القسم الأول، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر (1401 هـ / 1981 م)، ص. 315.

[**] الدليل على ذلك ترجمة طبوغرافية "هايدو"، ونشرها بالمجلة الإفريقية. « Revue Africaine, n :14 - 15 (années 1870-1871) » -

ب. الأب بيار دان « Père pierre Dan »:

يعتبر الأب "دان" « Père pierre Dan » أيضا من الشخصيات الدينية المسيحية المرموقة، كما يعتبر مؤلفه "تاريخ البلاد البربرية و قراصنتها" « Histoire de la Barbarie et de ses corsaires » من أهم ما كتب من طرف قساوسة الفداء حول تاريخ شمال إفريقيا عامة و الجزائر بصفة خاصة.

في الواقع، لم نعثر على معلومات تتعلق بمولده و نشأته الأولى لعدم حصولنا على وثيقة تفصل في ذلك.

لذا فقد حاولنا استغلال الوثيقة المطبوعة الوحيدة المتاحة لدينا، و المتمثلة في كتابه - المشار إليه سابقاً - لاستخراج و استنتاج بعض معالم شخصيته.

الأب "بيار دان" « Père pierre Dan » شخصية دينية مسيحية، من أصل فرنسي، حامل لشهادة الباكالوريا في علم اللاهوت « La Théologie » من جامعة باريس، كان رئيس دير جمعية تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى « L'Ordre de la sainte Trinité et de la rédemption des Captifs » بمدينة فونتين بلو « Fontaine Bleau »[*]. كلف بمهمة القدوم إلى بلاد البربر لافتداء الأسرى في 19 ماي 1631 م[1].

طبع كتابه لأول مرة بإذن ملكي (من طرف الملك لويس الثالث عشر 1610 م-1643 م) بتاريخ 17 أكتوبر 1636 م. بعد حصول الإقرار و الإجماع في 02 سبتمبر 1636 م على أنه لا يتعارض مع المعتقدات المسيحية و لا يسيء للدولة الملكية[2].

أما نحن فقد اعتمدنا على الطبعة الثانية من هذا الكتاب (طبعة 1637) الموجودة تحت رقم 50026 بجناح الرصيد المغربي « Fond Maghrébin » بالمكتبة الوطنية - الحامة - الجزائر العاصمة.

ينقسم هذا الكتاب إلى ستة أجزاء « Six livres » وضعت تحت عنوان شامل « Histoire de la Barbarie et de ses corsaires »، يحتوي كل جزء على مجموعة من الفصول تحمل عناوين كبرى مفصلة في عناوين صغرى.

---

[*] انظر: « Approbation des Docteurs » الواردة بعد مقدمة كتاب: - DAN (Pierre), op. cit., livre 1.

[1] Ibid., p. 40.

[2] انظر: « Approbation des Docteurs » الواردة بعد مقدمة كتاب "دان" « Histoire de la Barbarie et de ses corsaires ».

على عكس كتابات "هايدو" « HAËDO » ، وجدنا بعض الصعوبات في قراءة هذا الكتاب، تتعلق خاصة بنوعية الخط و الطريقة التي كتب بها. إذ يفتقر إلى المنهجية في الوصف و المعالجة. كما يتميز في بعض الأحيان بالإطناب و التكرار.

حاولنا تتبع و اقتصاص ما يتعلق بالجزائر، فاستدعى الأمر قراءة الأجزاء الستة، حيث نجده ينتقل في حديثه من إقليم إلى آخر فيتحدث أحيانا في عنصر واحد عن الجزائر و تونس و المغرب ...

ركز "الأب دان" « P. Dan » في كتابه على قضية القرصنة البحرية، الأسرى و عمليات افتدائهم، كما روى تقارير رحلات إلى بلاد البربر بحيثياتها و تفاصيلها خاصة رحلات 1643 م - 1645 م - 1646 م.

نالت الجزائر في عمله حظا وافراً من الكتابة و الوصف حيث تحدث عن مواضع متعددة منها:

- نشاط القرصنة، حكام الجزائر و صفاتهم، الحدائق، المنازل، المساجد، الأبواب، التحصينات، اللغات ... الخ.
- الأسرى: لباسهم، أعمالهم، بيعهم، اعتناق بعضهم للإسلام ... الخ.
- الطب و الاستشفاء في الجزائر: المستشفيات، الأسقفيات، ... الخ.
- عادات و تقاليد المجتمع ... الخ.

إن إقامة "الأب دان" « P. Dan » في أقاليم شمال إفريقيا بما فيها الجزائر، كانت فرصة له لـ:

- الإشادة بأعمال رجال الدين و القساوسة « Les Rédemptoristes » خاصة أصحاب الثالوث المقدس، في افتداء الأسرى و تأدية مهامهم و التزاماتهم هناك.
- إظهار العداء الذي يكنه المسيحيون للمسلمين في بلاد البربر و إبراز مجتمعاتهم في صورة وحشية قاتمة.

قيم "مولاي بلحميسي" هذا الكتاب في عبارات مختصرة: "إنه نسيج من الأحكام العدائية الخاطئة التي استهدفت حكومة الجزائر و عادات سكانها، الذين و وصفهم بالقسوة و الوحشية

و اللصوصية و الشعوذة. كما أنه عبارة عن قصص مأساوية لعذاب المسيحيين الأسرى على يد أعدائهم المسلمين"[1].

و عليه فكتاب "دان" « Dan » يعتبر من المصادر الهامة لتاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية، إلاّ أنه يكتسي نزعة دعائية عدائية للمسلمين. فهو بالنسبة إلينا ليس وسيلة لاستقاء المعلومات بقدر ما هو صورة لمسلمي شمال إفريقيا، كما أرادها قساوسة الفداء أن تكون في عيون مسيحيي القرن 17 م.

ج. جون باتيست غرامي « Jean Baptiste Gramaye » (1579 - 1635):[*]

ولد بضواحي « Anvers »، تلقى تعليمه الأول في مدرسة « Faucon » ثم انتقل إلى جامعة « Louvain »، ومنها تحصل على شهادة ليسانس في الفلسفة و الحقوق[2].

كان كاتباً رسوليا « Protonotaire Apostolique ».

أسر من طرف قراصنة الجزائر في 1619 م و مكث بهذه المدينة حوالي ستة (6) أشهر[3].

كان يكتب باللاتينية، و أشهر مؤلفاته حول الجزائر دراسة جيوتاريخية تتألف من عملين هما:

- Diarum (Journal)
- L'Afriqua Illustrata

تغطي هذه الدراسة الفترة الزمنية الممتدة بين أواخر القرن 16 م و بدايات القرن 17 م، و هي ما عُبِّرَ عنها بالحلقة المفقودة، أي فترة الفراغ بين كتابات "هايدو" « HAËDO » و كتابات "الأب دان" « P. Dan »[**].

ترجمت هذه الدراسة من طرف الباحث عبد الهادي بن منصور، و طبعت سنة 1998 م تحت هذا العنوان:

Alger XVI^e – XVII^e siècle, Journal de Jean - Baptiste Gramaye, « évêque d'Afrique »

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe..., op. cit., p. 28.

[*] يرد اسمه « Gramaye » أو « Gramayes » أو « Grammaye » أو « Gramay » أو « Grammay » أو « Gramey » أو « Grammey » أو « De Grammaye » ... الخ.انظر الفصل الثاني بعنوان: « Jean Baptiste Gramaye » في:

- BEN MANSOUR (Abd El hadi), op. cit., p. 35.

[2] Ibid., p. 37.

[3] Ibid., p. 7.

[**] انظر مقدمة كتاب:

- BEN MANSOUR (Abd El hadi), op. cit., p. 07.

إن القارئ لهذا العمل يجده عبارة عن مجموعة قصص درامية تشيد بجهود التنظيمات الدينية في افتداء الأسرى، كما تروي مغامرات صاحبها و مهامه في الجزائر، و هي من جهة أخرى دراسة وصفية دقيقة تضمنت عرضاً لطبوغرافية مدينة الجزائر و مختلف العناصر و الفئات البشرية التي تقطنها (الأتراك، البلْدية، الكراغلة، اليهود، العلوج، المسيحيون "الأسرى"، ... ... الخ).

أما الهدف الرئيسي من هذا العمل فيتمثل في إظهار مأساة الأسرى المسيحيين في الجزائر و إثارة الشعور المسيحي ضد المسلمين حيث يقول "بلحميسي": "إذا كان القسم الجغرافي من هذه الدراسة سرقة أدبية من عمل "الحسن الوزان" المعروف بـ: ليون الإفريقي[*]، فإن القسم السياسي منها عبارة عن نداءٍ و تحريض جدي على احتلال الجزائر، و دعوة لاتحاد الدول المسيحية من أجل تحطيم الأيالات المغاربية"[1].

في الأخير نستنتج - و من خلال قراءتنا لهذا العمل و أعمال "هايدو" « HAËDO » و "الأب دان" « P. Dan » وغيرها من كتابات رجال الدين المسيحيين - بأن هؤلاء قد كانوا مولعين بالتدوين و دقة الملاحظة و الوصف - بصرف النظر عن حقيقة نواياهم - لذا فهذه الكتابات جديرة بالاهتمام و الدراسة.

---

[*] يقصد به كتاب وصف إفريقيا للحسن ابن محمد الوزان الفاسي.

[1] BELHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe et … , op. cit., p. 27.

الفصل الثاني:

المهام المعلنة لمفتديي الأسرى في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية

I. الافتداء

II. تقديم الرعاية الصحية للأسرى

III. تقديم الرعاية الروحية للأسرى

الـفـصل الـثـانـي

المهام المعلنة لمفتديي الأسرى في مدينة الجزائر خلال الحقبة العثمانية

إن تحديد مهام و التزامات هذه الفئة بدقة ليس بالأمر السهل، خاصة في غياب المصادر المحلية التي تتناول هذا الموضوع، الأمر الذي فرض علينا الاعتماد شبه الكلي على المصادر الأوروبية من تقارير الأسرى(*) و القساوسة(**) و الرحالة و الجغرافيين(***) الذين زاروا الجزائر وأقاموا بها لفترات زمنية معينة.

إن أغلب هذه الكتابات عبارة عن أقاصيص مطولة لتفاصيل مغامراتهم و رحلاتهم ، كما ركزنا على إبراز خصائص الحكم التركي في الجزائر، و دراسة عادات و تقاليد المجتمع الجزائري.

بعد اطلاعنا على بعض هذه المصادر توصلنا إلى أن لهؤلاء المسيحيين مهاماً متعددة يمكن أن نقسمها إلى قسمين:

- مهام معلنة مصرّح بها، و مهام خفية (سرية) استنتجناها من خلال القراءة المتأنية و الواعية لكتاباتهم.

تتمثل مهامهم المعلنة فيما يلي:

I. افتداء الأسرى المسيحيين:

على غرار الجهاد عند المسلمين، يعتبر الافتداء ركن أساسي و واجب مقدس عند المسيحيين(****)، و قد عبَّر "الأب دان" « P. Dan » عن قداسة هذا الواجب بقوله: "إن المسيح لم يفتدِ البشرية لا بالذهب و لا بالفضة، و إنما افتداها بدمه الغالي الذي انحدر بأعماق الأرض

(*) من بين هؤلاء الأسرى "إيمانوال داروندا"، "كاتكارت"، "ماس كاروناس، ... الخ.

(**) منها: كتابات "الأب دان"، "القس هايدو"، "الأب غود فروا"، "غرامي"، ... الخ.

(***) مثل "الدكتور شو" و" دابر".

(****) عبر « M. Pavy » عن قداسة هذا الواجب بهذه العبارات: "L'Église n'a cessé de répéter les paroles de notre admirable Cyprien : Qu'un membre souffre, les autres membres doivent souffrir avec lui … les prisonniers sont les temples de Dieu … C'est Jésus - Christ qui est captifs dans ses membres, comment ne pas racheter à prix d'argent ce lui qui nous a achetés dans son sang ? " voire :

- M. Pavy, La Piraterie Musulmane, R. A., N°: 2, 1857 - 1858, p. 342.

في كل بقاع المعمورة من أجل إنقاذ الأسرى المسيحيين الذين يعانون العذاب و الموت، و إخراجهم من الظلمات إلى النور ... فنحن مجبرون على إنقاذ هؤلاء الأسرى ... "[1].

و أضاف "غرامي" « Gramaye » قائلاً: "كل واحد كان يتمنى أن تتيح له فرصة التضحية بالنفس، بتقديم التبرعات و الأعمال الخيرية من اجل مداواة هذا الجرح الذي تعاني منه هذه المجموعة أو الفئة (أي الأسرى)"[2].

إذن، لقد كانت المهمة الأساسية لآباء الثالوث المقدس و غيرهم من رجال الدين المسيحيين التابعين لمختلف التنظيمات الدينية التي ذكرناها سابقاً هي افتداء الأسرى المسيحيين[3]، حيث كانت ترسل بعثات من رجال الدين إلى مدينة الجزائر و مختلف مدن شمال إفريقيا[*]، للإقامة بها ابتداءً من القرن السادس عشر ميلادي(16 م)[4]. فإطلاق اسم « Pères Rédempteurs » أو « Rédemptoristes » الذي يعني أباء الفداء. أو مفتدي الأسرى يؤكد ارتباط مهمة الفداء بهذه الشخصيات.

لخَّصَ "وليم سبنسر" إجراءات افتداء الأسرى في الجزائر من طرف هيئة دينية في هذه العبارات الموجزة: "... فمع الوصول إلى مدينة الجزائر، يقدم المبعوث نفسه إلى سلطات الميناء مصرحاً بالمبلغ المالي الذي يحمله معه، ثم يدفع 3.5% منه كضرب من واجب الميناء، بالإضافة إلى ذلك فإنه يقدم مبلغاً مماثلاً في شكل هدايا للداي و إلى ممثل الديوان، و عندئذ يُجَهَّزُ بسكن و مترجم و يسمح له بإعلام كنيسته (أو البعثة إذا كان أحدهما عاملاً في المدينة) و يجلب لهم الأسرى الذين جاؤوا لافتدائهم من سكناتهم المختلفة أو من طرف مالكيهم أو من المهجع (السجن)... و يسمح لهم بالمساهمة بأي توفيرات يكونون قد جمعوها بهدف مبلغ الافتداء ... و حين يدفع مبلغ الفدية، يسلم الأسير إلى المبعوث و يعطى له معطفا أبيض اللون كرمز لتوبته، و حينئذ يقود القس أو رجل الكنيسة كل الأسرى المفتدين إلى البلدية. حيث تصدر

---

[1] DAN (Pierre), op. cit., Livre 01, p. 67.

[2] BEN MANSOUR (Abd El hadi), op. cit., p. 137.

[3] من مقدمة كتاب:

- DE LA FAYE (Jean) et autres, Relation en forme de Journal du Voyage pour la Rédemption des captifs aux Royaumes de Maroc et d'Alger pendant les années 1723, 1724 et 1725, présentation et notes de Ahmed Farouk, Éditions Bouchène, 2000, p. 07.

[*] لم تقتصر عملية افتداء الأسرى المسيحيين على مدينة الجزائر، بل كانت هذه البعثات موجهة إلى مختلف المدن الساحلية لشمال إفريقيا، خاصة: تونس، سيلا، طرابلس، ... الخ، انظر:

- GODEFROY, et autres, État Des Royaumes De Barbarie, Tripoli, Tunis, & Alger, Avec la Tradition de l'Eglise, pour le rachat ou le soulagement des captifs, A ROUEN.

و انظر أيضًا:

- DAN (Pierre), op. cit.

[4] BEN MANSOUR (Abd El hadi), op. cit., p. 14.

شهادة حرية لكل واحد منهم، و عندها يأخذ المبعوث إذناً رسمياً بالمغادرة من الداي و يتوجه إلى الميناء للصعود على السفينة، و يستخلص 10% إضافة على مجموع مبلغ الافتداء قبل أن يسمح للأسرى بمغادرة مدينة الجزائر ... "[1].

إن هذا العرض المقتضب، يستدعي منا تفصيل هذه الإجراءات التي كانت تستغرق مدة زمنية معتبرة و تتطلب جهودًا مادية و معنوية كبيرة، فالتحضير لعمليات الفداء ينطلق من الأراضي المسيحية بداية بعملية جمع الأموال.

1) **جمع أموال الفداء**:

إن الفداءات التي تتم من طرف آباء و قساوسة الفداء مكلفة كثيرًا، لأن هؤلاء الآباء مجبرون على دفع بعض الحقوق و مرغمون على تقديم هدية للداي و بعض ضباط الديوان و كثيرًا ما يتطلب تحرير بعض الأسرى، مبالغ باهظة تحددها إرادة الداي[2].

لقد كانت عملية جمع الأموال منظمة رغم صعوبتها[3] تساهم فيها عدة أطراف: الملوك، الكنيسة (رجال الدين)، و كذلك الشعوب.

كتب أحد القناصل يناشد العامة الهبات و التبرعات المالية بعبارات مؤثرة هذا نصها: "باسم الرَّب ندعوكم، أمراء و قادة، معاً جماعات و فرادى نَمُد الأيادي لإنقاذ هؤلاء الفقراء البؤساء"[4].

علل "غرامي" « Gramay » صعوبة عملية جمع المبالغ المالية الضخمة التي يتطلبها الفداء، بكون إحسان المسيحيين في هذا المجال كان ناقصاً خاصة بالنسبة للأثرياء[5]، كما عبر "هايدو " « HAËDO » عن ذلك بقوله على لسان « Sosa » : "على الرغم من أنهم ينفقون مبالغ ضخمة و ثروات هائلة من أجل تحقيق أهوائهم و رغباتهم إلاّ أننا نجدهم يتأخرون عن التصدق بمبالغ بسيطة من أجل تحرير الأطفال و العذراوات من الأسرى الذين فقدوا الأمل في الحرية و أضحوا مهددين جسدياً و روحياً" [6].

---

[1] سبنسر وليم، المرجع السابق، ص. 132.
[2] LAUGIER DE Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Préface Noël Laveau & André Nouschi, Éditions, Loysel, Paris 1992, p. 170.
[3] BEN MONSOUR (Abd El hadi), op. cit., p. 166.
[4] Ibid., p. 160.
[5] Ibid., p. 160.
[6] HAËDO (Fray Diego de), De la captivité à … op. cit., p. 188.

من أجل تغطية تكاليف الفداء التي كانت كبيرة جدًا و دفع المسيحيين لتقديم الهبات و التبرعات المالية استعملت عدة أساليب منها:

- تخصيص 80% - 94% من الميزانية وضعت تحت تصرف آباء و قساوسة الفداء من أجل افتداء أكبر عدد ممكن من الرهائن في كل من مدريد « Madrid »، سيفيل « Séville » و فالونسيا « Valence » . و هي مبالغ ملحقة بمجموعة من المدفوعات في الجزائر منذ 1660 م[1] .
- فرض غرامات مالية على كل فرد يحضر متأخرًا لأداء الصلاة، مثل ما حدث في انجلترا[*].
- فرض غرامة مالية على السلع المستوردة من الخارج و تُخصص لهذا الغرض.
- تدخل رجال الدين في الكنائس من خلال إلقاء الخطب و إسداء النصائح الهادفة إلى إثارة حماس الأفراد وحثهم على تقديم الهبات، كما ترسل الكنيسة فرقاً لجمع الأموال عبر مختلف الأقاليم[2].

مثلما حدث سنة 1643 م بفرنسا، عندما ترك الأب « Lucien » رفيقه الأب « Boniface » كرهينة في الجزائر، و وعد "عمار باشا" الجزائر (1642 م -1647 م) بإرسال أموال إليه و إلى ديوان الجزائر. فكان يتوجب عليه دفع مبلغ معتبر من المال.

حضي هذا الأب باستقبال الملكة الفرنسية (زوجة الملك لويس الثالث عشر). و قدمت له رخصة للقيام بجمع التبرعات بإجراء حملة عامة « Une quête générale » في مدينة باريس و عينت في كل قرية خورنية « Paroisse »[**] سيدتين لجمع التبرعات و الصدقات. حيث قدر المبلغ الذي جمع آنذاك بـ 11723 ليرة « livres »[***]، و أضيف إلى هذه التبرعات مبالغ أخرى عبارة عن غرامات على بعض المقرات الفرنسية[3].

---

[1] CLAUDE Larquie, La méditerranée, l'Espagne et le Maghreb au XVII^{e} siècle : le rachat des chrétiens et le commerce des hommes, Les cahier de Tunisie, Tome XLIV, N° 157 - 158. 3^{e} 4^{e} Trimestres, 1991, p. 85.

[*] ناقش البرلمان الإنجليزي قضية الأرقاء، و قرر المجلس إسعافهم في يناير (جانفي) 1641 م و 1642 م، حيث فرض مجلس العموم ضريبة تقدر بـ 1% على الواردات و الصادرات لتوفير أموال الفداء، انظر:
- جون وولف، المرجع السابق، ص. 23.

[2] BEN MANSOUR (Abd El hadi), op. cit., p. 168.

[**] Paroisse: قرية يخدمها كاهن، انظر:
- سهيل إدريس، المنهل قاموس فرنسي عربي، دار الآداب، بيروت، 2004، ص. 875.

[***] وردت في كتاب "دان" قائمة مطولة بأسماء السيدات و التبرعات المالية التي جمعت في كل قرية سوف نثبتها في الملاحق.

[3] DAN (Pierre), op. cit., Livre 02, pp. 142 - 144.

إن أكثر التنظيمات المسيحية نشاطاً في جمع الأموال هما: تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى، و تنظيم سيدة الرحمة.

تحصل القائمون عليهما على امتيازات منذ عهد الملك الفرنسي "فرانسوا الأول" « François 1er » (1515 م - 1547 م)[*]، تسمح لهم بجمع الصدقات و التبرعات المالية « Les quêtes » من مختلف المدن و القرى عبر تراب المملكة الفرنسية[1]. و قد تميزت العلاقات بين التنظيمين بطابع المنافسة، خاصة فيما يتعلق بعملية جمع الأموال إذ صرّح بذلك بوضوح الملك الفرنسي "لويس الخامس عشر" « Louis XV » [**] (1715 م - 1774 م) في رسائله المؤرخة في شهر ماي 1720 م[2].

أورد "بربريجر" « Berbrugger » في مقال له بالمجلة الإفريقية، إحدى هذه الرسائل، هذا مقتطف من نصها: "... إن الأب "كلود دو ماموك" « Claude de Mamoc »، رئيس تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى قد أظهر لنا بمعية رجال الدين التابعين لنفس التنظيم، بأن مؤسستهم تعمل على افتداء الأسرى تبعاً للبراءات البابوية « les bulles » التي وافقت على ذلك. و تحصلوا على رسائل من ملوك سبقونا مثل: "فرانسوا الأول"(1515 م - 1547م)، هنري الثاني (1547 م - 1559 م)، هنري الثالث (1579 م - 1589 م)، هنري الرابع (1589 م - 1610 م)، و لويس الثالث عشر (1610 م - 1643 م). الذين لم يسمحوا لهم بجمع التبرعات المالية في جميع المدن و القرى الفرنسية فحسب، بل وافقوا على منح امتيازات للمشرفين على جمع هذه التبرعات ممّا أثار سخط القائمين على تنظيم سيدة الرحمة « les Mercedaires »".

لإنهاء هذه المشاكل التي كانت تحدث بين أعضاء التنظيمين، تنظيم الثالوث المقدس و تنظيم سيدة الرحمة الذي يملك هو الآخر رخصة القيام بجمع التبرعات في كل أنحاء فرنسا،

---

[*] فرانسوا الأول: ولد عام 1494 م، و توفي سنة 1547 م، حكم فرنسا طيلة الفترة الممتدة من 1515 م إلى 1547 م، انظر:
- Petit Larousse illustré 1990, p. 1275.

[1] MERCIER (Erneste), op. cit., p. 152.

[**] "لويس الخامس عشر" « Louis XV »: يُعرف بلويس الحبيب « Le Bien-Aimé »، ولد بفرساي سنة 1710 م، توفي سنة 1774 م، حكم فرنسا من 1715 م إلى غاية 1774 م، انظر:
- Petit Larousse illustré 1995, p. 1480.

[2] BERBRUGGER (A.), Voies et moyens du rachat des captifs chrétiens dans les Etats barbaresques, R. A., N°: 11, 1867, p. 326.

جاء قرار 06 أوت 1638 م الذي خصص لكل تنظيم مقاطعات معينة[*] لجمع التبرعات المالية[1].

كل هذه الطرق استعملت لجمع مبالغ الفداء، إلاّ أن الأسلوب الأكثر رواجًا و نجاعة يتمثل في المواكب « Les processions » التي تقام في مختلف البلدان المسيحية خاصة فرنسا و اسبانيا[2].

- **مواكب جمع الأموال« les processions »:**

كانت تقام عقب كل عملية افتداء هامة تحت إشراف أباء و قساوسة الفداء. و يشارك فيها الأسرى الذين تحصلوا على حرياتهم، حيث بلغ عددهم في أحد المواكب - يقول "دو طاسي" « De Tassy » - حوالي 700 إلى 800 أسير[3].

قدم الأب "دان" « P. Dan » وصفا دقيقاً لأحد هذه المواكب التي شارك فيها سنة 1635 م بفرنسا حيث اتجه الجمع من مرسيليا قاصداً باريس مروراً بعدة مدن منها: "أيكس" « Aix »، "لمبوز" « Lambèse »، "افينيون" « Avignon » إلى أن وصلوا إلى باب "القديس أنطوان" « S. Antoine » أين استقبلوا بالشموع من طرف إخوانهم التابعين لنفس التنظيم (الثالوث) بعد مسيرة دامت أربعة عشر (14) يوماً من (06 ماي 1635 م إلى 20 ماي 1635 م)[4].

"دو طاسي" « De Tassy » أيضا قدم عرضاً وصفياً لهذا النوع من المواكب بأسبانيا قائلاً: "يمنع - عادة - آباء الفداء الأسرى من حلق لحاهم. فكانت طويلة، و ذلك للمشاركة في هذه المواكب حيث يرتدون برانس و قبعات مورسكية و يكبلون بسلاسل حديدية لم يوثقوا بها يوماً خلال أسرهم في الجزائر، لأن هذا المظهر يثير شفقة العامة التي تبادر بسخاء كبير لتقديم الصدقات و التبرعات المالية[5]".

---

[*] من بين المقاطعات التي خصصت لتنظيم الثالوث المقدس لجمع التبرعات المالية ما يلي: - Normandie - Touraine - Berry - Lamarche - Auvergne ... etc، انظر:

- BERBRUGGER (A)., op. cit., pp. 326 - 327.

[1] Ibid., p. 326.

[2] Ibid., p. 327.

[3] LAUGIER DE Tassy, op. cit., pp. 169 - 170.

[4] DAN (Pierre), op. cit., Livre 01, p. 60.

[5] LAUGIER DE Tassy, op. cit., pp. 169 - 170.

يبدو أن ظهور الأسرى في هذه الهيئة نوعاً من الدعاية[*] التي تهدف إلى المبالغة في إبراز معاناة الأسرى في الجزائر، حيث يستعملون عبارات جارحة و قاسية و يشيعون آلاف الحكايات أغلبها خرافية، و ذلك من أجل إثارة حماس المسيحيين ضد المسلمين من جهة، و جمع أكبر المبالغ المالية من جهة أخرى.

تحدث "جون وولف" عن هذه القضية في الفصل الخاص بالأرقاء بكتابه "الجزائر و أوروبا" مشيراً إلى وجود شواهد تؤكد بأن هناك أيضا دجالين متخفين في زي الرهبان، و ليسوا في الواقع أعضاءً في تنظيم الفداء و لا في أي تنظيم آخر، و لكن كانوا يستغلون سذاجة الناس. و كان الأرقاء الذين يستعرضهم هؤلاء الدجالون يحملون سلاسل أكثر ثقلاً، ويقصون حكايات أكثر فظاعة من أولئك الذين يرافقون أعضاء التنظيمات الشرعية، و كانوا يستغلون الأموال لمصالحهم الشخصية و للأرقاء المزعومين[1].

إذن، لقد كانت هذه المواكب تحضر بعناية و إتقان من طرف آباء الفداء « Les Pères Rédempteurs » في شكل دراما حقيقية تستعمل فيها شعارات مكتوبة و شفوية يرددها الأسرى كما تستعمل فيها طقوس[**] متنوعة يقوم بها أسرى حقيقيون و أحياناً مصطنعون[2].

2) الإبحار باتجاه الجزائر لافتداء الأسرى:

نقل لنا كثير من رجال الدين المسيحيين تفاصيل رحلات آباء الفداء باتجاه الجزائر، إمّا متحدثين عن تجاربهم الشخصية و إمّا وصفاً لما يحدث لإخوانهم أثناء هذه المغامرات[***]، فكانت هذه الروايات مصادرنا الأساسية لتغطية هذا العنصر من الدراسة.

فيما يخص تنظيم الرحمة « L'ordre Mercedaire »، جاء في كتاب « Le Miroir de la charité chrétienne »، بأن اختيار آباء الفداء يتم من طرف أعضاء الجمعية الدينية بمقر

---

[*] حول الدعاية وآلياتها، انظر: التفاصيل في الفصل الثالث.

[1] وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 216.

[**] سوف نفصل في هذه الطقوس أكثر في الحديث عن المواكب التي تقام لجمع الأموال عقب عمليات الفداء احتفالاً بنجاحها، كما نورد نماذج منها في الملاحق.

[2] BEN MANSOUR (Abd El hadi), op. cit., p. 168.

[***] من هؤلاء الذين عرضوا تفاصيل مهامهم: الأب "دان" و "لوسيان ايرو" ... الخ.

الأسقفيات، أمّا الترخيص بالذهاب فيحصلون عليه من الملك[1] و لا يكون ذلك مرهوناً بوقت معين، و إنّما بتوفر المبالغ المالية الكافية[2].

وعلى هذا الأساس تم تكليف « Père Michel Auvry » و « Père Pierre Récaudon Definiteur » سنة 1660 م بافتداء أسرى فرنسا في الجزائر[3].

هناك طقوس خاصة بآباء الرحمة يقومون بها قبل الإبحار لتنفيذ عملية الفداء، حيث يتناولون القداس، و يؤدون الصلوات المعتادة في كنيستهم بمرسيليا و بعدها يعانقون إخوانهم الذين يتأسفون على عدم قدرتهم على مرافقتهم إلى أراضي أعدائهم المسلمين[4].

بعدها يتفقد الآباء الأموال الموضوعة في صناديق خشبية محكمة الغلق بواسطة مسامير و سلاسل حديدية[5]، ليتم الإبحار بها مباشرة لإتمام المهام.

نفس الإجراءات تقريباً نجدها عند تنظيم الثالوث المقدس التي عرفنا تفاصيلها من خلال ما قدمه الأب "دان" في كتابه « Histoire de la Barbarie et des ses corsaires »، حيث اختير في 19 ماي 1631 م للإبحار إلى مدينة الجزائر من أجل افتداء الأسرى المسيحيين الموجودين بها. فاختار بعض المرافقين له، و أدوا جميعاً الصلوات و الحفلات الدينية المعتادة بعد أن تلقوا التعليمات الخاصة بإتمام المهام و تحصلوا على جواز السفر من الملك، حملوا معهم مبالغ الفداء و توجهوا إلى مرسيليا و منها إلى تادلس ثم إلى مدينة الجزائر[6].

رغم أن الإبحار باتجاه مدينة الجزائر يعتبر مجازفة مليئة بالأخطار التي تتسبب فيها خاصة رداءة الأحوال الجوية[7]، إلاّ أن هؤلاء المغامرين كانوا محل ترحيب خاص مادام القساوسة يجيؤون بالنقود العينية إلى الجزائر دون التعرض لخطر الأسر و ذلك لأن سفنهم تتميز عن غيرها براية الفداء[8].

---

(1) AUVRY & autres, op. cit., p. 26.
(2) Ibid., p. 18.
(3) Ibid., pp. 25 - 26.
(4) Ibid., p. 33.
(5) Ibid., p. 32.
(6) DAN (Pierre), op. cit., Livre 01, pp. 40 - 41.
(7) AUVRY & autres, op. cit., p. 35.

(8) وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 217.

- **راية الفداء « L’Étendard de la Rédemption »:**

كان لحملات الفداء صدى كبيراً، يظهر من خلال استعمال مجموعة من الرموز بعضها بسيط، واضح و مألوف و بعضها الآخر متعدد و معقد، حيث اتخذوا الشعارات و الرايات و الأعلام المرافقة للقوافل و الملصقة على سرايا السفن. وهذه الشعارات و الرموز توضح المهمة و الهدف المرجو من وراء هذه الحملات و المتمثل في افتداء الأسرى المسيحيين كما تبين الهيئة و التنظيم الذي يتولى هذه المهمة سواء كان آباء الرحمة أو آباء الثالوث المقدس أو غيرهم[1].

إن إنجاز هذه الرايات مكلف من الناحية المادية، ففي إحدى حملات الفداء التي قام بها آباء الرحمة باتجاه المغرب الأقصى سنة 1666 م طلبوا من الرّسام « Jean de Haro » أن يرسم بعض الصور على السفن، تتمثل في الأسلحة الملكية و كذلك أسلحة التنظيم « L’Ordre Mercedaire » و كان ذلك مقابل 182 ريال « Réaux » من الفضة، كما قاموا بتطريز شعاراتهم بواسطة الجواهر فوق قطع من الحرير.

أمّا « Les augustins de Burgos » الذين اتجهوا إلى قرطاجة قاصدين الجزائر فقد استعملوا في إحدى سفنهم راية كلفتهم 46 ريال « Réaux »[2].

بالنسبة لآباء الرحمة كانت رايتهم تحمل في الجهة الأولى صورة المسيح المصلوب « Crucifix » و أسلحة البابا و الملك، و من الجهة الأخرى صورة للعذراء المقدسة مع صورة "بيار نولاسك" « Pierre Nolasque » و "ريمون نونا" « Raymand Nonnat »[3].

أمّا راية الثالوث المقدس فكانت من النسيج الأبيض مرسوم عليها صليب أحمر و أزرق اللون مع سلاح البابا و الملك[4].

إن وجود هذه الراية يدل على أن مفتدئي الأسرى « Les rédemptoristes » هم مبعوثون رسميون يمثلون السلطة الزمنية (سلطة الملك) من جهة و السلطة الدينية (سلطة الكنيسة) من جهة ثانية و هذا من خلال الصور و الرموز التي تحملها.

---

(1) CLAUDE Larquie, op. cit., pp. 86 - 87.
(2) Ibid., pp. 86 - 87.
(3) AUVRY & autres, op. cit., p. 32.
(4) DAN (Pierre), op. cit., Livre 01, p. 60.

كما أن مهام الآباء اللازاريين في الجزائر جعلتهم يؤدون أدواراً تجاه الكنيسة و أخرى تجاه الملكية الفرنسية[1].

3) الوصول إلى مدينة الجزائر و مباشرة عملية الفداء:

بمجرد وصول آباء الفداء « Les père Rédempteurs » إلى مدينة الجزائر، يتجهون مباشرة لتحية الداي (حاكم الجزائر) حيث يقدمون له هدية تتمثل في بعض الجواهر و المبالغ المالية، عندها يطلب منهم الداي إعلامه بالمبلغ المالي و السلع التي جلبوها ، و يرسل - بعد تلقيه الجواب - "أغا باشي" للتأكد من المبلغ، كما يرسل في إحضار الثروة إلى القصر، حيث:

- يقتطع 3% من قيمة المال، و 12.5% من قيمة السلع ويأخذ أيضاً حقوق الأبواب (الدخول) « Les droits des portes »[*].
- يُجهّز الآباء بسكن خاص، كما يعين لهم ترجماناً لمساعدتهم في تأدية مهامهم[2].

تشير المراجع إلى أن هؤلاء القساوسة يعاملون طيلة مدة إقامتهم في الجزائر معاملة حسنة، حيث أن الداي يصدر أمراً رسمياً بعدم الاعتداء عليهم، كما يحصلون بعد تسديد الضرائب المطلوبة منهم على الإذن بالتنقل عبر المدينة لإتمام مهامهم.

و قد فسر الدارسون هذه القضية بكون الأيالة الجزائرية كانت بحاجة إلى المبالغ المالية التي يحملونها بغرض الفداء و أن هذه الأموال تعد من المصادر الأساسية لمداخيل الخزينة المالية آنذاك. كما أن أهل الخير من المسلمين يقدرون و يحترمون مبادئ الإحسان و الأعمال الخيرية، و رغم ذلك لا يمكن إنكار وجود حالات ناذرة تشير إلى قسوة المعاملة و حتى إلى اغتيال بعض قساوسة الفداء من قبل اللاجئين المورسكيين أخذا بالثأر من المعاملة الوحشية التي تلقوها على يد المسيحيين في الأندلس[3].

---

(1) TOURNIER (Jules), op. cit., pp. 12 - 13.

(*) تختلف المصادر والمراجع حول قيمة الضرائب المفروضة على الأموال و السلع التي يجلبها آباء الفداء.

(2) LAUGIER De Tassy, op. cit., p. 168.

(3) وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 217.

4) التفاوض حول افتداء الأسرى:

لقد كان معروفا في مدينة الجزائر انه مع وصول السفينة التي تحمل أعدادا من الأسرى من مختلف الجنسيات، تقاد مباشرة إلى قصر الداي (دار الإمارة). و ذلك حتى يأخذ الداي نصيبه من الأسرى الجدد، و المقدر - استناداً إلى شهود عيان من صفوف الأسرى- [*] بالثمُن ($\frac{1}{8}$) أي أسيــر واحــد عن ثمانية أســرى. بعدها يقاد الأســرى الباقون إلى السجون « Les Bagnes » ليعرضوا صباح اليوم الثاني للبيع في سوق الرقيق أين يتم شراؤهم من طرف الراغبين في امتلاكهم[1]، و عليه، نجد أغلب الدارسين، يُصنفون الأسرى حسب الجهة المالكة[2] إلى:

- أسرى الملك (الداي) « Les captifs des Roi »: منهم من يقيم في القصر و بعضهم في السجون « Les Bagnes » [3].
- أسرى الدولة (البايلك) « Les esclaves de l'état »: و كانوا موزعين على مصالح البايلك، حيث يعملون في القطاع العام.
- أسرى الملاك الخواص: ويطلق عليهم أحيانًا "أسرى الفدية" « Les captifs de Rachat » و هم موزعون على سكان المدينة، و تختلف معاملتهم باختلاف طبيعة ملاكهم. و هؤلاء بدورهم يصنفون إلى فئتين:
  - Ø أسرى الملاك من أسياد الأيالة (أصحاب المناصب الراقية)
  - Ø أسرى الملاك من الطبقة الثانية (من العامة)[4]

من أجل تحرير الأسرى من مختلف الفئات المذكورة، كان آباء الفداء يتفاوضون مع الجهة المالكة (الداي أو الملاك الخواص).

كل الاستراتيجيات و الطرق و التقنيات المطبقة في عملية الفداء لها هدف واحد هو تحرير الأسرى بسعر جيد لهذا الطرف أو ذاك[5]، لهذا نجد المفاوضات تستغرق - عادة - شهرين

---

[*] اعتمدنا على شهادة "ايمانوال دارندا" في كتابه المشار إليه سابقا.

[1] D'ARANDA (Emanuel), op. cit., pp. 32 - 33.
[2] LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 164.
[3] T. Yacine, Les Bagnes d'Alger d'après Cervantès, Revue d'histoire Maghrébine, N°: 21 - 22, Avril, 1981, p. 89.
[4] GRANDCHAMP (Pierre), L'esclavage chrétien en Barbarie au XVII^e siècle, par le Docteur Albert SACERDOTI, R. A. 1949, p. 134.
[5] CLAUDE Larquie, op. cit., p. 81.

أو ثلاثة أشهر قبل أن تتوج بنتائج، حيث أن آباء الفداء يريدون تحرير أكبر عدد ممكن من الأسرى برؤوس الأموال التي يملكونها. بينما يسعى الملاك للحصول على هذه الأموال مقابل إطلاق سراح أقل عدد ممكن منهم[1].

و عليه، فالصعوبات التي تعترض المفاوضات غالباً ما تتعلق بتحديد عدد الأسرى الذين يمكن فدائهم، و قيمة فدية الأسير.

بالنسبة لأسرى الداي أو البايلك، تتم المفاوضات بحضور الباشا (حاكم الجزائر)، المترجم و القساوسة (آباء الفداء)[2].

يحمل هؤلاء القساوسة معهم قائمة بأسماء الأسرى الذين كُلّفوا بافتدائهم إما من طرف التنظيم التابعين إليه و إما من طرف السلطات أو أصدقاء الأسرى و ذويهم. في حين يأمر الباشا من جهته بافتداء عدد معين فقط من الأسرى، ويفضل أن يكونوا من الشيوخ و المرضى و العجزة و مختلف الفئات غير المرغوب فيها[3].

بخصوص هذه القضية، تكرست بعض العادات و الأعراف منذ عهدي الحاكم "بابا حسن" (1672 م - 1682 م) و "الحاج شعبان" (1693 م - 1695 م). ثم حافظ عليها من جاء بعدهما: حيث كان يتم في البداية اختيار عشرة (10) مساجين من بين المسنين و المصابين « Les blessés » و المعاقين (المصابين بالعرج) « Les boiteux »، ثم بعدها يستكمل العدد بالأسرى الأصحاء. و رغم ذلك فقد كان الأسرى يعرضون على آباء الفداء و يسمح لمن يملك نقوداً بالمساهمة في فدية نفسه[4].

بالنسبة لتحديد مبلغ الفدية، فقد كان ذلك عموماً من صلاحيات الباشا (حاكم الجزائر)، و ما على آباء الفداء إلاّ الخضوع أمام قراراته[5]. أما عن التفاوض حول افتداء أسرى الملاك الخواص، فلا يتم إلاّ بالحصول على رخصة من الباشا تسمح لهم بالتعامل مع هؤلاء الملاّك حول فداء الأسرى الذين بحوزتهم[6].

---

(1) PECHOT (L.), op. cit., p. 59.

(2) DEVOULX (A), Tachrifat, Recueil de notes historiques sur l'Administration de l'Ancienne Régence d'Alger, Alger, 1852, p. 57.

(3) PECHOT (L.), op. cit., p. 60.

(4) DEVOULX (A), op. cit., p. 57

(5) سبنسر وليام، المرجع السابق، ص. 132.

(6) D'ESTRY (Stephen), op. cit., p. 119.

من أجل إنجاح المفاوضات حول تحرير الأسرى انتهج آباء الفداء بعض الأساليب منها تقديم هدايا (سلع و أموال) للداي حتى أصبح هذا الأمر عادة راسخة و من تقاليد اللقاء بين الطرفين[1].

5) تكاليف الفداء:

كانت المداخيل المالية للقرصنة البحرية التي تُحول لخزينة الدولة تأتي من ثلاثة مصادر أساسية هي: حمولات السفن و الغنائم التي تؤخذ من البحر، و الجزيات التي تدفعها مختلف الدول الأوروبية بموجب تدابير و اتفاقيات لحماية سفنها من أعمال القرصنة و مبالغ افتداء الأسرى[2] وتتكون تكاليفها من:

- مبلغ الفدية (قيمة الفدية).
- التكاليف الملحقة بها[3].

- **مبلغ الفدية (قيمة الفدية):**

يستفيد من هذا المبلغ مالك الأسير سواء كان الداي (حاكم الجزائر) أو الملاك الخواص، و تختلف قيمة الفدية باختلاف جنس الأسير و عمره و مركزه الاجتماعي.

ففي 27 سبتمبر 1750 م قام الثالوث المقدس بافتداء جماعة من أسرى البايلك بالجزائر، فكانت مبالغ الفداء غير متساوية حيث دفعوا:

- 100 بياستر عن كل أسير دون مهنة.
- 600 بياستر عن كل أسير عامل أو حرفي.

و تم افتداء ثمانية و أربعين (48) أسيراً بهذه الطريقة. أمّا في 04 أكتوبر 1750 م، فقد ألزم الداي "محمد بن بكير" (1748 م - 1754 م) رجال الدين الفرنسيين التابعين لتنظيم الرحمة « L’Ordre Mercedaire » بدفع 1000 بياستر لافتداء رجل دين أسر على ظهر السفن الإسبانية[4].

---

(1) PECHOT (L.), op. cit., p. 60.

(2) سبنسر وليام، المرجع السابق، ص. 129.

(3) GALIBERT (M. Léon), op. cit., p. 215.

(4) CHAILLOU (Lucien), Textes pour servir à l’histoire de l’Algérie au XVIII^{e} siècle, suivis de La Guerre de quinze heures, pp. 88 - 89.

أمّا فيما يتعلق بالجنس، فغالباً ما تكون قيمة فدية المرأة ضعف فدية الرجل، فإذا تحرر هذا الأخير بدفع مبلغ 300 سكة « Sequins » (عملة البندقية)، و هي حوالي 36000 فرنك فرنسي، فإن المرأة لا يمكنها استعادة حريتها إلاّ بدفع 72000 فرنك فرنسي أي ضعف المبلغ[1]، و رغم ذلك فآباء الفداء يعطون الأولوية لفدية النساء و الأطفال، لأن هؤلاء يسهل إدخالهم - حسب رأيهم - في الديانة الإسلامية عكس الرجال البالغين[2].

في سنة 1717 م أسرت إحدى الفتيات رفقة عمها و امرأتين من طرف قراصنة الجزائر و كانت هذه الفتاة من الطبقة الراقية و تبلغ من العمر اثني عشرة (12) سنة و هي الابنة الصغرى للجنرال "بورك" « Bourck » و كان يشغل منصب « Le gouverneur de la chatelleurie du boucham ». فأرغم والديها على دفع مبلغ 75000 ليرة « livre » للحصول على حريتها و حرية الأشخاص الذين معها[3].

- **لواحق الفدية**:

بالنسبة للأسرى الخواص عند تحريرهم يدفع مبلغ الفدية للمالك، بينما تستفيد من المبالغ الملحقة أجهزة الدولة المختلفة في شكل حقوق أو هدايا، تتمثل في:

- حقوق قفطان الباشا.
- حقوق أمانة الدولة.
- حقوق رئيس الميناء.
- حقوق حارس أبواب السجن.

و عادة ما تساوي هذه الحقوق ثمن فدية أخرى[4].

« Laugier De Tassy » و « Stephen d’Estry » قدما المعطيات في شكل نسب أو أرقام هي، كما يلي:

- 10% للجمارك « La douane ».
- 15 بياستر « piastre » قفطان الباشا.

(1) PECHOT (L.), op. cit., p. 29.
(2) LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 168.
(3) PECHOT (L.), op. cit., p. 215.
(4) GALIBERT (M. Léon), L’Algérie ancienne et moderne, Paris, 1844, p. 215.

- 07 بياستر « piastre » لقائد الميناء[1].

أمّا بالنسبة لأسرى البايلك، فهي موضحة بالتفصيل في دفتر التشريفات الذي يبين التكاليف الملحقة بالفدية و التي ألزم بها القساوسة الأسبان الذين أتوا إلى الجزائر لافتداء بعض أسراهم في عهد الداي "الحاج شعبان باشا" (1693 م - 1695 م)، وتم فرض هذه اللواحق في شكل هدايا على النحو التالي:

- تقديم هبات (عطايا) على ستة (6) من الأسرى المفتديين من بين المسنين و حددت بـ 1000 صايمة عن كل أسير مسن و هو ما يعادل من 60 إلى 70 ريال، أي 36 فرنك فرنسي.
- يقدم الأسبان لآغا الجماعة المكلف بالسجن (دار السركاجي) هدية تقدر بـ 1000 صايمة عن كل أسير مسن.
- بعد حقوق الباشا تأتي حقوق الأمين المسمى بـ "خوجة الدفتر"، و أمينين آخرين يسمى أحدهما (المكتابجي) و الآخر (الرقمنجي). يتلقى كل واحد منهم هدية تقدر بـ 1000 صايمة تمثل فدية أربعة أسرى.
- صاحب خزينة ديوان القصر (الخزناجي)، يستفيد هو الآخر من مبلغ يقدر بـ 1000 صايمة من طرف القساوسة الأسبان عن كل فدية أسير.
- يتلقى البايلك (خزينة البايلك) 2000 صايمة عن كل أسيرين (02) محررين.
- يستفيد قائدَا الجيوش البرية و البحرية من هدية تقدر قيمتها بـ 1000 صايمة لكل واحد منهما عن كل أسير.
- خوجة الديوان (ويشغل هذا المنصب رجلين)، يتلقى كل واحد منهما هدية تقدر بـ 1000 صايمة عن فدية كل أسير.

اختصاراً يجب تقديم عن كل أسير 43 ريال (25 فرنك و 8 سنتيم) كهدية قبل الحصول على رخصة الخروج من القصر. كما أنه ينبغي تقديم هدايا لليايابashi « yayabachi » المكلف بالذهاب للسفن، و كذلك لأمناء الديوان الأربعة: خوجة المكتبجي (و هما اثنان) خوجة الدفتر و خوجة الرقمنجي وكذلك إلى قائد الميناء و أمين الغنائم و كتاب البحرية و قائد المدينة.

---

[1] - LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 168.
- D'ESTRY (Stephen), op. cit., p. 113.

- يتلقى الباشا 02 ريال عن كل أسير.
- الأمينان (المكتابجية) خوجة الدفتر (و هو منصب يشغله أمينان)، يتلقيان هدية تقدر بـ 01 ريال (60 سنتيم) عن فدية كل أسير.
- القساوسة الأسبان يقدمون لكل مترجم انجليزي و فرنسي ريال واحد (60 سنتيم) عن افتداء كل أسير.
- مترجم الباشا يتلقى عن كل أسير كافر 18 ريالاً.
- مراقبو الأسرى يحصلون من القساوسة الأسبان هدية عن كل أسير كافر (لم تحدد قيمتها).
- بعد إتمام القساوسة الأسبان لمهامهم يقدمون هدية للجنود تقدر بـ ربع $(\frac{1}{4})$ ريال عن كل سجين[1].

لإعطاء فكرة أكثر وضوحا عن الفدية و التكاليف الملحقة بها، نستقرئ الأرقام التي قدمها "الأب دان" « P. Dan » و التي تخص المبالغ المالية التي جاء بها اثنان من آباء الثالوث المقدس و هما: الأب « Lucien Hérault » و « Boniface du Bois »، من مرسيليا إلى الجزائر في شهر جانفي 1643 م من أجل افتداء عدد كبير من الفرنسيين ، و كانت تقدر آنذاك بـ 24000 ليرة « livres »، حيث نجح الباشا[*] الذي كان يعلم بأنه سيجني من وراء حضورهما فائدة كبيرة ، في عقد معاهدة[**] مع الأب « P. Lucien »، تتعلق بحقوق الجمارك « Douane » و الأموال التي تدفع عقب الفداء، حيث حددت في البند الثالث من المعاهدة كما يلي:

- للباشا أكثر من عشرين (20) قطعة، ثمانية (08) قطع عن كل واحد.
- لحارس الميناء 01 بياستر.
- لأمين الباشا « Armin du Bacha » 01 بياستر.
- لعلي باشي (de la douane) 01 بياستر.
- حقوق قصر المدينة « l'Alcassave » ثلاثة (03) ريال عن كل رأس.

---

[1] DE VOULX (A.), op. cit., pp. 57 - 59.

[*] استنادًا إلى التاريخ المدون أعلاه المقصود هو: "عمار باشا" « Amar pacha » (1642 م - 1647 م).

[**] سوف نثبت نص المعاهدة في الملاحق كما نثبت قائمة الأسرى المفتديين خلال هذه المهمة بأسمائهم وجنسياتهم.

- لـ « Maître Mousse » 02.5 بياستر عن كل رأس.
- للترجمان « Truchement » 01 بياستر عن خروج كل أسير.
- حقوق الدخول بالنسبة للأموال و السلع: 01% للميناء، و08.5% للباشا و أمينه[1].

لقد كانت هذه الحقوق المفروضة من طرف قراصنة الجزائر على خروج الأسرى[*] الفرنسيين كبيرة جداً مما أرغم الأب « Herault Lucien » على الاكتفاء بافتداء ثمانية و أربعين (48) أسيراً فقط[**]، بينما بقي رفيقه « Le frère Boniface » كرهينة لمواساة الأسرى الذين بقوا في الجزائر[2].

إن آباء الفداء كانوا يقدمون أنفسهم رهنا لحرية الأسرى المسيحيين في حالة عدم تمكنهم من افتدائهم[3]، فقد اعتبر البابا « Calixte III » [***] سنة 1457 م أن مهمة (وظيفة) رجال الدين التابعين لتنظيم سيدة الرحمة تجبرهم عند ذهابهم في مهامهم لافتداء الأسرى على البقاء كرهائن و تحمل المعاناة اللازمة من أجل ذلك[4]، كما أن هناك من هؤلاء الآباء من كان يبدى رغبته في الالتزام بالبقاء كرهينة إذا تطلب الأمر ذلك لتخليص بعض الأسرى المسيحيين[5].

و قد حدثت حالات في الجزائر تطلبت بقاء هؤلاء الرهائن استنادا إلى شهود عيان، حيث أنه في شهر ماي من سنة 1660 م دفع الأب « Vigo » مع رفاقه مبلغاً مالياً قدر بحوالي 90 ألف أقجة « écus » لافتداء 360 أسير، و كان من بينهم رجال دين من مختلف التنظيمات.

بعض القساوسة صرحوا بأنهم أجبروا على الالتزام بدفع مبلغ 9000 أقجة « écus » عن 12 أسيرا من الشباب، و نظراً لعجزهم فقد بقوا كرهائن في انتظار وصول المبلغ فيما رجع رفقاؤهم إلى مدريد[6].

استناداً إلى شهود عيان، فإن بقاء آباء الفداء كرهائن كثيراً ما يعرضهم إلى معاملات قاسية من طرف سلطات الجزائر.

---

(1) انظر البند الثالث من نص المعاهدة في:
- DAN (Pierre), op. cit., livre 2, pp. 137 - 138.

(*) هناك قائمة بأسماء الأسرى الذين منعوا من مغادرة الجزائر بسبب عدم دفع Les droit des Portes في 10 أوت 1645 م بعد إتمام الأب « Herault » لمهامه.انظر: هذه القائمة مع قائمة الأسرى الذين تم تحريرهم و السماح لهم بمغادرة الجزائر باتجاه فرنسا في الملاحق.

(**) انظر أسماء هؤلاء الأسرى في الملاحق.

(2) DAN (Pierre), op. cit., livre 2, p. 139.

(3) GRAMMONT (Henri - Delmas De), op. cit., p. 126.

(***) البابا « Calixte III » (1378 م- 1458 م)، شغل منصب البابا من 1455 م إلى غاية 1458 م، انظر:
- Le Petit Larousse Illustre 1995, Dictionnaire Encyclopédique, p. 1212.

(4) AUVRY & autres, op. cit., p. 13.

(5) L. Pechot, op. cit., p. 59.

(6) AUVRY & autres, op. cit., pp. 23 - 24.

يقول مؤلف كتاب « Le Miroir de la charité » "نحن نروي ما شاهدنا بأم أعيننا … … لقد رأينا جماعة من آباء الرحمة « Les père Mercedaires » سنة 1644 م ذهبوا لافتداء 170 أسيراً، و قد أرغم واحد منهم و هو المسمى « Père sebastien Brugiere » للبقاء كرهينة لمدة 08 سنوات أين تعرض إلى مضايقات و معاناة كبيرة[1]".

إنه يقصد في هذه الرواية الآباء الثلاثة التابعين لتنظيم سيدة الرحمة و هم على التوالي: « Père sebastien Brugiere » و « père François Faysan » و « père François Faure ».

قام هؤلاء الثلاثة بافتداء سبعين (70) أسيرا في الجزائر، و أرغمهم الجنرال "علي بتشين" على افتداء ثمانين (80) آخرين من الجنود. و لأن المبلغ المالي الذي كانوا يحملونه لا يسمح بتغطية كل هذه الفديات، فقد بقي الأب « P. Brugiere » كضمان « caution » بالجزائر في انتظار وصول مبلغ الفدية المرسلة من فرنسا. و خلال المدة التي قضاها بالجزائر هذا الأب تعرض إلى معاملة قاسية من طرف الجنرال بتشين[*]، حيث ذكر بأنه وضع في السجن و أصيب بسبب تلك المعانات بالمرض، و من السجن كتب إلى زملائه الرسائل الأكثر مرارة، حيث أخبرهم فيها بأنه مهدد بالموت لأجل حثهم لدفع الأموال و تسديد ديونه[2].

6) **الوساطة اليهودية في افتداء الأسرى**:

إن أغلب مصادر معلوماتنا حول يهود الجزائر خلال العهد العثماني تتمثل في كتابات المسيحيين عنهم، فقد قدر "هايدو" عدد منازلهم في القرن السادس عشرة (16 م) بـ 150 منزلاً، كما أشار إلى أصولهم المتعددة[**].

كانت الجالية اليهودية من العناصر المهمة بالمدن الكبرى بما فيها مدينة الجزائر و هي تعود في أصولها إلى اليهود المحليين الذين استقروا بشمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي، و إلى يهود

---

[1] AUVRY & autres, op. cit., p. 22.

[*] في سنة 1646 م قدِم الأب « p. Lucien Hérault » إلى الجزائر للقيام بعمليات افتداء مجموعة من الأسرى، فطلب منه الأب الرهيبة « Brugiere » أن يخصص الأموال التي أتى بها لتخليص الأسرى الأربعين الذين احتجز بسببهم من قبل "علي بتشين"، و قد مثل: الأب « Lecien » أمام محكمة الديوان إلاّ أنه دافع عن نفسه بقوله بأن: تنظيم الثالوث المقدس و تنظيم الرحمة يختلفان عن بعضهما و أن الواحد منهما غير ملزم بتسديد ديون الآخر، انظر:

- GLEIZES C. M (Raymond), op. cit., pp. 114 - 115.

[2] Ibid., p. 115.

[**] ذكر بأن بعضهم من أصول إفريقية، و البعض الآخر أتى من اسبانيا و جزر البليار، انظر:

- HAËDO (Fray Diego de), Topographie… R.A. 1871, op. cit., pp. 90 - 91.

الأندلس الذين قدموا إلى الجزائر منذ القرن الخامس عشر الميلادي (15 م) و حتى منتصف القرن السابع عشرة الميلادي (17 م)، إضافة إلى الجماعات التي انضمت إليهم من يهود ليفورن من الموانئ الإيطالية الأخرى بعد منتصف القرن السابع عشرة الميلادي (17 م)، بهدف ممارسة التجارة و عقد الصفقات بين الدول الأوروبية و حكومة البايلك[1].

لقد استفاد هؤلاء اليهود من نشاط القرصنة في الجزائر حيث كانوا يشترون البضائع من القراصنة و يصدرونها إلى ايطاليا و فرنسا و حتى إلى الجزر الواقعة في المحيط الأطلسي[2]، وكان يهود ليفورنيا يمثلون التجار الرئيسيين في الجزائر، سواء التجارة السلعية أو تجارة الفداء (افتداء الأسرى)[3] . حيث كانوا مندمجين بعمق في عمليات نقل دراهم الفداء من أوروبا إلى الجزائر لتحرير الأسرى، إذ يلعبون دور الوساطة في هذه الصفقات[4]، و ذلك بحكم علاقاتهم و ما لديهم من مراسلين في ايطاليا و فرنسا و هولندا و غيرها[5].

بناءً على شهادة الشاعر الايطالي « Pananti » الذي كان أسيرا بالجزائر، فقد كان اليهود على علاقة بالأسرى إذ يقول: "أمّا اليوم الموالي فقد خصص لإجراء اتصالات مع القنصل الإنجليزي و أصدقائنا الموجودين في المدينة، و أجرينا أيضاً بعض الاتصالات مع بعض اليهود الذين تبدو عليهم قدرة دفع عملية فدائنا إلى الأمام" [6].

و عن الوساطة اليهودية دائماً فيما جاء على لسان الأسرى المسيحيين ما ساقه لنا "إيمانوال دارندا" بأن أحد اليهود أتاه ذات يوم يسأله عن أحد الأسرى الفرنسيين، أسر في الجزائر سنة 1641 م، كان مأموراً بافتدائه. فأخذه "إيمانوال دارندا" إلى حمام "علي بتشين" أين كان يقيم هذا الأسير مع مختلف رفقائه، و تولى هذا اليهودي دفع ثمن فدائه مقابل تحريره[7].

---

(1) سعيدوني ناصر الدين و الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 102 - 103.

(2) وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 167 - 168.

(3) LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 56.

(4) وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 168.

(5) نفسه، ص. 214.

(6) PANANTI, Relation d’un séjour à Alger, contenant des observation sur l’état actuel de cette régence, les rapports des états barbaresques avec les puissances chrétiennes, et l’importance pour celles-ci de les subjuguer, Trad. de l’anglais par Blanquiere, Le Normant, imprimeur - libraire, Paris, p. 97.

(7) ZEGHARI (Latifa El Hassar), op. cit., p. 171.

كانت أغلب الافتداءات تتم بدراهم معدنية متداولة في حوض البحر المتوسط بقيم متنوعة مثل: الدوبلات، الدوكات، الليرات و القطع الثمانية و البياستر...الخ، و غيرها من العملات[*].

7) إجراءات و طقوس ما بعد الفداء:

بعد إتمام إجراءات الفداء، يمنح لكل أسير محرر برنوساً أبيض اللون، و بعدها يتم التوجه إلى أسقفية المستشفى الإسباني، لتأدية القداس الاحتفالي و صلوات الشكر، ثم يقاد الموكب إلى قصر الباشا[1]. و هناك يمتثل الجمع أمام قاضي الأحوال المدنية « Cadi du Magistrat civil » لتلقي بطاقة الحرية « La carte franche » أو « La carte d'affranchissement » و تسمى آنذاك « Unteskeret »؛ و هي عبارة عن كشف شخصي يدون عليه الاسم، اللقب، الموطن، الطول، لون الشعر، و العلامات المميزة أو الخاصة[2]. ثم يقاد الجميع في شكل موكب منظم باتجاه الميناء للإبحار. على رأسه بعض رجال الدين إلى جانب الترجمان و البعض الآخر في وسط الموكب، بينما يحتل الباقون المؤخرة، أمّا الأسرى المحررون فيسيرون بطريقة منظمة مثنى مثنى إلى غاية الوصول إلى الميناء. في هذه اللحظة عادة يأمر الداي باتخاذ كل الإجراءات و الاحتياطات حتى لا يتسلل أحد الأسرى غير المفتدين وسط هذا الموكب[3].

بعد العودة إلى أوطانهم يواصلون السير في شكل مواكب حيث يتنقلون عبر الشوارع و المدن الأوروبية قاصدين مقرات التنظيمات المسؤولة على فدائهم، أين يستقبلون من طرف أعضائها في حفل بهيج يتميز بطقوس دينية متعددة تستمر عدة أيام[**].

---

[*] كانت العملات الأجنبية تزاحم العملة الجزائرية الذهبية كالسلطاني والفضية المتمثلة في زوج توجو أو دورو الجزائر و الريال بوجو و ربع بوجو و الصايمة ... الخ، أما النقود البرونزية و النحاسية فهي متنوعة و كثيرة التداول مثل دراهم صغار و الأسبر ونصف دراهم صغار ... الخ، انظر:
- سعيدوني ناصر الدين و الشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 27.

[1] LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 169.
[2] D'ESTRY (Stephen), op. cit.,, p. 119.
[3] LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 169.

[**] انظر نماذج لهذه المواكب، في الملاحق.

- **إحصائيات تتعلق بمجموعة من عمليات افتداء الأسرى المسيحيين تخص أكثر التنظيمات نشاطاً في الجزائر:**

إن أكثر التنظيمات و الطوائف الدينية نشاطاً في افتداء الأسرى، هما: - كما تقدم ذكره - تنظيم الثالوث المقدس لافتداء الأسرى « L'Ordre Trinitaire » و تنظيم سيدة الرحمة « L'Ordre Mercedaire ».

صرح المسؤولون عن التنظيم الأول، بأنهم افتدوا إلى غاية القرن الثامن عشر ميلادي (18 م) حوالي تسع مائة ألف (900000) أسير، إلاّ أن "غرامي" « Grammay » شكك في مصداقية هذا العدد، إذ رأى بأن فيه نوعاً من المبالغة و التضخيم، الغرض منه إبداء نوعاً من التعالي و الأهمية مقارنة بتنظيم سيدة الرحمة « L'Ordre Mercedaire »[*]. و استناداً إلى الإحصائيات التي أعتمد عليها - و التي وصفها بالدقة و الواقعية - فإن هذا التنظيم قام بافتداء تسعين ألف (90000) أسير[**] فقط طيلة مشواره في كل البلدان التي نشط بها[1].

أمّا "غرامو" « Grammont » الذي اعتمد على إحصائيات "هايدو" « HAËDO » فقد قدم رقماً - يبدو كأنه خيالياً - حيث يقر بأن أصحاب هذا التنظيم قد تمكنوا سنة 1634 م من افتداء 37720 أسير[2].

أمّا فيما يتعلق بتنظيم بسيدة الرحمة « L'Ordre Mercedaire » فقد نجح في افتداء حوالي 497736 أسير مسيحي خلال الفترة الممتدة مابين (1218 م - 1632 م).

و قد اشتهر بحملاته باتجاه الجزائر طيلة القرن السادس عشر الميلادي (16 م)، و خاصة في السنوات التالية:

1516 م - 1526 م - 1529 م - 1535 م - 1537 م - 1545 م - 1555 م - 1562 م.

أمّا في سنة 1602 م فقد نجح في ثلاث وسبعين مهمة، و تمكن من افتداء حوالي 12500 أسير، إلاّ أنه و منذ بداية القرن السابع عشر (17 م) اتجه نشاطه أكثر إلى أمريكا[3].

---

[*] أشرنا سابقاً - في عنصر - جمع أموال الفداء أن العلاقة بين هذين التنظيمين قد تميزت بطابع المنافسة.

[**] أشار الهادي الوسلاتي في أحد بحوثه أن الترينيتانيين قد تمكنوا طوال الستة قرون من عمر نشأة طائفتهم من افتداء أكثر من خمس مائة ألف أسير، إلاّ أنه لم يشير إلى مصدر هذه المعلومة في الهامش، حيث اكتفى بذكر أحد أشهر الشخصيات التي افتداها هذا التنظيم في الجزائر سنة 1580 م و هو "ميكال دي سرقنتاس"، انظر:

- الوسلاتي (الهادي) ، المرجع السابق، ص. 167.

(1) BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p. 163.

(2) GRAMMONT (Henri - Delmas De), op. cit., p. 126.

(3) BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p. 164.

و نحن من جهتنا، قمنا برصد بعض الإحصائيات التي تتعلق بالفداءات التي قام بها أعضاء التنظيمين في الجزائر، اعتماداً على قوائم الأسرى المفتدين التي قدموها في تقاريرهم المتوفرة لدينا.

أشهر عمليات الافتداء التي قام بها آباء الثالوث المقدس « Les pères Trinitaires » في الجزائر		
السنوات	أسماء الآباء	عدد الأسرى المفتديين
1545 م	- الأب سياستيان دي بور: « P. Sébastien Du port »	200 أسير
1580 م	- الأب جون جيل: « Jean Gil » - و الأب أنطونيو دو لا بيلا: « Antonio de la Bella »	186 أسير رجال و نساء من بينهم الروائي الإسباني المشهور ميكايل سرفنتس، صاحب رواية "دون كيشوت"
1635 م	- الأب دان: « P. pierre Dan »	42 أسير من مختلف الجنسيات
1643 م	- الأب لوسيان هيرو: « P. Lucien Herault »	48 أسير من جنسية فرنسية
1645 م	- الأب لوسيان هيرو: « P. Lucien Herault »	40 أسير كلهم اتجهوا إلى باريس
1662 م	- مجموعة من الآباء الترينيتانيين القادمين من أوروبا	286 أغلبهم أسبان و جنويين (13 منهم رجال و 19 منهم نساء)
1725 م	- الأب دو لافاي: « P. Jean de la Faye » - الأب دونيس ماكار: « P. Denis Mackar » - أوغستين دارسيساس: « P. Augustin d'Arcisas » - الأب هنري لو روا: « P. Henry le Roi »	46 أسير من مختلف الجنسيات
1740 م	- مجموعة من آباء الثالوث المقدس بمقاطعة النمسا التابعة للقديس "جوزيف" « Saint Joseph »	330 أسير

أشهر عمليات الافتداء التي قام بها آباء الرحمة « Père Mercedaires » في الجزائر		
السنوات	أسماء الآباء	عدد الأسرى المفتديين
1655 م	- مجموعة من آباء تنظيم الرحمة الفرنسيين	18 أسير (أغلبهم من جنسية فرنسية)
1662 م	- الأب أوفري: « P. Auvry »	100 أسير
1750 م	- مجموعة من آباء تنظيم الرحمة	66 أسير

II. تقديم الرعاية الصحية للأسرى:

نتناول قي هذا العنصر، المهام الاجتماعية و الأعمال الخيرية التي قام بها آباء الفداء، خاصة في مجال الطب و الاستشفاء، و ذلك من خلال إبراز الأدوار التي لعبتها مؤسساتهم التي نشطت في هذا المجال بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

تحدث الدكتور "ناصر الدين سعيدوني" في بحث له حول: "الأحوال الصحية و الوضع الديمغرافي في الجزائر"، فحصرها في بعض المصحات و ملاجئ العجزة. مشيراً أيضاً إلى مستشفيات رجال الدين المسيحيين التي عبّر عنها باسم: "المارستانات"، و أهمها:

- المارستان العام لرجال الدين الأسبان الذي أقامه الأب الأسباني "سيباستيان دي بور" « Père Sébastien Du port »[1] سنة 1551 م و كان أول مستشفى مسيحي بالجزائر[2].

- المستشفيات التي أنشأها الراهب "بيدرو قاريدو" « Pedro Garrido » على نفقته عام 1662 م داخل سجون الجنينة بالقرب من باب عزون[3]، حيث قام بتأسيس مواردها و جعلها في الخدمة المداومة[4]. و كان عددها خمس (05) مستشفيات، اثنين (02) منها في سجن الباشا (الجنينة) « Le bagne de génin »، و المستشفيات الأخرى في سجن الدوان « Douane »، و سجن شلبي، و أخيراً مستشفى « Santa catalina »[5].

- المستشفى اللازاري « L'hôpital Lazariste » الفرنسي[6]، الذي خصص له الملك الفرنسي "لويس الثالث عشر" (1610 م - 1643 م) إعانات مالية كبيرة.

---

(1) سعيدوني (ناصر الدين) ، ورقات جزائرية، - دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني -، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 2000، ص. 560.

(2) BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p. 163.

(3) Comité du Vieil Alger, Fondateur Henri Klein, Feuillets d'El-Djazaïr, T. 1, Éditions du Tell, Blida, Algérie 2003, p. 158.

(4) BERBRUGGER (A.), Charte des Hôpitaux Chrétiens d'Alger en 1694, R. A., N° 08, année 1949, p. 235.

(5) - Ibid., p. 236.
- Comité du Vieil Alger, op. cit., p. 164.

(6) يوجد مستشفى فرنسي آخر بالقرب من القالة كانت تشرف عليه الوكالة التجارية الفرنسية، انظر:
- سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص. 560.

كشف "بربريجر" « Berbrugger » عن وثيقة هامة للأب "برنار مونروا" « Père Bernard Monroy »، بتاريخ 16 ماي 1662 م تخص أقدم المستشفيات المسيحية بالجزائر تضمنت معلومات تاريخية تتعلق خاصة بأول هذه المستشفيات[1].

- **المستشفى الإسباني بالجزائر:**

استناداً إلى الوثيقة التي أوردها "بربريجر" « Berbrugger » دائماً [*] ، فإن هذا المبنى تأسس سنة 1551 م[**] على يد الأب الإسباني "سيباستيان دي بور" « Père Sébastien Du port »[2]، و هو من أصحاب الثالوث المقدس من "برغوس" « Burgos » الإسبانية، جاء إلى الجزائر سنة 1546 م[***] للتفاوض حول افتداء بعض الأسرى المسيحيين. أسس أسقفية « Chapelle » في سجن الملك « Bagne du Roi »، و وعد بأنه - بمجرد العودة مرة أخرى إلى الجزائر - سوف يؤسس مستشفى لمعالجة المصابين بالحمى و الجراح و العاهات من الأسرى[3].

حقق الأب "سيباستيان دي بور" « Père Sébastien Du port » هذه الرغبة سنة 1551 م حيث تحصل على تصريح من الباشا[****] يسمح له بإقامة هذا المستشفى بالسجن الكبير.

إن كلمة مستشفى « hôpital » المستعملة للتعبير عن هذا المبنى فيه نوع من المبالغة لدلالتها على الفخامة، لأنه في الواقع لم يكن سوى مستوصف صغير و فقير، لا يحتوي إلاّ على بعض الأفرشة الرثة المحشية بأوراق الذرة الصفراء و هذا رغم المجهودات التي بدلها الأب "سيباستيان دي بور" « Père Sébastien Du port » في تجهيزه بمواد التخدير

---

[1] BERBRUGGER (A.), Charte des Hôpitaux, … op. cit., p. 235.

[*] وردت في هذه الوثيقة الامتيازات التي منحها "الحاج شعبان" (1694 م - 1695 م) حاكم الجزائر لمدير مستشفيات الجزائر التي أدخلتها مقاطعة قشتالة منذ 1551 م إلى الجزائر، انظر:

-Ibid., p. 236.

[**] تشير بعض الدراسات إلى أن تأسيس هذا المستشفى كان في سنة 1552، انظر:

- Comité du Vieil Alger, op. cit., p.158.

[2] BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p 163.

[***] ذكر "بن منصور"« Ben Mansour » بأن أول زيارة لهذا الأب إلى الجزائر كانت سنة 1540 م في مهمة دامت شهرين، كما نظم رحلة فداء شارك فيها سنة 1545 م، و خلالها تمكن من فداء 200 أسير، انظر:

- Ibid., p. 164.

[3] TOURNIER (Jules), op. cit., p. 171.

[****] كان ذلك إمّا في عهد حسن باشا بن خير الدين (1546 م - 22 سبتمبر 1551 م)، و إمّا في عهد جعفر « Saffa » باشا (22 سبتمبر 1551 م - أفريل 1552 م).

و الأدوية طيلة خمس (05) سنوات قبل أن يتركه و يتوجه باستدعاء من الملك الأسباني "شارلكان" إلى مدريد سنة 1556 م ، و بقي ذلك المستشفى مهملاً[1].

كان على الأسرى المرضى انتظار سنة 1612 م[*] ليشهدوا بعثا حقيقياً لهذا المستشفى، حيث أعيد بناؤه من طرف الآباء "دون برنار مونروا" « P. Don Bernard Monroy » و "أكيلا" « P. Aquila » و "بلاسيو" « P. Palacio » و ذلك سنة 1612 م[2].

حاول "بربريجر" « Berbrugger » إبراز مكان هذا المستشفى في غياب مؤلف يحدّد بدقة هذا المكان مشيرًا إلى الرسالة التي عثر عليها للأب "دون برنار دو مونروا" « Père Don Bernard Monroy » بتاريخ 16 ماي 1612 م، جاء فيها أن في هذا العهد تأسس مستشفى الثالوث المقدس - و هو نفسه المستشفى الإسباني - في غرفة بقيت حتى ذلك التاريخ دون استغلال بالقرب من الأسقفية في طبرنة سجن البايلك « Taverne du Bagne du Beylik » بشارع باب عزون[3].

هناك رواية ارتبطت بإعادة تأسيس هذا المستشفى، هذه تفاصيلها: كلف هؤلاء الآباء بالعبور من اسبانيا باتجاه مدينة الجزائر من أجل افتداء مجموعة من الأسرى. بعد إتمام مهامهم و التأهب للعودة بالأسرى المحررين، وقع حادث (مفاجئ) أقعدهم في المدينة و كان السبب السعيد الذي أتاح الفرصة لتجديد بناء المستشفى، حيث أنه في سنة 1612 م أبحرت إحدى بنات أغا الإنكشارية، - و هي "فاطمة" خطيبة أحد الأثرياء المسلمين في الجزائر - في جولة بحرية مع خطيبها و والديه لإتمام مراسيم زواجهما. إلاّ أن تلك السفينة أُسرت من طرف أحد القراصنة المسيحيين الذي قادها إلى ميناء جزيرة كورسيكا.

بيعت "فاطمة" لإحدى العائلات المسيحية فأدخلتها في الديانة المسيحية.

بعد تلقي الأغا - والد الفتاة - لهذا الخبر المرير، أرسل مفاوضين من أجل افتداء ابنته، إلاّ أن هذه الأخيرة رفضت العودة معهم بعدما اعتنقت المسيحية مفضلة البقاء في موطنها الجديد.

---

[1] TOURNIER (Jules), op. cit., p. 171.

[*] شهد هذا المبنى سنة 1595 م محاولة لتجديد و إعادة بنائه على يد بعض القساوسة من أصحاب الثالوث المقدس، إلا أنها كانت محاولة فاشلة، انظر:
- Ibid., p. 171.

[2] Ibid., p. 172.

[3] BERBRUGGER (A.), Charte des Hôpitaux, … op. cit., p. 235.

لإخفاء الحقيقة عن والد الفتاة، و من أجل تبرير فشلهم في المهمة التي أوكلها إليهم، أخبر المفاوضون والد الفتاة بأن المسيحيين قد اجبروا ابنته على اعتناق المسيحية[*] و أنهم رفضوا إطلاق سراحها رغم المبالغ المالية المغرية المقدمة إليهم.

لقد أثارت هذه القصة ردود فعل عنيفة بالنسبة للباشا، الأغا، أعضاء الديوان و حتى السكان في الجزائر فقاموا بتقييد الأسرى المحررين بالسلاسل و احتجاز الآباء الثلاثة في السجن.

بعد ما هدأت الأوضاع، أخرج الباشا الأباء من السجون و لكنه رفض إعطاء التسريح لهم بالعودة إلى أسبانيا[1].

و هكذا عمل "دون برنار مونروا" « Père Don Bernard Monroy » على بعث المستشفى من جديد و مداواة المرضى حيث أقام في كل غرفة اثني عشرة (12) سريراً و أعاد هيكل العبادة « L'Autel » الخاص بالثالوث المقدس لمكانه[**] ، و ظل يقدم خدماته لهذا المستشفى إلى غاية وفاته سنة 1622 م.

في سنة 1619 م استفاد المستشفى من عوائد (مبالغ مالية) تقدر بـ 20 قطعة ذهبية قدمت له من طرف « P. Grimaye » الموصى له بأملاك القنصل الفرنسي بالجزائر. عندها قام كل من « P. Aquila » و « P. Palacio » بهيكلة أسقفيات في كل السجون الأخرى و بثوا فيها الخدمات[2].

إذا كانت هذه الرواية تهدف من جهة، إلى الإشادة بجهود هؤلاء الآباء في بعث المستشفى الإسباني الجديد، فإنها من جهة أخرى توحي بأن البقاء من أجل صيانة و خدمة هذا المستشفى لم يكن رغبة حقيقية من طرفهم و إنما صنعتها الظروف.

بعد وفاة "دون برنار مونروا" « Père Don Bernard Monroy » ، استفاد المستشفى من هبات أخرى عندما قدِم قساوسة المهام « Prêtres de la mission » للإقامة في القنصلية الفرنسية سنة 1646 م.

---

[*] قد تكون الفتاة أجبرت على اعتناق المسيحية و ترك الإسلام.

[1] TOURNIER (Jules), op. cit., pp. 172 - 173.

[**] وردت القصة نفسها في كتاب الأب "دان" « P. Dan » و لكنه ذكر بأن بداية وقائعها كانت سنة 1609 م، و نحن نرجح هذا التاريخ و ليس 1612 م، لأن بقاء الآباء لمدة ثلاث سنوات كافياً لإعادة بعث المستشفى في سنة 1612 م، انظر:

- DAN (Pierre), op. cit., livre 6, pp. 482 - 483.

[2] TOURNIER (Jules), op. cit., pp. 172 - 174.

خصص القنصل "فيليب لوفاشي" « Philippe Le Vacher » بعض التبرعات المرسلة مــن طرف « La Duchesse D'Aiguillon » و أحضر بعض الأدوية من باريس و مرسيليا.

بعث هذا المستشفى من جديد من طرف أحد المبشرين و هو: « Pierre de la Conception » انطلاقا من سنة 1661 م، حيث تلقى عناية كبيرة من طرف آباء الفداء « P. Rédempteurs »، إذ شيدوا به مستوصفاً صغيراً و عملوا على إنشاء ثلاثة مستشفيات أخرى في السجون المتبقية.

بعد رحلاته المتعددة باتجاه اسبانيا، استقر الأب « Pierre de la Conception »[*] نهائياً بالجزائر، حيث استكمل بناء مستشفياته و مستوصفاته في سنة 1667 م و خصص لها عوائد منتظمة، كما طلب من قنصل فرنسا « Frère Dubourdiou » وضع إدارة هذا المستشفى تحت إشراف قساوسة المهام « Les Prêtres de la mission »، إلاّ أن هؤلاء تخوفوا من أن تنحرف هذه المؤسسات تحت إدارتهم عن الطريق الذي رسمه لها مؤسسوها، و تنازلوا عن هذه المسؤولية لأصحاب الثالوث المقدس « Pères Trinitaires ».

كانت المبالغ المالية المخصصة لكل هذه المؤسسات تدفع للقنصلية الفرنسية في صندوق حديدي « coffre-fort » يفتح بواسطة مفاتيح؛ وضع الأول تحت تصرف القنصل الفرنسي و الثاني في يد مدير هذه المستشفيات[1].

كان المستشفى الإسباني تحت إدارة ثلاثة من رجال الدين، أعلاهم الأب المدير العام « père Administrateur » الذي يتمتع باحترام كبير من طرف الجميع[2] و قد شغل المنصب منذ سنة 1688 م الأب "ديسبينوزا" « Père Antoine d'Espinosa »[3].

---

[*] اسمه الحقيقي « Garrido »، بعد إتمام أعماله في خدمة المستشفيات المسيحية في الجزائر دخل في يوم الجمعة 17 جوان 1667 م إلى أحد المساجد حاملا في يده الصليب و صورة مريم العذراء، و هناك ألقى كلمات تهكمية ضد الإسلام و المسلمين، الأمر الذي ترتب عنه حرقه علانية يوم الأحد الموالي خارج باب الواد، انظر:

- Comité du Vieil Alger, op. cit., p. 158.

[1] TOURNIER (Jules), op. cit., pp. 175 - 176.

[2] PAYSSONEL (Jean - André), Voyage dans les Régences de Tunis & d'Alger, Présentation et notes de Lucette Valensi, Éditions la Découverte, Paris, 1987, p. 254.

[3] Comité du Vieil Alger, op. cit., p. 158.

كانت المستشفيات الترينيتانية بشمال إفريقيا تحت إدارة هذا المدير العام الذي يوجد مقره بمستشفى الجزائر، و هي كلها تخضع لمقاطعة قشتالة باسبانيا[1]، و تتلقى الأموال الضرورية لتسييرها بصفة خاصة من صندوق طائفة الكهنوت التي تعمل لافتداء الأسرى[2].

لقد حرص رجال الدين الأسبان على صيانة هياكل هذا المستشفى و تجهيزها أكثر و تمتعت هذه المؤسسة بحماية السلطات الجزائرية[3]. فحسب الوثيقة المتعلقة بأقدم المستشفيات المسيحية بالجزائر[*] - دائماً - فقد منحت لها امتيازات كثيرة تتضح لنا من خلال هذه المقتطفات من نصها: "نحن "الحاج شعبان" (1592 م - 1595 م)، داي و حاكم الجزائر، برضى و موافقة الأغا و الديوان، و كل العسكر بمدينة و مملكة الجزائر، نمنح الموافقة للأب « Père Queralt » رجل دين من الثالوث المقدس، و هو المدير الحالي للمستشفيات التي أدخلتها مقاطعة قشتالة إلى مدينتنا منذ 1551 م لإنقاذ المرضى المسيحيين لاستلام الامتيازات على الشكل التالي:

- نوافق على كل الامتيازات التي وافق عليها أسلافنا.
- نأمر كل سفينة من أي أمة كانت تأتي إلى مينائنا حاملة حمولة، بدفع 04 « pataque » للمدير العام و للمستشفى، و يعطي كل بحار 02 ريال و كل مسيحي يتحرر يقدم 02 ريال.
- نوافق على منح رخصة للمدير العام « Père Administrateur » الحالي و خلفائه بصنع الخمر بدون أي غرامة مالية، أما في حالة ما إذا زادت كمية الخمر عن الكمية المعتادة فيجب دفع غرامة مالية و الحقوق المعتادة.
- لا نلزم المدير العام الحالي و خلفاءه بدفع أي ديْن لصيانة المستشفى.
- النقود المتعلقة باللباس و الأدوية و كل أنواع الصيانة للمستشفى و الاستعجالات المقدمة فيها يمكن أن تدخل بحرية إلى المدينة و عندها تكون معفاة من جميع الحقوق.

---

[1] الوسلاتي (الهادي)، المرجع السابق، ص. 171.
[2] كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة و تعليق و تقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص. 103.
[3] Comité du Vieil Alger, op. cit., p. 158.
[*] حررت هذه الوثيقة باللغة التركية و ترجمت إلى اللغة الإسبانية، و تضمنت الامتيازات التي وافق عليها "الحاج شعبان"، داي و حاكم مدينة الجزائر تجاه المستشفى الترينيتاني بالجزائر و مديره « Le Maître Frère Joseph Queralt » طبيب و أستاذ بجامعة برشلونة، ، صدرت هذه الوثيقة في شهر جمادي الأولى 1505 هـ الموافق لـ 09 جانفي 1694 م، انظر:
- BERBRUGGER (A.), Charte des Hôpitaux …, op. cit., p. 239.

- نوجه أمراً لكل السجون الموجودة في مدينة الجزائر و في البايلك بتسخير مسيحي لخدمة المستشفى، و لا يتلقى مقابل ذلك اجراً شهرياً[1]".

بعد هذه اللمحة التاريخية حول بناء المستشفى المسيحي الإسباني بالجزائر و المستشفيات التي ألحقت به تِبَاعاً، نحاول تسليط الضوء على الأدوار الهامة التي كانت تقوم بها من خلال وقائع و شهادات تاريخية.

في الواقع، لم تكن لهذه المؤسسات أهمية كبيرة في بدايات القرن السابع عشر الميلادي (17 م)، سواء من حيث المهام التي كانت تؤديها أو من حيث التجهيز[2]، فقد كان المستشفى الرئيسي الموجود بسجن الملك آنذاك لا يحتوي إلاّ على تسعة (09) أفرشة، لا يعمل فيه إلاّ طبيب واحد، صيدلي و حلاق، الأمر الذي استدعى ضرورة القيام بمبادرات شخصية من طرف رجال الدين و الكهنة من أجل تجهيزه و تأثيثه مثل ما قام به الكاهن « Frère Grégorio » الذي ساهم في تدعيمه بعشرة (10) أسِرَّةٍ و آلات لتقطير المياه، و هذا دون حساب التبرعات التي كان يجمعها أسبوعياً من المسيحيين الموجودين بالجزائر[3].

مع مرور الوقت، أصبح لهذا المستشفى و غيره دور اجتماعي حيوي، يتجلى لنا ذلك من خلال التقرير المفصل الذي ساقه إلينا الأسير الأمريكي "كاثكارت" مبدياً احترامه لأصحابها في قوله: "إن هذا المستشفى يعتبر من أكبر المؤسسات الخيرية في العالم، حيث أنه يقدم رعايته لجميع الأسرى دون أن يأخذ في الاعتبار عقائدهم و طوائفهم الدينية و قومياتهم، و أي مصير كان يواجه العبيد الذين وقعوا ضحايا وباء الطاعون لولا وجود هذه المؤسسة التي تستقبلهم عندما يهتك المرض قواهم و صحتهم نتيجة الأعمال الشاقة ؟ يعود الفضل في هذا العمل الإنساني إلى هؤلاء القساوسة الذين يسمحون حتى للعبيد الذين لم يصابوا بالمرض حقيقة و إنما هم مصابون بالعياء و الإرهاق، ليبقوا في المستشفى أسبوعاً أو عشرة (10) أيام ليستريحوا و يجددوا قواهم[4]".

إن هذه العبارات تبين لنا بعض الحالات التي يبرز فيها النشاط الإستشفائي المسيحي بقوة بالإضافة إلى الشرائح و الفئات الاجتماعية و الدينية التي تستفيد من هذه الخدمات.

---

[1] BERBRUGGER (A.), Charte des Hôpitaux …, op. cit., p. 239.

[2] وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 234.

[3] MASCARENHAS (João), Esclave à Alger, (1621 - 1626), Trad. Du portugais, annoté et présenté par Paul Teyssier, Éditions Chandeigne - Librairie Portugaise, 2ém Édition, Paris, janvier 1999, pp. 62 - 63.

[4] كاثكارت، المصدر السابق، ص. 103.

- **الحالات التي يزيد فيها نشاط العمل الاستشفائي المسيحي بمدينة الجزائر:**

تميزت الفترة العثمانية بالجزائر - عموماً - بسوء الأحوال الصحية، و يعود سببها إلى انتقال العدوى و انتشار الأمراض الوبائية من الأقطار الخارجية و ذلك لانفتاح الجزائر على العالم الخارجي و من تلك الأمراض: الكوليرا - التيفوس (الحمى الصفراء) - الجدري - الطاعون - الدمل - السل - ... الخ.

و في ظل غياب اتخاذ إجراءات وقائية و علاجية صارمة من قبل حكام الجزائر[1]، كان السكان يلجؤون إلى الطب الشعبي الذي يعتمد على التداوي بواسطة العقاقير و المستحضرات النباتية و العشبية و بعض العادات و الطقوس[*].

إن حملات الوباء هذه كانت تستمر لفترة طويلة و تحصد الكثير من الأرواح بما فيها أعداد كبيرة من الأسرى المسيحيين.

من الأمثلة عن الأمراض الوبائية التي عرفتها مدينة الجزائر ما يلي:

- وباء 1654 م: المعروف بالكونية و الذي قضى على ثلث ($\frac{1}{3}$) سكان المدينة.
- وباء 1664 م: و أدى إلى تناقص عدد سكان مدينة الجزائر إلى أقل من النصف، حيث هلك فيه حوالي 10000 أسير.
- وباء عامي 1786 م / 1787 م[**]: أدى إلى هلاك 16721 نسمة من مدينة الجزائر منهم 14334 من المسلمين و الباقي من الأسرى[***] و اليهود.
- وباء عامي 1817 م / 1818 م: قضى في مدينة الجزائر على أكثر من 14000 نسمة[2].

---

[1] سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية ... المرجع السابق، ص. 559 - 560.

[*] لعلاج داء الحصبة مثلا، كان السكان في الجزائر يعرضون المريض للحرارة و يطعمونه مستحضراً عسلياً ، و يضعون له الكحل لوقاية عينيه، كما تدهن الأماكن المصابة بالزبدة الطازجة لإزالة آثار الحصبة، حول تفاصيل طرق العلاج في المجتمع الجزائري، انظر:

- SHAW (Le Docteur), Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philosophique etc. ...de cet État, trad. De l'anglais avec de nombreuses augmentations des notes géographiques & autres par M. J. Mac Carthy, Édition Bouslama, Tunis. pp. 82 - 85.

[**] استمر هذا الوباء إلى غاية 1788 م، و هو امتداد للوباء الذي ألمّ تونس و الأسكندرية سنة 1783 م، انظر:

- VENTURE DE PARADIS (Jean-Michel), op. cit., p. 51.

[***] قضى وباء الطاعون في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي بمدينة الجزائر على أكثر من 700 أسير مسيحي، انظر:

- EXQUER (Gabriel), Mémoires renfermant diverses notions sur Alger par le consul de kercy, Collection de Documents inédits sur l'histoire de l'Algérie après 1830, Librairie de la société de l'histoire de France, Paris, 1927, p. 105.

[2] سعيدني ناصر الدين ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة و المعاصرة)، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص. 126 - 127.

أمام هذا النزيف البشري الكبير، عملت المستشفيات المسيحية بالجزائر على تقديم الإسعافات الممكنة للأسرى المسيحيين المتضررين من آثار الوباء بالإضافة إلى التكفل بإجراءات دفنهم في حالة الموت(*) بمقبرة المسيحيين خارج باب الواد(**).

كان الأسرى ينقلون من السجون إلى المستشفيات المجاورة لها ليلاً طيلة فترة الوباء عبر أبواب و ممرات.

وضح "كاثكارت" قيمة العمل الإنساني الذي كانت تقوم به هذه المؤسسات الاستشفائية حيال الأسرى الأمريكيين في هذه العبارات: "ماذا كان يصنع الأمريكيون البؤساء الذين أصيبوا بالوباء الذي ذهب ضحيته عدد كبير منهم أثناء مدة أسرنا لو لا هذه المؤسسة ؟ لم يكن أمامهم من بديل سوى الموت المحقق في الشوارع أو في مقر أعمالهم أو في السجن دون أن يجدوا واحداً يساندهم في لحظة النزع الأخيرة ثم يدفنون في حفرة مثل الكلاب، ففي هذا المستشفى على الأقل يوضعون في كفن و يحملون على نعش و يشترك في تشييع جنازتهم من يريد ذلك من مواطنيهم و أصدقائهم، و يوارى التراب في حشمة و تستر"[1].

و أضاف "بانانتي" « Pananti »، لقد تجسد العمل الخيري الإسباني بعمق في المستشفى الصغير، أين تم استقبال الأسرى الأوروبيين المسيحيين، فمن غيره فالمرضى لا يتلقون أي إسعاف. فقد جعلت هذه المؤسسة المحترمة للموت في سلام بعيداً عن العذاب[2].

- **أهم الفئات الاجتماعية و الدينية التي تستفيد من الخدمات الطبية بالمستشفيات المسيحية:**

كان جميع العبيد المسيحيين من مختلف المذاهب، الكاثوليك، البروتستانت يقبلون على المستشفى دون مراعاة لعقائدهم، وذلك نظراً لتسامح رئيس الأطباء و الصيدلي.

فكان الطعام فيه جيداً و صحياً، و معظم المرضى يعالجون في قاعة واسعة، وينامون على أفرشة محشية بالصوف و مزودة بملاحف و وسائد، و في وسط قاعة العلاج يوجد مذبح

(*) كان الآباء يؤدون صلواتهم على الموتى بمقبرة المسيحيين بالقرب من باب الواد، انظر:

- GODEFROY, et autres, op. cit., pp. 231 - 232.

(**) منذ عهود طويلة، كانت جثث الأسرى المسيحيين ترمى في العراء عرضة لنهش الطيور و الكلاب، إلى أن تمكن الملك الإسباني شارل الرابع « Charles IV » (1748 م - 1819 م) ، من الحصول على مساحة قريبة من البحر، أصبحت بعد ذلك مقبرة للمسيحيين و لكن هذا المكان لا يتميز بأي علامة تدل على قداسته، انظر:

- PANANTI, op. cit., pp. 128 - 129.

(1) كاثكارت، المصدر السابق، ص. 102 - 104.

(2) PANANTI, op. cit., p. 187.

ترتل عنده الصلاة مرة كل يوم، كما توجد غرف خاصة يوضع فيها عادة العبيد الذين يخدمون الداي و رجال الحاشية، مراعاة لمكانة أسيادهم[1].

إن المستشفيات الإسبانية التي يشرف عليها قساوسة الثالوث المقدس مفتوحة أيضاً لرجال التجارة البحرية المسيحيين و حتى لبعض السكان المسلمين في الجزائر." فالأتراك و الجزائريين (الحَضَر) كانوا غالباً ما يأتون إلى هذا المستشفى (أي المستشفى الإسباني) ... ... فقد كان أمراً عجيباً بالنسبة إليهم أن يروا الأرقاء المسيحيين لهم مثل هذه المؤسسة في مدينة الجزائر ... و لم يكن لديهم مؤسسة مماثلة لمرضاهم ..."[2] لذا كانوا يقصدون هذه المستشفيات لطلب العلاج خاصة خلال القرن الثامن عشر ميلادي[3].

أشار "الهادي الوسلاتي" في هامش بحثه حول المستشفى الترينيتاني الإسباني بتونس، إلى رسالة نشرتها صحيفة « Diario Curioso » (الصحيفة الفضولية) الإسبانية بتاريخ 09 جويلية 1786 م، و هي ترجمة اسبانية لرسالة بعثها "لورانزو مارتي" « Lorenzo Marti » نائب مدير المستشفى الإسباني بتونس التابع إدارياً للمدير العام بالمستشفى الإسباني في الجزائر، هذا نصها: "لقد سرني ما سمعته عن بركم و إحسانكم أثناء هذا المصاب الجلل، و ما قمتم به تجاه المسيحيين و المسلمين على حد سواء، من توفير الأدوية، و ما قدمتم أنتم شخصياً من عمل لنجدة المصابين، إن الجميع يمدحون لي طيبة قلبكم و بركم العظيم و هذا ممّا سرني كثيراً، و أرجو من الله أن يجازيكم خير جزاء، و إني لسعيد أن أكون على ذمتكم لأجيب كل طلباتكم[4]".

ما دام هذا المستشفى تابع إدارياً لمستشفى الجزائر، فنحن لا نستبعد أن يكون إحسان المسيحيين في هذا المجال قد شمل المرضى المسلمين في الجزائر أيضاً، و هذا بناءً على بعض المعطيات السابقة المتمثلة في:

- عدم وجود مؤسسات استشفائية ذات أهمية تذكر خاصة بمسلمي الجزائر .
- كثرة الأمراض و الأوبئة ممّا يجعل أمر العلاج ملحاً و ضرورياً و بالتالي التوجه إلى المؤسسات المسيحية.

---

[1] كاثكارت ، المصدر السابق، ص. 102 - 103.

[2] DAN (Pierre), op. cit., Livre 06, p. 485.

[3] وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 225.

[4] الوسلاتي (الهادي)، المرجع السابق، ص. 169.

إذا كانت هذه الأخبار صحيحة، فإن هذه الأعمال الخيرية تدخل - دون شك - ضمن المساعي التبشيرية التي كان يقوم بها رجال الدين المسيحيين في الجزائر.

III.تقديم الرعاية الروحية للأسرى:

لاحظ "ميكائيل سرفنتاس" « Michel Cervantès » [*] - الذي كان شاهداً على الفترة التاريخية من أواخر القرن السادس عشر ميلادي (16 م) في الجزائر - أنه و على عكس ما هو معهود في البلدان المسيحية، يتعايش في هذه المدينة كل من المسلمين و المسيحيين و اليهود، حيث يسمح للمجموعتين الأخيرتين بممارسة شعائرها الدينية بحرية[1].

في ظل هذا التسامح الديني كان قساوسة الفداء يؤدون التزاماتهم الدينية و الروحية تجاه الأسرى المسيحيين، حيث كانت لكل طائفة أساليبها الخاصة في إتمام هذه المهام المقدسة. و من المؤسسات التي لعبت دوراً كبيراً في هذا المجال ما يلي:

- **الكنائس و الأسقفيات الموجودة على مستوى المستشفيات الترينيتانية:**

كانت الرعاية الروحية للأسرى ملازمة للرعاية الصحية، فقد رأينا أن المستشفى الترينيتاني الإسباني الذي أسس بمدينة الجزائر و المؤسسات التي أنشئت بعده تباعاً بالسجون الرئيسية كانت تحتوي على كنائس صغيرة في شكل أسقفيات « Des Chapelles » أو مقصورات دينية[2].

لقد كان الأسرى الأوروبيون بالجزائر آمنين على أرواحهم فكانت بسجونهم معابد صغيرة لها قساوسة، و كان لها ملجأ للعجزة و حانة للشراب مع احترام عطلة يوم الأحد، فكان بمدينة الجزائر وحدها خمس (05) كنائس خاصة بالأسرى، واحدة في سجن الملك (الباشا)، و اثنان في محتشد "علي بتشين"، و الرابعة بقنصلية فرنسا، والخامسة بنيابة أسقفية الجزائر، و كانت هذه الكنائس كلها تُزين بشتى أنواع الزينة، و تضاء في ليالي الاحتفالات و المواسم بمئات القناديل المختلفة الألوان. و عندما تقام الاحتفالات الدينية بهذه الكنائس يدخل رهبان الإرساليات

---

[*] "ميكائيل سرفنتاس" « Michel Cervantès »: كان جندياً من جنسية إسبانية ، شارك في معركة "ليبانت" 07 أكتوبر 1571 م المشهورة أين فقد يده اليسرى و سمي بـ « Le Manchot de l'épant »، أسر من طرف قراصنة الجزائر في 26 سبتمبر 1575 م، كان مِلكاً لأحد العلوج الإغريق الملقب بالأعرج و هو « Dali Mami »، نظّم في فيفري 1577 م عملية فرار مع أربعة عشرة من رفاقه في الأسر بمساعدة أحد المغاربة عبر نفق أرضي. إلاّ أن محاولتهم باءت بالفشل و بقي أسيرا في الجزائر لمدة خمس (05) سنوات، إلى أن تم تحريره من طرف اثنين من آباء الثالوث المقدس سنة 1580 م. توفي في 23 أفريل 1616 م تاركاً آثاراً أدبية، أشهرها: « La vie à Alger » و رواية « Don quichotte »، لتفاصيل أكثر حول هذه الشخصية، انظر:

- HAËDO (Fray Diego de), De la captivité à … op. cit., pp. 336 - 342
- GALIBERT (M. Léon), L'Algérie ancienne et moderne, Paris, 1844, pp. 211 - 213.
- Comité du Vieil Alger, op. cit., T II, pp. 111 - 112.

[1] T. Yacine, op. cit., p. 87.

[2] A. Berbrugger, Charte des Hôpitaux …, op. cit., p. 235.

إلى سجون الأسرى لإقامة الصلوات في الصباح الباكر، أما في أزمنة الوباء فيقيم هؤلاء الرهبان باستمرار في المحتشدات من أجل معالجة الأسرى و تلقيهم العقيدة عند الموت[1].

يتضح لنا دور هذه الكنائس و المعابد، من خلال الوصف الذي قدمه القس "هايدو" عن دور كنيسة أو معبد المسيحيين بالسجن الكبير « Le Grand Bagne »، أين كان الأسرى المسيحيون يؤدون القداس اليومي و يحتفلون بأعيادهم الدينية « Les fêtes solennelles »، حيث ترتل الأناشيد، بطريقة متناسقة بحضور القساوسة الذين عادة ما يفوق عددهم الأربعين، رفقة فئات مختلفة من دكاترة، معلمين، رجال الدين و كهنة ...الخ[2].

أمّا الأسير البرتغالي "ماسكاروناس" « Mascarenhas » فقد ركز على دور القساوسة في أداء الاحتفالات أيام الأعياد الدينية من خلال عروض وصفية مثيرة إذ يقول: "يوجد أربع سجون للمسيحيين، لكل سجن كنيسته الخاصة ، و هناك يقام خمسة عشر (15) قداساً يومياً، بأبواب مفتوحة تسمح حتى بدخول و حضور الأتراك و المغاربة".

و في أيام الأعياد هذه، تفرش الكنائس بأقمشة منسوجة من الحرير أو القطن، يعيرها الأتراك لأسراهم.

و يكون القداس صارخاً و مرفوقاً بمعزوفات موسيقية بحضور قساوسة من مختلف التنظيمات و الطوائف المسيحية الذين يتكفلون بمصاريف الشمع و النفقات الأخرى، إلى جانب مساهمات الأسرى ببعض المبالغ التي يوفرونها[3].

إن الهدف من هذه الأعمال هي ضمان الاتصال الدائم مع الرّب حيث يطلبون إمدادهم بالقوة و الصبر من أجل احتمال ظروف الأسر و الحصول جزاء ذلك على الأجر[4].

فهذه الشعائر الدينية - طالما داوموا على أدائها - تجعل الأسرى حسب رأيهم أكثر طاعة و أقل فساداً و شذوذاً[5]، كما تهدف هذه الخدمات الروحية إلى مواجهة حركة اعتناق الإسلام من قبل الأسرى المسيحيين[6].

---

[1] الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد)، تاريخ الجزائر العام، ج 3، دار الثقافة، بيروت، 1400 هـ / 1980 م، ص. 361 - 362.
[2] HAËDO (Fray Diego de), Topographie et …, op. cit., R. A., p. 394.
[3] MASCARENHAS (Joao), op. cit., pp. 71 - 72.
[4] D'ESTRY (Stephen), op. cit., p. 20.
[5] GRAMMONT (Henri - Delmas De), op. cit., p. 126.
[6] BELHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe … op. cit., p. 27.

- **دير طائفة كهنوت الرحمة الفرنسية:**

يشرف على نشاطه قسيس يساعده ثلاثة (03) أو أربعة (04) آخرون من الطائفة، و تتلخص واجباتهم في مساعدة الأسرى و إقامة الصلاة و تقديم التوجيه الروحي بإلقاء دروس الوعظ و الإرشاد و إقامة القداس الأخير.

و تشمل رعايتهم أيضاً خدمة المصليات الموجودة على مستوى المنازل المسيحية الكاثوليكية.

يقوم هؤلاء القساوسة ببعض الأعمال الخيرية، بتقديم صدقات للعبيد في بعض المناسبات، و رعايتهم في أوقات الغزو، مثل ما كان يقوم به الأب "جوزيف" تجاه الأسرى من تقديم صدقات و خدمات في المستشفى للمصابين بالوباء حتى أنه رفض دعوة رؤسائه في الطائفة للعودة إلى وطنه من أجل واجبه الإنساني مقرراً البقاء مدى حياته في الجزائر[1].

عن مثل هذه المبادرات الشخصية تحضرنا، روايات الأسير البرتغالي "ماسكاروناس" حول:

- الأب « Manuel Mende » الذي رفض الفدية و كتب إلى دولته من أجل البقاء مع رفقائه الأسرى لممارسة القداس و الشعائر الدينية و مؤازرتهم خاصة أيام الوباء.

- الكاهن « Fère Grégorio » الذي مات من جراء الطاعون و كان قبل وفاته يجازف باقتحام منازل الأتراك من أجل إلقاء دروس الوعظ و الإرشاد على الأسرى المسيحيين لتثبيتهم على عقيدتهم، كما كان يحمل القربان المقدس حتى إلى العلوج الذين لم يكن إسلامهم خالصاً[2].

- القس « Maître Pierre » من أصل كاتالوني، كان يقدم أعمالاً جليلة للأسرى. حيث يقيم لهم القداس في البيوت، و يساعد الفقراء و البؤساء، و خاصة النساء اللواتي كن يفضلن الاستماع إلى خطاباته و مواعظه. تمكن هذا القس من الفرار برفقة ستة آخرين في سفينة متجهة إلى فالونسيا[3].

- **المؤسسات اللازارية:**

قيم "جول تورنيي" « Jules Tournier » مسيرة عمل بعثات التنظيم اللازاري بالجزائر مقارنة بالطوائف الأخرى في هذه العبارات: "إن مجيء أصحاب الثالوث المقدس « Les Trinitaires » و آباء الرحمة « Les Mercedaires » إلى تونس، طرابلس

(1) كاثكارت، المصدر السابق، ص. 104 - 105.

(2) MASCARENHAS (Joao), op. cit., pp. 71 - 72.

(3) HAËDO (Fray Diego de), Topographie et histoire … op. cit., R. A. 1870, p. 449.

و الجزائر كان بدون شك يوحي ببروز صارخ للإيمان، إلاّ أن وجودهم لم يكن سوى كالنار في الهشيم (بمعنى مدته قصيرة)، في حين مؤسسات الرقيق « L'œuvres des esclaves » التي كانت أقل إثارة للضجة و الطواف بمواكب الأسرى المفتديين حول المدن الفرنسية و الإسبانية و الايطالية، فكانت تعمل بعمق و تمكنت من تأسيس نوادي للحياة المسيحية خاصة في تونس و الجزائر، و استمر نشاطها إلى غاية 1830 م"[1].

منذ الأيام الأولى من قدومه إلى الجزائر كمبعوث كهنوتي « Vicaire apostolique » أخذ القس "جون لو فاشي" « Jean le vacher » المنتمي للطائفة اللازارية على عاتقه واجب زيارة كل الأسقفيات، حيث اقر بها النظام المعمول به في كنائس و أسقفيات تونس، من ذلك ما يلي:

- طلب من الداي رخصة تسمح للأسرى المتدينين و القساوسة بارتداء لباس يوحي بالاحترام و الوقار بدل اللباس اللائكي، فحصل على ذلك.
- ألزم القساوسة و رجال الدين التقيد بالنظام التام في خدمات الرعاية التي يقدمونها، و ذلك بإتباع نظام المداومة الأسبوعي.
- كلفهم بزيارة و عيادة الأسرى في المستشفيات و حتى في منازل الخواص.
- ضرورة الالتزام التام بكل التعليمات المتعلقة بالعبادة، و السعي للقيام بترميم هياكل العبادة في السجون ذات الوضعية المزرية.
- إصدار نداءات الهدف منها مناجاة كرم الناس الثقاة و المهتمين بعمله طوال إقامته في مدينة الجزائر و كان لهم الفضل في نجاح مهامه حيث بعث نشاط الأسقفيات.
- أصدر تدابيراً تتعلق بجمع التبرعات و عين خداماً للكنيسة « Des Sacristains » و وكلاء لإدارة أملاك الكنيسة « Des Marguilliers ».
- حدد ضريبة على الخمر فرضها على المدنيين.
- أقام الجمعيات الأخوية « Des Confréries pieuses » و هي:

Ø La Confrérie de N. Dame du Mon Carmel et du Rosaire.

Ø La Confrérie de Saint Roche.

Ø La Confrérie des Ames du Purgatoire.

---

[1] TOURNIER (Jules), op. cit., p. 55.

كل ذلك لتأكيد و ضمان أداء الصلوات و بث الاستقرار في نفوس البؤساء من الأسرى[1].

يعتبر عمل "جون لو فاشي" « Jean le Vacher » نموذجاً من أعمال أبناء « S. v. de Paul » التابعين للتنظيم اللازاري الذي نشط كثيراً في أداء المهام الروحية بمدينة الجزائر، و يتضح لنا ذلك من خلال هذين الشهادتين:

- **الشهادة الأولى:**

و هي لأحد الأسرى المتدينين و هو الناسك الايطالي "الأب كليمو" « Le Père Clément » الذي تحصل على حريته[2] بعد أن عاش حياة الأسر في مدينة الجزائر مدة زمنية معتبرة.

وردت هذه الشهادة على شكل خطاب وجه لأسرى مدينة الجزائر، هذا نصه: "إنهم يضحون براحتهم، صحتهم و حتى بحياتهم من أجلكم، لكي يقدموا لكم أشياءً تعبِّر عن إحسانهم إليكم.

أليس حماسهم هو الذي يوقض إيمانكم ؟ إنهم يعلمونكم الكتاب المقدس و كلام الله « La Parole de Dieu »، يطهرونكم بمياه التوبة الشافية ... يقاسمونكم الآلام و يجففون دموعكم و يكسرون قيودكم إن استطاعوا ... ستجدون عند هؤلاء الكهنة « Les Hommes Apostoliques » مساعدات ... بعد الانتهاء من الأعمال التي تقومون بها تقدموا إلى بيت المبعوث الكهنوتي، و هناك ستجدون صدقات تخفف من ثقل مأساتكم، ستتلقون يومي الأحد و الجمعة من كل أسبوع تعليمات حول الحقائق الأساسية للديانة المقدسة ... "[3].

- **الشهادة الثانية:**

قريبة من انتهاء عهد الأسر و الاسترقاق وهي للقنصل الفرنسي « M. Dubois Tainville »، الذي جاء كمبعوث من وزير الخارجية في 06 جانفي 1811 م بعد وفاة المبعوث « Le Missionnaire Joussouy ».

حول هذا الأخير الذي كان أحد القساوسة الذين خدموا الكنيسة الفرنسية بالجزائر، يقول « Tainville »: "لقد كان يتميز بإشفاقه و حنانه، بقيامه بكل واجباته الدينية، و تطبيق صارم و أعمى لكل قرارات الحكومة ... إن وفاته أثرت على كل الأطراف حتى أن الأسرى تجمعوا

---

(1) TOURNIER (Jules), op. cit., pp. 167 - 169.

(2) تحصل هذا الناسك على حريته بموجب فرمان من السلطان العثماني، و بوساطة من المبعوث الكهنوتي « Le Vicaire apostolique »، و القنصل الفرنسي في الجزائر، انظر:

- GLEIZES C. M (Raymond), op. cit., pp. 98.

(3) Ibid., pp. 98 - 100.

على نعشه يرددون: لقد فقدنا أبانا « Notre père » الذي يساعدنا في عملنا و ينقدنا من مأساتنا ..." .

بعدما أشاد « Dubois Tainville » بخصال و صفات هذا القس ذكّر بمهامه و أهم أعماله حيال الأسرى طيلة ثلاثين (30) سنة قضاها بالجزائر كرس حياته خلالها لإنقاذهم خاصة عندما حل الطاعون بهذا البلد، حيث وجد الأسرى أنفسهم محط عناية روحية حتى أصيب بالعدوى.

باع الجزء الأكبر من ثروته و أملاكه، و بنى بجزء من ماله ملجأ فرنسياً و وزع الجزء الباقي على بعض الأسرى...[1].

لقد حقق القساوسة اللازاريون - بناءً على هذه الشهادات - أهدافاً في غاية الأهمية، حيث أن الكنائس و الأسقفيات أصبحت نظيفة و جميلة شجعت المسيحيين للقيام بواجباتهم الدينية، بل و شمل تأثيرها كل المحيط ، حتى أن مجموعة من العلوج يقدر عددهم بـ 200 علج عادوا إلى ديانتهم الأصلية قاصدين هياكل المعبد. و كثير من الأتراك و المغاربة أبدوا رغبتهم في اعتناق الديانة المسيحية[2].

من خلال ما سبق، يتضح لنا بأن التنظيم اللازاري كان من أكثر الطوائف نشاطاً في تقديم الخدمات الروحية للأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر.

---

(1) GLEIZES C. M (Raymond), op. cit., pp. 101 - 102.
(2) TOURNIER (Jules), op. cit., pp. 169 - 170.

الفصل الثالث:

المهام الخفية لمفتديي الأسرى في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية

I. الدعاية

II. الجوسسة

III. التبشير

الفصل الثالث

المهام الخفية لمفتديي الأسرى في مدينة الجزائر

I. الدعاية:

نركز في هذا العنصر على النشاط الدعائي الذي كان يقوم به قساوسة الفداء » Les Pères Rédempteurs «، حيث نضع تقاريرهم و كتاباتهم تحت المجهر، نستخلص منها أساليب و آليات العمل الدعائي، ثم نحاول مقارنتها بكتابات أخرى معاصرة لها. كما نستعين في عملنا النقدي بقراءات و تحاليل لبعض المهتمين من الكتاب المتقدمين و المتأخرين.

لإبراز آليات هذا النشاط الدعائي و أهدافه نتناول هذه النقاط الثلاث.

- تصوير حياة ومعاناة الأسرى بمدينة الجزائر.
- أسباب اعتناق الأسرى للإسلام من خلال كتابات مفتديي الأسرى.
- الطعن في الرموز المقدسة للمجتمع الجزائري.

و فيما يلي نفصل في هذه العناصر محاولين إبطال بعض الإدعاءات من خلال شهادات و أمثلة حية.

1) تصوير معاناة الأسرى في مدينة الجزائر:

لقد أسالت قضية الأسرى المسيحيين الكثير من الحبر في العالم الأوروبي، حيث كانت الموضوع الرئيسي و السهل لأغلب الأعمال الأدبية الأوروبية[1]، و تعرف بأدبيات الأسر و الفداء.

لخص القس "هايدو" « HAËDO » معاناة الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر في هذه العبارات: "يعيش الأسرى في الجزائر البربرية حياة بائسة، أقسى من أي حياة أخرى في العالم، حيث يعاملون معاملة لا إنسانية، إننا هنا لا نجني إلاّ الأشواك التي تؤلمنا و تدمينا، نحن رعايا بائسين، لا نحيى حياةً و إنما بلاءً ... فهذه الوضعية أفقدت بعضنا الفرحة، و البعض الآخر الهدوء و السكينة و بعضهم الثروة أو الصحة، و نزعت منهم الشرف

---

[1] BRAUDEL (Fernand), La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, Paris, 1976, p. 200.

و الكرامة و الشجاعة و الشهرة ... و في بعض الأحيان تحدث كوارث يذهب ضحيتها أصدقاؤنا و منهم من يفقد إخوانه، آباءه و أبناءه ... إن الأسر قدر صعب و مشؤوم"[1].

تبدو لنا الجزائر من خلال هذه الأوصاف، و الوصف الذي قدمه لنا "غرامي" « Gramaye » المكان الأكثر وحشية في العالم[*].

ففي هذه المدينة بالضبط يقول « GODEFROY »: "يتعرض الأسرى لأبشع صور العقاب و سوء المعاملة التي لم تكن معروفة تقريباً في كل البلدان الأخرى"[2].

يتضح لنا أن كتابات مفتديي الأسرى تتفق في رسم صورة سوداوية قاتمة لواقع الأسرى في مدينة الجزائر؛ "فهم يعاملون كالحيوانات؛ و أجسادهم الهزيلة شبه عارية؛ يتعرضون لمختلف مظاهر الذل و الهوان؛ محرومون من الأكل إلاّ بعض قطع الخبز "البسكويت" العفن؛ يقيمون في السجون التي تمثل أماكن القذارة؛ لقد كانوا مكبلين بسلاسل حديدية لا تحتمل،إيمانهم المهدد جعل الكنيسة تخوض غمار الحرب من أجل إنقاذ أرواحهم و حياتهم قبل أن تنهار أمام تعذيب الجزائريين الذي لم يُشاهد له مثيل"[3].

إننا بطبيعة الحال لا نسلم بصدق هذه الإدعاءات، لأن الحقيقة حول واقع حياة الأسرى لا تزال مغيبة خاصة في غياب مصادر محلية تناولت الموضوع بدقة و جدية.

و إذا كان إظهار هذه الحقيقة من مهمة الباحثين، فإننا حاولنا ذلك من خلال تسليط الضوء على أوضاعهم الاجتماعية (الأكل - اللباس - المسكن - العمل ... الخ)، و غير ذلك مما يتعلق بمعاملاتهم من قبل ملاكهم و أسيادهم في مدينة الجزائر باستغلال نماذج لشهادات تتصل بالموضوع و هي عموماً إمّا لأسرى، قناصل و رجال سياسة، و إمّا لرحالة أو جغرافيين ... ... الخ.

---

[1] HAËDO (Fray Diego de), De la captivité…, op. cit., pp. 13 - 15.

[*] ساق "غرامي" « Gramaye » أوصافاً متعددة للجزائر منها: "كارثة و مصيبة العالم المسيحي، مرعبة أوروبا، معلم القرصنة ... ". كما اعتبر العدد الكبير من المسيحيين الأسرى و معاملتهم القاسية لهم وشمة عار على الجزائر، انظر:

- BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., pp. 137 - 138.

[2] GODEFROY, et autres, op. cit., p. 242.

[3] BELHAMISSI (Moulay), Les Captifs algériens & …, op. cit., p. 48.

مهما كانت تجربة الرق محطمة لنفوس الأسرى المسيحيين في الجزائر، فإن أوضاعهم و استناداً إلى شهادات حية كانت أحسن بكثير من أوضاع الأسرى المسلمين - بما فيهم الجزائريين - في سجون البلدان الأوروبية[*].

فهذا الداي "مصطفى" (1798 م - 1805 م) الذي عُرِفَ بسلوكه مع العبيد المسيحيين لم يعاملهم معاملة إنسانية فحسب، و إنما أبدى نحوهم أيضاً شهامة لم يبديها نحو مواطنيه، مع أنه كان يعرف أنهم يستغلون ضعفه لابتزاز أمواله و الحصول على نفائسه.

فرغم أن حياته الخاصة كانت بسيطة لا أثر فيها لأبهة و لا لأي نوع من أنواع الانحلال الخلقي، فكان حرمه يحتوي على شريكة واحدة فقط كان قد اشتراها من اسطامبول، و تزوج بها، و وضع في خدمتها حوالي مائتين (200) من الوصيفات و العبيد، و كانت حاشيته تتألف من ضباط أتراك، يحيطون به عندما يغادر قصره، و حوالي خمسين (50) من العبيد المسيحيين و كان هؤلاء يمثلون في أغلب الأحيان أجمل ما في سجونه و أحسنهم مظهراً. فكانوا ينتظرونه و يسيرون خلفه أثناء نزهاته، و يلعبون معه حين يكون وحده كما يلعبون مع الطفل، و كانت لهم مفاتيح خزائنه، فعرفوا كيف يستغلون ذلك إلى درجة أن بعضهم افتدى نفسه و عاد إلى أوروبا بمبالغ هامة[1].

أ. **الأكل و اللباس**:

إذا كان "بانانتي" « PANANTI » قد ساق إلينا - في حديثه - عن أوضاع الأسرى المأساوية في الجزائر، بأنهم محرومون من اللباس و الغذاء باستثناء قطعتين من الخبز[2] فإننا وجدنا ما يناقض ذلك الكلام.

فهناك أسياد أكثر إنسانية يعاملون أسراهم برفق[3]، فأولئك المقيمون في قصر الداي أو الباشا و غيرهم من أسرى الطبقة الراقية من الملاك الخواص كانوا يأكلون و يلبسون جيداً[4]

(*) حول أوضاع الأسرى الجزائريين في أوروبا، راجع كتاب "بلحميسي مولاي" المشار إليه سابقا:
Les Captifs algériens & l'Europe chrétienne, (1518 - 1830),

(1) دودو (أبو العيد)، الجزائر في مؤلفات الرّحالين الألمان (1830 م - 1855 م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص. 41.

(2) PANANTI, op. cit., p. 490.

(3) BENACHENHOU (Abdelhamid), Connaissance du Maghreb, Notions d'ethnographie, d'histoire et de sociologie, Alger 1971, p. 127.

(4) LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 165.

و حتى الأغطية الصوفية التي كانت تعطى لهم هي نفسها التي توزع على الجنود[1]، فهم عموماً يعيشون في ظروف مريحة[2].

كان العبيد الذين يعيشون في الجناح الأعلى من القصر في عهد (حسن باشا) يتلقون بدلتين أنيقتين من الجوخ الرفيع مزينة بحواشي من الذهب. و العبيد الذين يعملون في الحديقة يمنحون نفس النوع من القماش باستثناء حواشي الذهب، و أما الطباخون فيتلقون أكسية أقل جودة و لكنها مطرزة بالحرير[3].

لقد قضى "إيمانوال دارندا" « Emanuel d'Aranda » أوقاتاً جميلة مع سيده "مصطفى كارتابون" « Mustafa Cartabones » حيث كان يجلس معه على الطريقة التركية يبادله أطراف الحديث[*] و يأكل معه وجبات فاخرة في طبق واحد.

ب. حياة الأسرى في سجون مدينة الجزائر:

السجن هو المبنى الذي يبيت فيه الأسرى، و يسمى بالتركية « *zindún* » [4]، و يعرف في الجزائر بالبانيو « Le Bagne » أو « Le Prison ». و هو عموماً عبارة عن بناء على الطراز التركي، يستقبل النور من الداخل و عادة ما تكون مساحته الداخلية حوالي 80 قدماً طولاً، و 20 قدماً عرضاً، و 85 قدماً ارتفاعاً.و يمكن أن يستوعب من 36 إلى 40 أسيراً.

يوجد في الطابق الأول من السجن أكثر من خمارتين، أين يمكن صنع الخمر و ممارسة الروحانيات، أمّا الطابق الثاني فيضم ملهى يبيت فيه أمين السجن، كما توجد به كنيسة أو أسقفية جعلت في خدمة الأسرى المسيحيين من أجل إقامة القداس اليومي كل صباح قبل الذهاب إلى العمل[5].

---

[1] VENTURE DE PARADIS (Jean-Michel), op. cit., pp. 18 - 19.
[2] LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 164.
[3] كاثكارت، المصدر السابق، ص. 28.
[*] لقد كان سيده غالباً ما يحادثه قائلاً: "ايمانوال لا ينبغي أن تكون حزيناً، اعتبر نفسك سيدي و أنا عبدك، ... ايمانوال ألست على حق بأن أتناول وجبة فاخرة لأنني لا أملك لا زوجة و لا ولد، و إذا مت سيرثني الباشا حسب عادات هذا البلد ؟" فيجيبه أسيره: "نعم أنت رجل حكيم، و لك الحق أن تعيش كما تشاء"، انظر:
- D'ARANDA (Emanuel), op. cit., pp. 52 - 53.
[4] EMERIT (Marcel), Un Mémoire sur Alger par Pétis de la Croix (1695), Annales de L'Institut d'Etudes Orientales d'Alger, T. XI, 1953, p. 19.
[5] METZON (Gerrit), Journal de mes aventures durant une captivité et esclavage pendant deux ans et sept mois à Alger, Traduit par G.-H. Bousquet et G. W. Bousquet-Mirandolle, A. I. E. D. 1954, T. XII, Faculté des lettres et sciences humaines, Université d'Alger, p. 56.

يبدو أن هذا هو الطراز الهندسي الذي صممت وفقه سجون الأسرى المسيحيين الموجودة على مستوى مدينة الجزائر. و كان عددها أيام "هايدو" « HAËDO » اثنين (02)[*]، في حين "دابر" « DAPPER » أقر بوجود ستة (06) سجون[1]، بينما ذكر "بايصونال" « PAYSSONEL » أن عددها خمسة (05)[2]. و يبدو أن هذا العدد تقلص أيام "فونتير دو بارادي" « VENTURE DE PARADIS » إلى ثلاثة (03) بتناقص عدد الأسرى في الجزائر[**].

يشرف على السجن حارس السجن « Le gardien bachi »، و حاكم عام للسجن ملقب بـ « Bachi gardien bachi » و هو المسؤول على إخراج الأسرى للعمل اليومي، كما يقوم بإعداد تقرير يومي للداي حول ما يقع في السجن من أحداث[3].

يضم كل سجن أسقفية أو كنيسة لممارسة الشعائر الدينية بحرية، و إليه يأوي الأسرى مساءً حيث يتحصل كل واحد منهم على ثلاث (03) قطع من الخبز، وهنا ينامون على أفرشة و يمنح لهم غطاء من الصوف.

تغلق أبواب السجن على أسرى البايلك ليلاً و تفتح أبوابه نهاراً لكل الذين يرغبون في الخروج لممارسة أعمالهم على أن يعودوا مساءً للنوم[4] قبل ساعتين من غروب الشمس[5].
الشمس[5].

على الرغم من مساوئ سجن الجزائر التي ذكرها "كاثكارت" في مذكراته و المتعلقة خاصة بنقص شروط الصحة و النظافة و كثرة حوادث السرقة، العنف و الشغب[6]. إلاّ أنه، و بحكم ما ما يضمه من فسيفساء بشرية من مختلف الجنسيات، يعتبر نادياً للتعارف و اكتساب مناهج الحياة، كما عبر عن ذلك "إيمانوال دارندا" في قوله: "لا توجد جامعة[***] أحسن من سجن

---

[*] السجنان اللذان أحصاهما "هايدو" و وصفهما هما: السجن الكبير « Le grand Bagne »، سجن الباستارد « Le Bastarde »، انظر:
- HAËDO (Fray Diego de), Topographie et … op. cit., R. A., pp. 394 - 395.
[1] DAPPER (D'O, D. M.), Description de l'Afrique, Wolfgang Amsterdam 1686, p.170.
[2] PAYSSONEL(Jean - André), op. cit., p. 251.
[**] هي: "سجن البايلك" « Le Bagne du beilike »، و"سجن سيدي حمودة"، و "سجن جاليرا"، انظر:
- VENTURE DE PARADIS (Jean-Michel), op. cit., p. 153.
[3] LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 144.
[4] LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 144.
[5] ESQUER (Gabriel), Mémoires sur Alger par M. DUBOIS-THANVILLE (1809), Collection de Documents inédits sur l'histoire de l'Algérie après 1830, Paris, 1927, p. 146.
[6] كاثكارت، المصدر السابق، ص. 56 - 60.
[***] في سجن الجزائر كتب "سرفنتيس" أحسن ما ألف في الأدب العالمي رواية "دون كيشوت"، التي أكسبته شهرة كبيرة،حيث كتبها باللغة الإسبانية و ترجمت إلى اللغة العربية، انظر:

الجزائر، فهناك نتعلم الطب، الجغرافيا، العلوم التجريبية، اللغات المكسيكية و الفرنسية و الكندية و الشرقية ... فالرِّق ضروري للمسيحيين إذ يعلّمهم الانفتاح[1].

أمّا "دو طاسي" « DE Tassy » الذي كان سجيناً في حرب إسبانيا سنة 1706 م ، و تلقى هناك معاملات لا إنسانية قاسية، فقد صرح قائلاً: "أفضل قضاء عشر (10) سنوات كرقيق في سجون الجزائر على أن أقضي سنة واحدة في سجون اسبانيا"[2].

كما أن « Francis Knight » أكد بأن آلاف من البحارة المسيحيين يفضلون الإقامة في سجون الجزائر على التعفن في سجون ليفورن الايطالية أو على الموت من الجوع و البرد في سجون الإنجليز[3].

ج. عقاب الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر:

إذا كنا نتق في الشهادات التي تقر بالمعاملات الإنسانية لبعض الأسرى من طرف أسيادهم في الجزائر، فإننا لا نستبعد أيضاً وجود معاملات لا إنسانية من طرف البعض الآخر، و لكن أحياناً نجد لهذه القسوة مبررات[*] مثل القصة التي ساقها إلينا "كاثكارت" حول الرايس إبراهيم مدير سجن البايلك، الذي قضى أربعة عشر (14) سنة في الأسر بمالطة، و نظراً لأنه عومل بقسوة على ظهر السفن المالطية، فقد قرر الانتقام لنفسه من الأسرى في الجزائر، حيث كان غالباً ما يجلس عند الباب الخارجي للسجن قرب المشنقة و عند المدخل يقف حراس السجن في صفين يحملون العصي و الحبال الغليظة، أمّا حيطان الباب الخارجي فكانت مزينة بالهراوات و حبال الشنق و السلاسل و القيود، و هناك كان الرايس إبراهيم يخاطب أسراه بقوله: " ... إنكم جميعاً في صحة جيدة، و ملابسكم من النوع الفاخر التي لا تليق بالعبيد، سوف أعطيكم شيئاً لتسلية أنفسكم يوم الغد في باب الواد[**] ، هناك سوف أريكم كيف كان

- ميكاييل سرفنتيس، دون كيشوت، تعريب و تلخيص أكرم الرافعي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1975.

[1] T. Yacine, op. cit. p. 90.

[2] LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 194.

[3] FISHER (Sir Godfrey), op. Cit., p. 157.

[*] وصف "هايدو" ذلك في هذه العبارات: "الضرب بالعصي على الأقدام (الفلقة) و الجوع و العطش، و كل مظاهر العنف المختلفة هي المعاملات المستمرة الممارسة ضد الأسرى الفقراء المجدفين ... يعملون على تعذيبهم و إسالة الدم من أكتافهم، يفقئون أعينهم، و يكسرون أياديهم، و يقرضون آذانهم و يقطعون أنوفهم و رؤوسهم و يرمونها في البحر ... الخ"، حول أساليب عقاب المسيحيين الأسرى، انظر:

- HAËDO (Fray Diego de), Topographie et … op. cit., R. A. 1870, p. 47.
- GODEFROY, et autres, op. cit., pp. 242 - 246.

[**] يعاقب الأتراك قرب باب عزون، بينما تتم معاقبة المسيحيين قرب باب الواد، انظر:

- DAPPER (D'O, D. M.), op. cit., p. 169.

المالطيون يعاملونني ... إنكم أنتم المسيحيون إذا لم تلحقوا أذى بمسلم، فليس ذلك عن قلة رغبة أو ضعف إرادة، بل بسبب عدم امتلاككم القوة الكافية ... "[1].

من خلال ما سبق، يتضح لنا أنه بينما يوجد في الجزائر ملاك قساة و طلاب ثأر، يوجد ملاك متسامحين لا يلحقون العقاب بأسراهم إلاّ في حال ارتكاب المخالفات التي تستلزم إنزال العقوبة بهم و التي تصل أحياناً إلى حد الموت، مثل:

- الاعتداء على الأتراك من الرجال أو النساء.
- محاولات الفرار[*].
- شرب الخمر داخل قصر الداي[**].
- العودة إلى المسيحية بعد اعتناق الإسلام[***].

د. أعمال الأسرى:

لقد تولى الأسرى المسيحيون في الجزائر مهاماً و أعمالاً مختلفة، في الموانئ و المعامل البحرية، داخل القنصليات، في المزارع و في منازل الملاك الخواص ... الخ[2].

و بينما ركز قساوسة الفداء على وصف أوضاع الأسرى المكلفين بإفراغ السفن، و جلب الحجارة و الأخشاب و تسريح قنوات صرف المياه القذرة و غيرها من الأعمال الشاقة، نجد الشهادات الأكثر اعتدالاً و إنصافاً[****] تسوق لنا أمثلة عن الأعمال و المهام المحترمة التي أسندت لبعض فئات الأسرى.

بالنسبة لأسرى الداي العاملين في القصر، فقد كانوا يستخدمون في المكاتب، و المطابخ، مخازن القصر، و هناك أيضاً حرس الداي الخاص، و القائمين على نظافة القصر و حمل أطباق اللحم إلى مائدة الداي ... الخ. و هؤلاء عادة يتمتعون بمستوى معيشي جيد[3].

---

[1] كاثكارت، المصدر السابق، ص. 53 - 54.

[*] كان الأسرى عادة يكبلون بسلاسل حديدية على مستوى الأرجل خاصة في الأوقات التي تبحر فيها السفن الأوروبية من الميناء من أجل إفشال محاولات فرارهم، انظر:

- FISHER (Sir Godfrey), op. cit., p. 157.

[**] عقوبة ذلك الجلد و الإحالة على الأعمال الشاقة مكبلا بالسلاسل الحديدية، انظر:

- كاثكارت، المصدر السابق، ص. 262.

[***] من ذلك: مصير أحد رجال الدين و هو الأب "جوزيف" « Père Joseph » الإسباني أسير "علي بتشين" الذي ترك المسيحية و أصبح علجا ثم عاود الرجوع إلى ديانته الأصلية، فتعرض لمحاكمة الديوان و الضرب بالعصا، ثم أحرق وسط نار هادئة، انظر:

- ZEGHARI (Latifa El Hassar), op. cit., pp. 185 - 187.

[2] BELHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe ..., op. cit., p. 43.

[****] من بين هذه الشهادات، ما كتبه "دو طاسي" « LAUGIER DE Tassy » في كتابه « Histoire du Royaume d'Alger »

[3] كاثكارت، المصدر السابق، ص. 25 - 26.

أمّا فيما يتعلق بأسرى الملاك الخواص، فقد كانوا يقومون بأعمال البستنة، و الأمور المنزلية المتنوعة (الطبخ - الغسيل ... الخ)، حيث كانت البيوت في مدينة الجزائر على اختلاف مراكزها الاجتماعية تعج بالأسرى الأوروبيين رجالاً و نساءً[1].

كانت النساء الأسيرات معجبات بصفات سيداتهن اللواتي كنّ يشتغلن في معامل النسيج و الخياطة و الطرز، و لم يلاحظ أن إحداهن قد بيعت في الأسواق العامة. بل و على العكس من ذلك كانت المرأة تحضى باحترام كبير،حتى أنها تبقى طرفا صالحاً و مرغوباً فيه للزواج بعد أن تتحرر و تعود إلى بلدها في أوروبا[*].

في الأخير تستنتج أن حكايات الرهبان العاملين على فداء الأسرى مبالغ فيها، إذ لا يمكن أن نعمم الحكم القائل بالوضع المزري و المعاملة القاسية للأسرى المسيحيين في الجزائر، و أن هناك معايير تتحكم في تحديد نوعية هذه المعاملة تتمثل فيما يلي:

- طبيعة الملاك و مزاجهم الاجتماعي[2]، فبينما يوجد ملاك قساة أو طلاب ثأر (أمثال الموركسيين) اللاجئين من إسبانيا، هناك ملاك متسامحون يحترمون مبادئ الشريعة الإسلامية التي تنص على أن الاختلاف في العقيدة و اللون لا تقلل من قيمة الإنسان.
- المكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها الأسير في بلاده تتدخل أيضاً في تحديد نوع العمل الذي يسند إليه و المعاملة التي يعامل بها، فالأرقاء الذين كانوا يحملون الأثقال أو يعملون في الفلاحة أو يجدفون السفن، هم غالباً ممن كانوا يقومون بالأعمال الشاقة في أوروبا قبل الأسر، و لم يكلف أهل الثقافة و رجال المهارات بالأعمال المنحطة إلاّ استثناءً[3].
- ذكاء الأسير و مزاجه الاجتماعي[4]، حيث تسمح له هذه المواصفات بأن يتبوأ مكانة هامة عند سيده مثلما رأينا في نموذج "إيمانوال درواندا".

---

(1) LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 61.

(*) ورد ذلك في كتاب « FISHER (Sir Godfrey) » بناءً على ما جاء في تقارير الأسير الشاعر« Pananti » ، انظر:
- FISHER (Sir Godfrey), op. cit., p. 153.

(2) LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 166.

(3) وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 212 - 213.

(4) LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 166.

2) أسباب اعتناق الأسرى للإسلام من خلال كتابات مفتديي الأسرى:

سوف نركز في هذا العنصر على أسباب اعتناق الأسرى الإسلام استنادا إلى ما روجه قساوسة الفداء معتمدين خاصة على كتابات "هايدو" « HAËDO »، "الأب دان" « P. Dan » و "غرامي" « Gramay ». حيث نحاول التأكد من منطقية هذه الأسباب استنادًا إلى كتابات لأطراف أخرى.

درس "هايدو" « HAËDO » في طبوغرافيته مختلف الفئات البشرية التي كانت تسكن الجزائر أيام إقامته فيها، و خصص الفصل الثالث و العشرين (23) لفئة الأعلاج أو العلوج « Les Renégats »[*]، أي الذين تخلوا عن ديانتهم المسيحية و اعتنقوا الإسلام و هو ما يرادف مفهوم "المرتدين" عند المسلمين.

عبر "هايدو" « HAËDO » عن هذه الفئة بـ "أتراك المهنة" أي المسيحيين الذين حوّلوا إلى أتراك مكرهين، و كان عددهم آنذاك كثيرًا في الجزائر لدرجة أنهم تفوقوا على الجهات الأخرى؛ المغاربة، اليهود وحتى الأتراك ... الخ. و ذلك لأن أغلب الدول الأوروبية المسيحية كان لديها علوج في الجزائر[1].

أما "غرامي" « Gramay » فقد أبدى استياءه من الإحصائيات التي رصدها بخصوص المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام بمملكة الجزائر فيما بين 1609 م - 1619 م، حيث سجل الأرقام التالية: 867 ألماني، 300 انجليزي، 130 فرنسي، 138 هامبورغي (من هامبورغ الألمانية) « Hambourgeois »، 60 دانمركي و هولندي، 250 بولوني، مجري، و موسكوفيت (روسي) « Moscovite »، 130 بلجيكي، ... الخ. و هو ما يعادل 200 علج (معتنق للإسلام) سنويًا. و هذا دون حساب الخمسين طفلاً الذين يختتون عنوة كل سنة، بالإضافة إلى الأسرى الأسبان و الإيطاليين الذين يمثلون الأغلبية من معتنقي الإسلام[2].

أما الإحصائيات التي قدمها الأب "دان" « P. Dan » فتخص مدينة الجزائر التي كان يعيش فيها آنذاك حوالي 8000 علج، أكثرهم من صفوف الإنكشارية و جنود الميليشيا، أما عدد النساء فقد بلغ حوالي 1200علجة، أغلبهن اسبانيات و برتغاليات، إيطاليات و إغريقيات و انجليزيات

---

[*] Renégat: تعني مارق و مرتد عن الدين، انظر:
- سهيل إدريس، المنهل، قاموس فرنسي - عربي، ص. 1046.

[1] HAËDO (Fray Diego de), Topographie ... , op. cit., R. A. 1870, pp. 426 - 497.
[2] BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., pp. 105 - 106.

و خاصة الروسيات، في حين كان عدد الفرنسيات قليلاً لا يتعدى الثلاث أو الأربع نساء، و كلهن متزوجات[1].

أوجز "هايدو" « HAËDO » أسباب تحول الأسرى الأوروبيين عن الديانة المسيحية إلى الإسلام في قوله: "هي عند بعضهم الرغبة في التخلص من الأعمال الشاقة التي كانوا يقومون بها في حياة العبودية، و عند البعض الآخر الشوق إلى تذوق طعم الإحساس بحياة الحرية. و كل ذلك بسبب الإغراء الممارس عليهم من طرف المسلمين بتقديم الهدايا و إبداء الكرم اتجاههم"[2].

أما الأب "دان" « P. Dan » فقد فصَّل أكثر في هذه الأسباب؛ فبالنسبة إليه، فإن الأهواء و الرغبات هي التي تُفقدهم العقل و الحكمة و تدفعهم غالباً إلى الردة، رغبة في الحصول على الحرية[3].

- عدم تحمل حياة الشقاء في الرِّق و الرغبة في الخروج منها مستقبلاً و التخلص من القيود و السلاسل الحديدية.
- فقدان البعض للأمل في الحصول على الفداء و الحرية و بالتالي مواصلة الحياة وراء القضبان الحديدية.
- ضعف الإيمان عند البعض الآخر، الأمر الذي يمنعهم من تحمل المشاق و الصبر على المعاناة في سبيل الحفاظ على دينه المسيحي.
- رغبة بعض الأسرى في الانتقام من أسيادهم، حيث يتيح لهم اعتناق الإسلام فرصة المواجهة و الأخذ بالثأر.
- الهروب من العقاب في حالة حدوث عراك أو خصام بين الأسرى المسيحيين، حيث أن الذي يعلن عن نفسه مسلمًا يتجنب المحاكمة مع خصمه المسيحي.
- التخلص من قضاء الديون وتسديد الأموال التي استدانها الأسير عندما كان مسيحيًا.
- الإغراء الممارس عليهم و المتمثل في الوعود بمنح المال و الحرية من طرف المسلمين.
- التعلق بالملذات الجسدية و الشهوات الجنسية حيث كان الكثير من الأسرى المسيحيين على علاقات جنسية مع بنات أسيادهم، و حتى يتم زواجهم بهن لابد من اعتناق

[1] DAN (Pierre), op. cit., Livre 03, p. 341.
[2] HAËDO (Fray Diego de), Topographie … , op. cit., R. A. 1870, p. 497.
[3] DAN (Pierre), op. cit., Livre 03, p. 343.

الإسلام، كما أن هناك سيدات راقيات مَن تزوجن بأسراهن من أجل إدخالهم في الإسلام[1].

بالنسبة لـ "جون بابتيست غرامي"، فقد ذكر أسباب اعتناق الأسرى المسيحيين للإسلام ضمنيًا، عندما صنف العلوج إلى أربع فئات آخذاً دوافع اعتناق كل فئة للإسلام معياراً لهذا التصنيف:

- **الفئة الأولى**: و هي الأكثر من حيث العدد، حيث تضم عناصر من مختلف الأمم و المناطق، و هي المجموعة التي أسلمت رغبة في الحصول على امتيازات الجيش الإنكشاري أو ثروات القراصنة، و هؤلاء هم الذين أغراهم بريق المرآة السحرية لمدينة الجزائر[*].
- **الفئة الثانية**: و هي التي أسلمت بدوافع الخوف من التعذيب و ضربات العصي من جهة، و بدافع الملل من حياة السجون و اليأس من الحصول على الحرية من جهة أخرى.
- **الفئة الثالثة**: هي فئة المغرر بها تحت تأثيرات و ضغوط متعددة.
- **الفئة الرابعة**: و هي الأقل شأناً من حيث العدد و تتكون من أفراد بسطاء، جهلاء، سذج أو حمقى. هذا إضافة إلى الأطفال الذين يؤخذون عنوة من الأراضي المسيحية حيث يسهل إدخالهم في الديانة الإسلامية لأنهم يتميزون بالبراءة و السذاجة[2].

من خلال ما سبق، نستنتج أن آباء الفداء يتفقون في أن اعتناق الأسرى المسيحيين للملة الإسلامية قد تم باستعمال الضغط من قبل أسيادهم، و ذلك باعتماد إما أساليب الترهيب و العنف، و إما أساليب الترغيب و الإغراء، و يتأكد لنا ذلك من خلال بعض القصص التي وردت في كتاباتهم.

يقول "الأب دان" « P. Dan »: "البعض يصل إلى هذا الهدف (أي إدخال الأسرى المسيحيين للإسلام) باستعمال الضرب و التعذيب، حيث يلقى الأسير على الأرض و يتعرض إلى ضربات قوية و قاسية من طرف سيده تتراوح ما بين العشرين (20) و الثلاثمائة (300) ضربة على مستوى البطن و المؤخرة، و تحت تأثير الآلام يعلن إسلامه عن غير قناعة[3]".

---

(1) DAN (Pierre), <u>op. cit.</u>, Livre 03, p. 345.

(*) يوحي هذا التعبير بأهمية مدينة الجزائر كمكان لتحقيق الثروة و الشهرة آنذاك.

(2) BEN MANSOUR (Abd El Hadi), <u>op. cit.,</u> pp. 103 - 104.

(3) DAN (Pierre), <u>op. cit.</u>, Livre 03, p. 335.

من الأمثلة التي ساقها إلينا الأب "دان" « Dan » حول المعاملات اللاإنسانية من طرف القراصنة البربر ضد الأسرى الفرنسيين ما حدث في سنة 1633 م، حيث أسر أحد الشبان من مقاطعة بروفانس الفرنسية من طرف قراصنة الجزائر، كان يسمى بـ « Grullaume Sauveir » و البالغ من العمر حوالي 15 أو 16 سنة، أشتراه أحد الملاك و أراد إدخاله في الديانة الإسلامية مستعملاً أساليب عدة:

- كلّمه برفق حول الإسلام محاولاً إقناعه بالأمر، ففشل.
- بالغ في استعمال العنف بأن اقتلع أظافر يديه و رجليه.
- احرقه بالشمع المشتعل بدءاً من قدميه و هو نوع من القتل البطيء حتى صار على حافة الموت إلاّ أنه لم يدرك هدفه.

الأمر الذي جعله يقرر عدم التحدث إليه مجدداً عن الدين الإسلامي[1].

هناك طريقة أخرى شاع الحديث عنها، استعملت كوسيلة لإرغام الأسرى المسيحيين على اعتناق الإسلام، تتمثل في إدخال امرأة مسلمة على أسير مسيحي حيث تعمل على إغرائه للوقوع في الخطيئة التي يترتب عنها أحد الأمرين:

- **<u>الأمر الأول</u>**: قتل الأسير و رمي المرأة المذنبة في عرض البحر.
- **<u>الأمر الثاني</u>**: إجبار الأسير على إعلان إسلامه و إتمام زواجه مع تلك المرأة التي ستحتل مكانة مرموقة في حالة نجاحها في إتمام مهمتها.

و كمثال على ذلك ما روي عن إسلام أحد الأسرى بعد مؤامرة دبرها له مجموعة من العلوج، و يتعلق الأمر بالأسير « Noël » الذي يبلغ من العمر حوالي عشرين (20) سنة، دعاه بعض العلوج ليبيت عندهم، فلبى دعوتهم، بعد تناول العشاء تركوه ليبيت وحده في غرفة خاصة بحجة أنه يشرب الخمر، ثم ادخلوا عليه امرأة تركية عاهرة لتقحمه في الخطيئة، حيث سُمعت تصرخ متهمة هذا الأسير بالاعتداء عليها. عندها عُرض هذا المذنب على القاضي الذي خيره بين القتل أو الدخول في الإسلام[2]. و في هذه الحالة يقوم الجراح بختانه و تقام له

---

[1] DAN (Pierre), <u>op. cit.</u>, Livre 03, p. 335.
[2] <u>Ibid.</u>, p. 340.

مراسيم إعلان الإسلام (*)، كما يتلقى اسماً عربياً(**).

نقد:

بعدما وقفنا على أسباب اعتناق الأسرى المسيحيين للإسلام في الجزائر خلال العهد العثماني من وجهة نظر قساوسة و آباء الفداء، وبعد مقارنتها بما جاء في كتابات أخرى استنتجنا أن هؤلاء القساوسة لم يكونوا نزهاء جدًا في أحكامهم. لذا لابد من إخضاعها إلى النقد من خلال تحليل ظروف اعتناق هؤلاء المسيحيين و اندماجهم في الديانة الإسلامية.

تتفق مختلف الكتابات التي تطرقت للموضوع بأن بعض الأسرى المسيحيين قد كانوا مكرهين فعلاً على ترك المسيحية و اعتناق الإسلام سواءً بدوافع خارجية تسبب فيها ملاكهم (أسيادهم) باستعمال أساليب العنف (الضرب و التعذيب)، أو الإغراء(***) (الوعود بالأموال، المناصب(****)، و الإرث ... الخ)، أو تحت تأثير دوافع نفسية (داخلية) تتمثل في رغبتهم الملحة في الخروج من حالة البؤس و الشقاء بعد فقدان الأمل في الفداء[1]. إلاّ أن هذا الإكراه لم يكن في كل الحالات.

يقول "دو طاسي" « DE Tassy »: "أخطأ الكثير ممن يعتقد بأن الأسرى يكرهون على الدخول في الإسلام ، سواءً عن طريق الترغيب أو الترهيب"[2] و ذلك لسببين:

(*) مراسيم إعلان الإسلام بالنسبة لأسرى الداي أو الدولة تقام بشكل علني بحضور قاضي المحكمة الحنفية، حيث ينطق المسلم الجديد بالشهادة أمام شاهدين، بعدها يجري له الجراح عملية الختان، ليؤخذ في جولة على ظهر حصان عبر شوارع المدينة و هو يرتدي الحلة التركية الإسلامية في جو بهيج تملأه المعزوفات، هذا و تقام في المساء مأدبة عشاء على شرف هذا المسلم الجديد.

أما بالنسبة للنساء فتقتصر المراسيم على النطق بالشهادة، و ارتداء اللباس الإسلامي. للتفاصيل أكثر حول مراسيم إعلان الإسلام بالنسبة للأسرى المسيحيين، انظر:

- BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p. 104.
- DAN (Pierre), op. cit., Livre 03, p. 349.

(**) من أشهر الأسماء التي يُسمى بها العلوج الرجال "أحمد - إبراهيم - عبد المالك - عبد الله - حسان - شعبان - ببرم - داوود - إدريس - عثمان ... الخ". أما بالنسبة للنساء "عيشة - خديجة - آمنة - فاطمة - نفيسة - زينب ... الخ"، انظر:

- Ibid., pp. 350 - 351.

(***) كان كبار النجارين، بناة السفن و صاهري الحديد و أمثالهم و الضباط الذين وجدوا على ظهر السفن المأسورة من أصحاب المهارات التي تحتاج إليها البحرية الجزائرية هم أكثر الفئات التي يقع عليها الإغراء لاعتناق الإسلام، انظر:

- وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 226 - 227.

(****) حول هذا التأثير يتحدث "باناني" « Pananti » عن تجربته الشخصية "أخذني الباشا من يدي و بدأ يحدثني عن المستقبل الذي ينتظرني فقال: أتيت إلى الجزائر أسيرًا و انطلاقا من الغد سوف يصبح لديك الأمل في الحصول على منصب لم ينله الذين أتوا من قبلك منذ 100 سنة". فأجبته قائلا: "أي تعزية هذه تقدمها لسجين و راء القضبان الحديدية ؟!". فيرد الباشا: "العبودية « l'esclavage » هي الحالة الطبيعية للإنسان ... نحن كلنا أسرى العادات و التقاليد، و الأهواء و الغرائز، أسرى المرض و الموت ... الخ، إنك أسير و لكنك تتمتع بذكاء كبير و تتكلم بفصاحة، و أنت بالنسبة إلينا مكسب كبير، سوف تصبح ذات يوم مترجم أو أمين الداي، إنك تسبح في الذهب و الثروة و سوف تصبح شخصية مهمة و الكل سينحني أمامك".

يقول "باناني" « Pananti »: "بعد هذه المحادثة، بدأت التفكير في الثروة التي اختارها هؤلاء الناس أن تصبح ملكا لي"، انظر:

- PANANTI, op. cit., pp. 98 - 100.

(1) - Ibid., p. 241.
- DAPPER (D'O, D. M.), op. cit., p. 121.

(2) LAUGIER DE Tassy, op. cit., p. 62.

- **السبب الأول:** يرتبط بالأغراض المادية، حيث أن الأسرى الذين يعتنقون الإسلام يقابلون - عادة - بالرفض من قبل بلدانهم حتى و لو كان إسلامهم مشبوها، لهذا فحظوظهم في الفداء قليلة، ضف إلى ذلك فالأسير العلج أقل ثمنًا من الأسير المسيحي[1]. لهذا فهناك بعض الملاك الذين أجبروا أسراهم على البقاء مسيحيين حتى و لو رغبوا في الإسلام، و أشهر مثال على ذلك ما قام به "علي بتشين" الذي لجأ إلى استعمال العنف لمنع أحد أسراه من القيام بهذا العمل (اعتناق الإسلام).

يتعلق الأمر بأحد أسراه الفرنسيين "جون" « Jean »، كان آنذاك يعمل بحارًا، أراد أن يصبح علجًا (يدخل في الإسلام) أملاً في تغيير مهنته التي لم يكن راضياً بها، إلاّ أن سيده منعه من ذلك.

تمرد الأسير على قرار مالكه، حيث ارتدى لباساً تركياً استعاره من بعض العلوج و سمّى نفسه باسم "مصطفى" معلنًا بذلك اعتناقه للإسلام.

لمّا علم سيده بالأمر اتجه إليه مناديًا إياه باسمه القديم "جون" « Jean »، فردّ قائلاً: "اسمي مصطفى و ليس "جون" « Jean »".

أمام هذا العصيان، أمر سيده أربعة (04) من أسراه بضربه بقسوة بواسطة عصى خاصة إلى أن أعادوه إلى ما كان عليه حيث نطق بهده العبارات: "اسمي "جون" و ليس "مصطفى"، أنا مسيحي و لست تركيًا و سوف ألبس ملابس المسيحيين"[2].

- **السبب الثاني:** بعيدًا عن الأغراض المادية (الاقتصادية)، المالك المسلم المتسامح مع الدين المسيحي، كان يرى بأن مسيحيًا سيئًا سيكون مسلمًا سيئًا، لذا فإن معظم الأرقاء البالغين لم يقع عليهم التأثير بتغيير دينهم إلاّ ناذرًا[3]، و إنما راج ذلك بين الأطفال الذين تقل أعمارهم عن الثاني عشر سنة الذين كانوا يشترون من قبل الملاك الأكثر ثراءً، حيث لا يدخرون جهدًا في تربيتهم و رعايتهم و تنشئتهم تنشئة إسلامية على أساس أن ذلك العمل يرضي الله I و فرصة مناسبة لنيل الثواب و الجزاء.

ما يعاب على أحكام قساوسة الفداء أنها استبعدت أن يكون بعض الأسرى المسيحيين قد تركوا المسيحية و اعتنقوا الإسلام عن قناعة. كما أهملوا دور التربية و التنشئة الاجتماعية

---

(1) وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 225.

(2) ZEGHARI (Latifa El Hassar), op. cit., p. 165.

(3) وولف (جون)، المرجع السابق، ص. 225.

في اعتناق الإسلام و الاندماج في المجتمع المسلم بالنسبة للأسرى الأطفال الذين ألحقوا بالمدارس القرآنية أين كانوا يتلقون مبادئ الدين الإسلامي ليصبحوا علوجًا شبانًا يترددون مع أسيادهم على المساجد، يؤدون الصلوات، يصومون رمضان، و يقرؤون أحيانًا بعض سور القرآن ... الخ.

هذه الأشياء كثيرًا ما كانت تعطي ثمارها(*) حيث خلقت من بعض الأسرى علوجًا مسلمين ورعين، أثبتوا ذلك من خلال سلوكاتهم (كالمحافظة على الصلاة في المساجد، الاحتراس من شرب الخمر و أكل لحم الخنزير ... الخ)(**). من بين هؤلاء:

- الشاب الإنجليزي « Lewis Crew »: الذي أسر في البحر في سن الثامنة أو التاسعة، تربى على الممارسة اليومية للشعائر الإسلامية و ظل مسلماً ورعاً لمدة ثلاثة عشر (13) سنة.

- « L'Alicantin José Bualites » الذي درس في مدرسة قرآنية مع أطفال سيده، و أصبح مع مرور الوقت مسلماً وفياً لمحمد و ديانته.

- « Budos »: أحد العلوج صرّح علانية برفض التثليث في هذه العبارات التي أجاب بها رجال الدين المسيحيين: "لا يوجد ثاني و لا ثالث، هناك واحد أحد هو الله، المسيح كان رجلاً خيراً و رسولاً و لكنه لم يكن ابن الله".

- جورج الإغريقي « Georges le Grec »: قال معبرًا عن إسلامه لأحد المسيحيين: "أنا تركيٌ، و أريد أن أموت تركيًا، و أفضل أن أقدم حياتي ألف مرة للدفاع عن ملة محمد"، و أضاف قائلا: "إن الله قادر أن يقبض روحنا في أي لحظة، و سوف ترى بأنني سأكون في الجنة و أنت مآلك الجحيم".

(*) في بعض الأحيان هذه الأشياء لا تؤدي إلى نتيجة مُرضية حيث سجلت حالات تظاهر فقط فيها العلوج باعتناق الإسلام، مثل الدانمركي المسمى « Peter Christiansen » الذي واصل ممارسة شعائر المسيحية سرًا، و كذلك « Zacaria Morganti » و أصله من جزيرة كريت الذي قصد المدرسة القرآنية مدة ثمانية (8) سنوات، و مارس العبادة بطريقة منتظمة إلاّ أنه عاد إلى حياته الأصلية بعد خمس (5) سنوات من وفاة سيده ... ، حول الموضوع، انظر:

- BEN NASSAR (Bartolomé), Les Chrétiens convertis à l'islam (Renégat et leur intégration aux XVIe - XVIIe siècles), Les Cahier Tunisienne, P. 46.

(**) في سنة 1636 م أسر قراصنة الجزائر إحدى سفن مرسيليا و بيع البحارة الذين كانوا على متنها، في أسواق الجزائر، وقد كان من الأسرى فرنسيان، اعتنقا الإسلام و التحقا للعمل مع قرصان الجزائر.

في أحد الأيام وجه لهما أحد الأسرى المسيحيين دعوة للعشاء مع بعض المسيحيين الآخرين (أسرى و علوج)، امتنعا عن أكل لحم الخنزير و ذكّرا إخوانهم العلوج بأن أكل لحم الخنزير مُنهى عنه في الشريعة الإسلامية، انظر:

- El Hassar-Zeghari (Latifa), op. cit., p. 242.

- علج علي[*] عبر أيضًا عن إسلامه بهذه العبارات: "الله هو الذي جعلني تركيًا، قطعوني إربًا إربًا، احرقوني، لن أقول غير هذا، أنا تركيٌ و أريد أن أموت تركيًا". و قال أيضا: "الله لم يمت على الصليب و لم يولد"[1].

إن هذه التعابير توحي بأن إسلام هؤلاء كان صحيحًا و عميقًا، فاستنادًا إلى شهادة "هايدو" « HAËDO » فإن "العلوج يصبحون أكبر أعداء المسيحيين، بخاصة أولائك الذين يتبوأون مناصب عليا في السلطة و الحكم و يسيطرون على مصادر الثروة في الجزائر"[2]. فمن غير المستبعد أنه يقصد هنا العلوج الذين كان إسلامهم صحيحًا، وساندوا إخوانهم المسلمين في الجزائر من أتراك و مغاربة في صراعهم ضد القوى المسيحية في الضفة الشمالية للبحر المتوسط.

في الأخير نستنتج ما يلي:

- إكراه الأسرى المسيحيين على الإسلام من قبل ملاكهم (أسيادهم) لم يكن قاعدة و إنما استثناءً.
- بعض الأسرى تركوا المسيحية و اعتنقوا الإسلام عن قناعة.
- هناك من الأسرى المسيحيين من كان إسلامه عميقًا، حيث برهنوا على اندماجهم في المجتمع الإسلامي في الجزائر.

3) الطعن في الرموز المقدسة للمجتمع الجزائري:

إن كتابات آباء الفداء تحمل بين طياتها الكثير من ملامح شخصياتهم المتعصبة و التي تحكمت إلى حد كبير فيما نقلوه عن المجتمع الجزائري و رموزه المقدسة، منها ما كان بطريقة غير مباشرة من خلال إبراز بعض الممارسات الدينية الخاطئة في المجتمع الجزائري و عاداته و تقاليده، و منها ما كان أكثر تجريحاً حيث تعمدت الطعن في هذه الرموز و انتهاكها بطريقة صريحة جارحة و مباشرة، على رأسها كتابات الأب "دان" « P. P. Dan ».

---

[*] علي علج: حكم الجزائر ما بين (1568 م - 1572 م) من أصل ايطالي، أسر من طرف الجزائريين ما بين اثني عشرة(12) و عشرين (20) سنة و قُيِّد للعمل في السفن مع بقية الأسرى المسيحيين، كان مصابًا بمرض الصلع، فلقب بالفرطاس، أصبح علجًا بعد أربعة عشر (14) سنة من أسره، ارتقى في العمل إلى أن وصل إلى مرتبة الحاكم الأول (الباشا)، حول حياته و أهم أعماله، انظر:
- محمد سي يوسف، قليج علي باشا و دوره في البحرية العثمانية، تحت إشراف أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ جامعة الجزائر، السنة (1408 هـ / 1988 م).

[1] BEN NASSAR (Bartolomé), op. cit., pp. 46 - 52.
[2] HAËDO (Fray Diego de), Topographie et … op. cit., R. A. 1870, p. 499.

قدم هذا لأخير ترجمة وجيزة لشخصية الرسول محمد ρ في هذه العبارات التي تنم عن الحقد و التحامل إذ يقول: "هذا الغشاش و الدّجال « Imposteur » من أصل عربي، ولد حوالي سنة 542 م في قرية مكة التي سميت - فيما بعد - المدينة، فقر أبويه، عبد الله و آمنة جعله ينمو في وسط سمح له باكتساب صفات قبيحة و مشاعر فطرية سيئة ...".

وما يمكن ذكره من إيجابيات هذا الشخص اتصافه بنوع من النباهة و النشاط في الحياة اليومية إضافة إلى موهبته في ممارسة التجارة. لذا فقد استغل فطنته ونباهته و مواهبه ليحقق طموحه بمختلف الوسائل الخارقة ليقحم نفسه في عالم العظماء"[1].

أما القرآن الكريم فيتناوله على أساس أنه: "حكايات خرافية مضحكة و تافهة، مليئة بالأخطاء و السخافات، بل أنها مجموعة من الوصايا و التعاليم من وحي نبي المسلمين الدجال، عمل عثمان على ترتيبها و تجميعها ... "[2].

لسنا هنا بصدد الحديث عن السيرة النبوية، فقد أحيطت سيرته الشريفة بدراسات كثيرة، أزاحت كل غموض يشوبها. و رغم ذلك لابد من الرّد على هذه المغالطات التي وردت في تلك العبارات.

إن المآخذ التي تحسب على صاحبها كثيرة حيث لا يكاد يذكر صفات ايجابية إلاّ ما تعلق بالجانب المادي قبل البعثة (مهارة محمد ρ في ممارسة التجارة).

- **الخطأ في إثبات تاريخ ميلاد الرسول محمد r:**

استنادًا إلى كتب السيرة المحمدية، فإن ميلاد محمد ρ قد كان يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول من عام الفيل[3][*]، و يوافق ذلك عشرين (20) أو اثنين و عشرين (22) من شهر أفريل سنة 571 م[4]. و عليه فالتاريخ الذي أشار إليه الأب "دان" « P. P. Dan » بعيد جداً عن التاريخ الصحيح (حوالي 29 سنة)، الأمر الذي يجعلنا نرجح

---

(1) DAN (Pierre), op. cit., Livre 02, pp. 264 - 265.

(2) Ibid., p. 266.

(3) ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت سنة 218 هـ)، السيرة النبوية، ومعه ألفية السيرة النبوية، أرجوزة شعرية، للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (ت 806 هـ)، ج 1، تقديم و مراجعة صدقي جميل العطار، تحقيق و تعليق سعيد محمد اللحام، ط 3، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)، ص. 143.

(*) و هي الرواية الأشهر، و قال علماء الفلك أن الأصح هو التاسع من ربيع الأول الموافق لـ 20 أفريل، انظر:

- المبار كفوري (صفى الرحمان)، الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام، ط 4، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، المنصورة، ج. م. ع، (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م)، ص. 70.

(4) نفسه، ص. 71.

بأنه لم يطلع إطلاقا على تفاصيل حياته حتى أنه في ترجمته المقتضبة لم يثبت نسبه مفصلاً و اكتفى بالإشارة إلى أصله العربي.

- **الخلط بين مكة و المدينة و اعتبارهما قرية واحدة:**

مكة و المدينة من مدن إقليم الحجاز الواقع في شبه الجزيرة العربية، حيث تقع الأولى إلى الجنوب في واد غير ذي زرع، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو الميلين، و عرضها من الشرق إلى الغرب نحو الميل. و تعتبر هذه المدينة منبع الإسلام و موطن الوحي و بها نشأته الأولى (محمد ε) وسط أفراد قبيلته قريش. أمّا المدينة فاسمها يثرب و هي تبعد عن مكة بحوالي 447 كم شمالاً. و هي دار الهجرة التي نزل بها أغلب التشريع الإسلامي[1].

إن هذا الخلط الجغرافي الذي وقع فيه الأب "دان" « P. P. Dan » ينم عن جهله بطبيعة البيئة التي نشا بها محمد ρ.

- **نفي صفة النبوة عنه و وصفه بالدّجال:**

يبدو الأب "دان" « P. P. Dan » - من خلال العبارات السابقة - منقاداً و مستسلماً لسطوة أفكارٍ رئيسية، يحاول إقناع القارئ بها، و هذه الأفكار لم تكن وليدة الاستقراء و لا الاستنباط، و إنما هي أفكار مسبقة تعتمد على إنكار الرسالة المحمدية.

من الغريب أن ينفي الأب "دان" « P. P. Dan » - و هو من رجال الدين المسيحيين - صفة النبوة عن الرسول محمد ρ، متجاهلاً ما ورد بالإنجيل في حق هذه الشخصية. قال ابن إسحاق: "و قد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله محمد ρ ممّا أثبت يُحَنَسُ الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم υ في رسول الله ρ إليهم. أنه قال: من أبغضني فقد أبغض الرب. و لولا أني صنعت بحضرتكم صنائع لم يصنعها احد قبلي ما كانت لهم خطيئة. و لكن من الآية بطروا وظنوا أنهم يَعُزّونني و أيضًا للرّب، و لكن لا بد من أن تتم الكلمة التي

---

[1] أحمد أمين، فجر الإسلام، ط 11، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1989، ص. 171 - 172.

في الناموس. أنهم بغضوني مجاناً - أي باطلاً - فلو قد جاء المُنْحَمَنّا[*] هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرّب. روح القدس هذا الذي من عند الرّب خرج، فهو شهيد علي و أنتم أيضاً، لأنكم قديماً كنتم معي. في هذا قلت لكم لكيما لا تشكّوا)"[1].

إن الرهبان النصارى قد رأوا في شخص محمد قبل البعثة دلائل و علامات النبوة التي أشير إليها في كتبهم المقدسة و هناك حوادث و قصص تؤكد ذلك منها.

قصة الراهب بَحِيرى الذي نصح عم الرسول ρ "أبو طالب" بأن يعود بابن أخيه - محمد - إلى مكة - و كان قد خرج معه في ركب التجار على الشام - حيث حذره بهذه العبارات: "فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود. فو الله لئن رأوه و عرفوا منه ما عرفت (أي علامات النبوة) ليبلغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده"[2].

أما حديث ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم زوج الرسول ρ خديجة - رضي الله عنها - الذي كان نصرانياً يتتبع الكتب، فقد أخبر ابنة عمه "بأن محمد سيكون نبي هذه الأمة، و قد عرفت أن لهذه الأمة نبي ينتظر ،هذا زمانه" و نضم في ذلك أبياتًا شعرية، منها:

لَجِجتُ و كنت في الذكرى لجوجاً	لِهَــمٍّ طالمــا بعث النّشِيجــا
و وصف من خديجة بعد وصف	فقد طال انتظاري يا خديجــا
ببطن المكّتين عــلى رجــائــي	حديثك أن أرى منه خُروجــا
بما خبّرتِنا مــن قـــول قَــسّ	من الرهبان أكره أن يَعوجــا
بــأن محــمداً سيسود فينـــا	و يَخْصِمُ من يكونُ له حجيجا
و يظهر في البــلاد ضياء نــور	يقيم به البريــة أن تموجــا
فيلــقى مــن يحاربــه خَســارا	و يلــقى من يسالمه فُلوجــا
فيــا ليــتني إذا ما كان ذاكــم	شهدت و كنت أكثرهم ولوجا[3]

من خلال ما تقدم ذكره، تستنتج أن أهل العلم من الرهبان المسيحيين المتقدمين قد سلموا بصدق ما ورد في كتبهم المقدسة حول نبوة محمد ρ. و على النقيض من ذلك نجد قساوسة

---

[*] المُنْحَمَنّا بالسريانية: و تعني محمد، انظر:

- ابن هشام، المصدر السابق، ص. 187.

[1] ورد هذا في كتاب السيرة لابن هشام في ص. 186، نقلاً عن إنجيل يوحنا،١٥: ٢٣ - ٢٦.

[2] ابن هشام، المصدر السابق، ص. 150.

[3] نفسه، ص. 155 - 156.

الفداء يصدرون أحكاماً دعائية مغرضة تغذيها مشاعر الحقد التي كان يكنها مسيحيو أوروبا لمسلمي الضفة الجنوبية للبحر المتوسط.

أمّا فيما يخص القرآن الكريم، فيرجح بأنهم لم يطلعوا عليه أصلاً، حتّى أن القس "هايدو" « HAËDO » ذكر أنه كتب بحروف تركية[1]، كما ينسبون بعض الأحكام الشرعية الواردة فيه إلى الأشخاص مثل المرابطين[*].

---

[1] HAËDO (Fray Diego de), Topographie et … op. cit., R. A. 1871, p. 62.

[*] من بين الأخطاء التي ذكرها "غرامي" و غيره، أن الشريعة الإسلامية سمحت للرجل بالزواج من مجموعة كبيرة من النساء، و أن المرابطين قلصوا هذا العدد إلى أربعة، و بعضهم إلى سبعة. انظر:

- BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p. 513.

II. الجوسسة:

في حديثه عن العلاقات بين الجزائر و أوروبا، خلال العهد العثماني وصفها "مولاي بلحمسي" بأنها تكتسي طابع الحرب الخفية أو السرية « La Guerre secrète »، حيث كشف لنا الأساليب المختلفة لتنفيذ الخطط الحربية التي كانت تستهدف القضاء على الأيالة الجزائرية من طرف القوى المسيحية الأوروبية، فصنفها إلى:

- أسلوب القوة و المتمثل في الحملات العسكرية.
- الحرب الهادئة التي تعتمد الدسائس و أساليب الجوسسة[1]، فلا يوجد فرق بين جندي مسيحي و جاسوس ما عدا أن الأول عدو ظاهر و الثاني متخفي مستتر[2].

من بين الفئات التي لعبت دوراً كبيراً في عملية الجوسسة فئة الأسرى، حيث سمح وجود أعداد كبيرة منهم في الجزائر على خصائص الحكم بها و عوامل القوة و الضعف فيها. و قد دونوا معلوماتهم في تقاريرهم المفصلة حولها، و كانت أغلبها تشجع مشروع الإغارة على الأيالة الجزائرية.

لذلك، فقد كلف بعض الفرنسيين من طرف حكوماتهم بالتوجه إلى سواحل جِنوة و غيرها من سواحل البحر المتوسط بحثاً عن رجال أذكياء كانوا أسرى في الجزائر و سجونها من أجل الحصول منهم على معلومات و تفاصيل تتعلق بالجزائر خاصة من أولئك الذين كانت لهم علاقة مع سكانها.

من الأمثلة عن ذلك، أحد رجال ميلانو كان أمضى ستة عشر (16) سنة أسيراً في خدمة ملوك فاس، المغرب و الجزائر، ذهب إلى مدريد يعرض خبرته حول هذه البلدان، و كذلك "تدنا" « Thédénat » الذي كان وزيراً لباي معسكر أثناء فترة أسره، اقترح الإبحار لتحطيم مدينة تنس بحكم معرفته لأحوالها، و امتلاكه لمعلومات هامة تخص أوضاع الأيالة الجزائرية[3].

إن هدف رجال الكنيسة لا يختلف عن رجال السياسة، حيث يتمثل في تحطيم الأيالة الجزائرية و إذلال سكانها المسلمين.

---

(1) BELHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe … op. cit., p. 209.
(2) Ibid., p. 193.
(3) Ibid., pp. 47 - 48.

لذا فإن مهام التنظيمات و الطوائف الدينية التي تحدثنا عنها سابقاً، لم تقتصر على افتداء الأعداد الهائلة من الأسرى و تثبيتهم على عقيدتهم المسيحية، و إنما كانوا أيضاً مساعدين لا غنى عنهم في تقديم خدمات للممالك الأوروبية[1].

فإقامة قساوسة الفداء في الجزائر مدة من الزمن، و تعاملهم مع مختلف الفئات من الطبقة الحاكمة و المحكومة على حد سواء، سمح لهم بتقصي الأوضاع و التعرف على نقاط الضعف و القوة داخل الأيالة الجزائرية (الحصون، الأبواب، المنازل، ... الخ)، كما تعرفوا أيضاً على خصائص الحكم و عادات و تقاليد المجتمع الجزائري و أسهبوا في وصفها من خلال التقارير التي أرسلوها إلى بلدانهم، فكانت أغلبها من الكتابات المؤثرة المروجة للمشاهد المرعبة الهادفة إلى إثارة الحقد المسيحي ضد مسلمي الجزائر بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط.

لقد جسدوا من خلال هذه الكتابات "العداء المتأصل و الصراع المستمر بين نمطين من الثقافة، ازدهرا في منطقة البحر المتوسط، و هما الإسلام و المسيحية[*] بإبراز صفين متصارعين؛ الصف المتمسك بمبادئ الشرف من جهة، و الصف المتوحش من الجهة المقابلة، صف الحق و صف الباطل، الواحد منهما صاحب الإيمان بالعقيدة الصحيحة و الآخر صاحب الخرافات و الأباطيل[2]، و هم يهدفون من وراء هذا الاحتقار و الازدراء إلى حياكة المشاريع الناجحة لتحطيم الأيالة الجزائرية حيث نصبوا أنفسهم منظرين للحملات الحربية، خاصة أولئك الذين تولوا مهامهم في افتداء الأسرى[3].

يتضح لنا هذا التأثير السياسي من خلال بعض الوقائع و النماذج:

- في سنة 1603 م، قتل الأب "الفرانسيسكاني" « Franzisqus Ciranus » لأنه قام بتهريب خمسة (05) من الأسرى و كان يحمل تقارير مكتوبة موجهة إلى الملك الإسباني[4].
- الأب « Le Père Gianola » من أصحاب الثالوث المقدس الأسبان، كتب تقريراً مفصلاً سنة 1689 م، عبر فيه عن رضاه بالاستقبال الذي حضي به من طرف داي

---

[1] BELHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe … op. cit., p. 25.

[*] شبه "فرنان بروديل" العلاقة بين الغرب المسيحي و العالم الإسلامي بين ضفتي البحر المتوسط،بالعلاقة بين الهر و الكلب، حيث يجمعهما تعارض عميق، يقوم على التنافس و العداء و الاقتباس، انظر:

- فرنان بروديل، المتوسط و العالم المتوسطي، تعريب و إيجاز مروان أبي سمرا، ط 1، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان (1413 هـ / 1993 م)، ص. 99.

[2] بونو سلفاتور، العلاقات بين الجزائر و ايطاليا، ترجمة أبو القاسم بن التومي، مجلة الأصالة، جانفي 1972، ص. 99.

[3] BELHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe … op. cit., pp. 26 - 27.

[4] Ibid., p. 195.

الجزائر، كما أبدى آماله لنجاحه في مهامه. و وضح سهولة القضاء على الأيالة بهذه العبارات المشجعة: "هذا البلد الذي يمثل الجحيم بالنسبة للجميع، فهو في منظوري يستحق تعزية و مواساة لا توصف"[1].

أمّا عمل الأب "دان" « P. Dan » و بعيداً عن دوره في افتداء الأسرى، فكان يهدف من خلال تقديم تفاصيل حول الجزائر إلى تحفيز الأوروبيين على شن حملاتهم ضدها، مبرزاً نقاط الضعف من أجل تأكيد النجاح. و لا يخرج عمل "غرامي" « Gramaye » عن هذا الهدف، حيث درس عن كثب الوسائل العسكرية الناجعة المجندة لإنجاح الحملات الحربية من أجل تحطيم الجزائر. كما وجه دعوة للقوى المسيحية لتحطيم الأيالات المغربية ككل[2].

« L'Africa illustrata » عمل تنقيبي، تاريخي و معرفي. أمّا « Le Diarium » فيمثل شهادة شخصية لـ "غرامي" « Gramaye » حول أسره بالجزائر سنة 1619 م. حيث سجل فيه ملاحظاته الشخصية حول الأحداث التي عايشها و شاهدها، كما أتاح له حضوره وسط الجماعات المسيحية فرصة سامحة ليطلق نداءً جاداً للممالك المسيحية من أجل تحطيم الأيالات المغاربية (دول الباربراسك)، مقترحاً الوسائل و الأساليب المتعددة لتحقيق هذا الهدف.

فعمل "غرامي" « Gramaye » عموماً يشجع الصراع و الحرب السياسية بين ضفتي البحر المتوسط.

قيم "جون بوشي" « Jean Boucher »، دكتور متخصص في علم اللاهوت عمل "غرامي" « Gramaye » في هذه العبارات: " إنه لا يتعارض مع الأيمان و لا مع العادات الحسنة، و لهذا العمل الفضل في تبيين و توضيح الوسائل الناجعة من أجل استرجاع المسيحيين لإفريقيا، لذا فهو يستحق الطبع"[3].

لقد وصف "غرامي" « Gramaye » الجزائر من الخارج و الداخل؛ مبانيها الرئيسية، الشوارع، الأبواب، المنازل، المساجد، الحمامات، العيون، ... الخ.

كما صور حياة و معاناة الأسرى بالجزائر التي نعتها بالجحيم، معلم القرصنة و وكر الأسرى المسيحيين كل ذلك من أجل إثارة الحقد المسيحي ضد المسلمين في الجزائر[4].

---

(1) BELHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe … op. cit., p. 25.
(2) Ibid., pp. 27 - 28.
(3) BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., pp. 251 - 252.
(4) Ibid., p. 260.

لقد كان لكتابات هؤلاء القساوسة قيمة كبيرة، لهذا فقد حضيت هذه الوثائق بالتقدير من طرف الدول و الحكومات التي عملت على استثمارها في الوقت المناسب، حيث نجد أن الفرنسيين، و في أول فرصة جدية تأكدوا فيها من ضعف الأسطول الجزائري (بعد معركة نافارين سنة 1827 م).، استخرجوا من خزائن الوثائق و الأرشيفات تلك التقارير و المشاريع بما تحملها من تفاصيل و تحريضات و تنبؤات، من ذلك ما كتبه القس الأسقف "بوسوي" « Bossuet » التي تفيض حقداً و تهديداً، إذ خاطب الجزائر العاصمة قائلاً: "ستسقطين تحت أقدام غالبك ! تقولين، يا جزائر، الغنية بغنائمك من النصرانية،: « إني اسود البحار، و الأمم هي فريستي » ! و خفة سفنك كانت تملؤك ثقة بنفسك. و لكنك ستهاجمين في عقر دارك، مثل نسر يصطاد في عشه، من بين الصخور المستعصية ...

« إنك مثل صيدا (عاصمة الفينيقيـين في لبنان). و مع ذلك فقد سكتت هي في أعماق البحار! »"[1].

من خلال ما سبق، يتضح لنا أن آباء الفداء قد كانوا عيون أوروبا في الجزائر و نماذج من "شخصيات المتوسط الأكثر تعقيداً، و تناقضاً لامتلاكها خصائص متعارضة. فهي أخوية من وجه أول، و استبدادية شرسة من وجه ثان، فضلاً عن أنها مسالمة و محاربة في آن واحد"[2].

---

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ج 2، ص. 223 - 224.

[2] بروديل (فرنان)، المرجع السابق، ص. 135.

III. التبشير:

إن التسامح الديني الذي تمتعت به الفئات المسيحية بالجزائر، مكن آباء و قساوسة الفداء « Les Pères Rédempteurs » بمختلف انتماءاتهم المذهبية من ممارسة مهامهم الروحية تجاه الأسرى من جهة، و أداء دور الكنيسة في عملية التبشير من جهة أخرى.

صرح الأب "غرامي" « Gramaye »: "بأن لابد من وجود و حضور ديني مسيحي كبير و قوي في المغرب ... و لهذا يجب على الكنيسة إرسال مبشرين و قساوسة إلى البلاد البربرية على رأسهم قديس يشرف على عملهم[1]"

في الحقيقة، لا نملك إحصائيات تتعلق بعدد المسلمين الذين تركوا الإسلام و اعتنقوا المسيحية تحت تأثير هذه البعثات في الجزائر، لذا عملنا عبارة عن استنتاجات مؤسسة على المعطيات الواردة في الفصل السابق، الهدف منها هو تأكيد وجود نية التبشير و نشر الديانة المسيحية في الجزائر من طرف هذه البعثات التي يعتبر عملها وجهاً آخر للحروب الصليبية في شمال إفريقيا[*].

لقد - ذكرنا سابقاً - أن المؤسسات الاستشفائية كانت تستقبل المرضى من الأتراك و الحضر المسلمين في الجزائر خاصة أيام الوباء و الطاعون[**]، الأمر الذي يجعل المجال واسعاً أمام العمليات التبشيرية، علماً بان هذه المستشفيات تحتوي على كنائس و أسقفيات يقام فيها القداس اليومي و الاحتفالات الدينية الصارخة بحضور بعض المسلمين من الأتراك و المغاربة.

فنحن لا نستبعد بان هذا العمل الخيري، إنما كان الهدف منه استمالة العنصر الإسلامي و تحريك مشاعر التقدير و الاحترام تجاه العنصر المسيحي و الديانة المسيحية على حد سواء.

إدراكاً منه لقيمة الطب و الاستشفاء في ممارسة العمل التبشيري، قام مؤسس التنظيم اللازاري "سان فانسان دو بول" « Saint vincent De Paul » في النصف الأول من القرن السابع عشرة ميلادي (17 م) بإرسال اثنين من إخوانه « Ses confrères » و هما

---

[1] BEN MANSOUR (Abd El Hadi), op. cit., p. 255.

[*] أشار "بلحميسي" إلى الأهداف التبشيرية لهذه البعثات الدينية، و أنها كانت تؤدي دور الحروب الصليبية و لكن بأسلوب آخر، و يتضح ذلك في العبارات: "Après le temps des croisades, vint le temps des missions, on déposa les armes et on prit la bure, Les moyens différaient mais le but resta le même,on préférait la drogue douce, ce n'est pas sans raison que l'on comptait au Maghreb plus de 10 confréries, congrégations et ordres", Voir :
- BELHAMISSI (Moulay), Alger, L'Europe & la guerre secrète (1518 - 1830), Éditions DAHLAB, Alger, p. 30.

[**] حول دور المستشفيات المسيحية أيام الوباء، انظر: الفصل الثاني، عنصر الرعاية الروحية للأسرى المسيحيين.

« M. du coudray » و « M. Boucher » إلى مدينة الجزائر في مهمة لافتداء ثمانين (80) أسيراً، و تمسيح آخرين على أن يرفق هذان المبشران بجرّاح يعمل على تأسيس مستشفى صغير من أجل الحصول على حق الإقامة المطولة في الجزائر، فلا توجد طريقة - يقول: "« Saint vincent De Paul» - أكثر فعالية لنشر الحقيقة و الديانة الكاثوليكية من طريقة الطب و الاستشفاء"[1].

لقد أقامت البعثات التبشيرية اللازارية الفرنسية هياكل و معابد دينية و مراكز متعددة في الجزائر محاولة بذلك خلق الفرص المواتية لإثارة دول أوروبا المسيحية ضد المسلمين، حيث نجح هؤلاء القساوسة كثيراً في أداء مهامهم، و أخذت الحكومات الأوروبية تعتمد عليهم في تبرير غاياتها و أصبح التعويل في افتداء الأسرى على هذه الجماعات الدينية و بالأخص على رجال الكهنوت منهم، ثم عهدت إليهم حكوماتهم بالتمثيل الدبلوماسي و القيام بوظائف السفراء حتى اجتمعت المصلحة الدينية المسيحية بالمصلحة السياسية الفرنسية و حتى أصبح ممثل فرنسا هو ممثل المسيحية في أرض المسلمين بالجزائر[2].

---

[1] GLEIZES C. M (Raymond), op. cit., p 71.

[2] الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد)، المرجع السابق، ص 162 - 163.

الخاتمة

الخـاتمـة :

في ختام هذا البحث، نعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها، بشكل مختصر و مركز و هي كالآتي:

إن عمليات افتداء الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني فرضها نشاط البحرية الجزائرية، و ما ترتب عنه من أعداد كبيرة في صفوف الأسرى المسيحيين من مختلف الجنسيات خاصة بمدينة الجزائر.

أثرت مسألة الأسرى الأوروبيين و افتدائهم على العلاقات الدولية بين الأيالة الجزائرية و الضفة الشمالية للبحر المتوسط، حيث سيطرت هذه القضية في الكثير من الأحيان على بنود معاهدات السلم و التجارة التي كانت تعقدها سلطة الأيالة مع بعض القوى الأوروبية - على رأسها فرنسا - و كان غالباً ما ينتج عنها تسريح جماعي في صفوف الأسرى.

شهدت عمليات افتداء الأسرى الأوروبيين في الجزائر نشاطاً كبيراً، حتى أنها اكتسبت طابعاً اقتصادياً عُبِّرَ عنه بـ "تجارة الفداء" بما كانت تدره من أموال على خزينة الدولة من جهة و على ملاك الأسرى من جهة أخرى.

كانت عمليات الفداء تتم بطرق متعددة، تساهم فيها مختلف الأطراف و الوسائط مثل: أقارب الأسير و أصدقائه ، الملوك ... الخ. و خاصة الكنيسة التي كانت ترسل بعثات من رجال الدين عرفوا بقساوسة و آباء الفداء « Pères Rédempteurs » أو مفتديي الأسرى « Les Rédemptoristes » نظراً لنشاطهم الكبير في أداء هذا الواجب المقدس عندهم، المتمثل في افتداء الأسرى، خاصة أولئك الذين ينتمون إلى الطوائف و التنظيمات الدينية الإسبانية و الفرنسية، المتمثلة في:

- تنظيم الثالوث المقدس « L'Ordre Trinitaire »
- تنظيم سيدة الرحمة « L'Ordre Mercédaire »
- التنظيم اللازاري « L'Ordre Lazariste »

لقد تجسد نشاط آباء الفداء في افتداء الأسرى من خلال إجراءات متعددة، أهمها:

- جمع التبرعات المالية من مختلف المقاطعات المسيحية الأوروبية في شكل مواكب دينية « Des processions » وفق أساليب و طقوس تهدف إلى إثارة الشعور المسيحي عن طريق سرد قصص و روايات مؤثرة حول واقع الأسرى في الجزائر و ذلك من أجل جمع أكبر عدد ممكن من الصدقات و الأموال، و بالتالي تحرير عدد كبير من الأسرى.
- الإبحار باتجاه مدينة الجزائر في شكل بعثات رسمية تؤكد شرعيتها رايات الفداء و العلامات التي تميز سفنهم، حيث تحفظهم من خطر القرصنة البحرية والأسر.
- التفاوض مع الجهة المالكة للأسرى؛ الداي (حاكم الجزائر) أو الملاك الخواص، من مختلف الطبقات الاجتماعية.

و تتعلق نقاط التفاوض خاصة بقيمة الفدية و عدد الأسرى الذين يمكن فداؤهم، حيث أن كل طرف كان يسعى لكسب الورقة الرابحة في الصفقة، و قد لاحظنا بخصوص التفاوض مع الداي (حاكم الجزائر) ما يلي:

- Ø تحديد قيمة الفدية - عادة - ما يكون من صلاحيات الداي (حاكم الجزائر).
- Ø وجود بعض التقاليد تتعلق بدفع بعض الحقوق و الهدايا للداي و ممثل الديوان، و هو ما يعكس لنا معرفة آباء الفداء بأمور السياسة، و دور الهدية و الهبة في توطيد العلاقات بين الأشخاص و الحكومات في تلك الفترة.
- Ø تفاوض حكام الجزائر مع هؤلاء الأيالة يوضح لنا بأن سلطة الأيالة الجزائرية كانت تعترف بهم كجهات رسمية، حيث كانوا يمثلون السلطة الروحية (سلطة الكنيسة) من جهة و السلطة السياسية من جهة أخرى. خاصة و أن بعض القساوسة اللازاريين كانوا قناصل فرنسا في الجزائر.
- Ø وجود بعض الممارسات و الطقوس تصاحب إجراءات الفداء من بدايتها إلى نهايتها تمارس في الجزائر و حتّى بعد العودة بالأسرى المحررين إلى أوروبا.

لقد لاحظنا، أنه بالإضافة إلى مهمة الافتداء، كان لهؤلاء القساوسة مهاماً و التزامات اجتماعية أخرى، سعوا من ورائها إلى تحقيق جملة من الأهداف و ذلك من خلال:

- تقديم خدمات الطب و الاستشفاء، حيث لوحظ تأسيس عدة مستشفيات و مصحات مختلفة على مستوى سجون الأسرى الرئيسية الموجودة بمدينة الجزائر منذ سنة 1551 م، يشرف عليها آباء الفداء، و كانت مزودة بمختلف المعدات و التجهيزات، و تستفيد من مداخيل و عوائد مالية ثابتة، و يشرف عليها آباء من طائفة الثالوث المقدس « L'Ordre Trinitaire ».

لوحظ نشاطها على نطاق واسع خاصة أيام الوباء، حيث كانت تقدم خدماتها الصحية لفئات الأسرى من مختلف الجنسيات، كما شملت خدماتها حتّى بعض المسلمين (الأتراك و المغاربة .. ... الخ) - حسب بعض الشهادات الأوروبية -.

- توفير العناية الروحية للأسرى طيلة بقائهم بمدينة الجزائر إلى أن يحين فداؤهم و ذلك من خلال السهر على إقامة القداس اليومي، و إحياء الأعياد الدينية على مستوى الكنائس و الأسقفيات الملحقة بالمستشفيات و السجون، و يهدف هذا العمل إلى:

Ø تثبيت الأسرى المسيحيين على عقيدتهم و مواجهة حركة اعتناق الإسلام التي شهدت نشاطاً كبيراً آنذاك.

Ø بث العمل التبشيري من خلال النشاط الخيري و الاستشفائي و عمل الكنائس و الأسقفيات.

نشير في الأخير إلى أن هذه الشخصيات الدينية تحظى باحترام كبير و مكانة مرموقة في الوسط المسيحي نظراً للخدمات التي كانت تقدمها للكنيسة من جهة، و للحكومات من جهة أخرى من خلال الأدوار التي لعبتها في عمليات التبشير و الجوسسة، التي تكشف عنها تقاريرهم المفصلة.

لقد عرف آباء الفداء بدقة الملاحظة و الوصف، و يتجلى لنا ذلك من خلال النماذج التي اعتمدناها في البحث، و أغلبها عبارة عن كتابات وصفية طبوغرافية، حيث عملت على ابراز خصائص الحكم العثماني في الجزائر و عادات و تقاليد المجتمع الجزائري الذي عاشوا يومياته و احتكوا بمختلف فئاته. كما ركزت أيضاً على الإشادة بدور آباء الفداء في إتمام مهامهم و التزاماتهم و تصوير جانب المعاناة من حياة الأسرى المسيحيين في الجزائر.

كل ذلك من أجل نقل صور وحشية عن المجتمع الجزائري و رموزه المقدسة، كما رأينا بالنسبة لكتابات الأب "دان" « P. Dan » و القس "هايدو" « HAËDO » و غيرها.

رغم أن هذه التقارير تعتبر في مجملها كتابات دعائية مشحونة بروح العداء، إلاّ أنها تمثل بالنسبة للباحث مادة مصدرية هامة شريطة التعامل معها بحذر و إخضاعها للنقد و المقارنة مع كتابات أخرى معاصرة لها.

Summary of the research

The content of this study deals with a social group that played a major role in Algeria during the ottomans rule "the prisoner's ransom payers.
We approached this subject under the heading of the job of prisoners ransom payers end their social responsibilities in Algeria during the ottomans rule.
This study can be classified among the ones that concern social history because it deals with a different social group which differs from the rest of the Algerian community from the point of view of religion and ideology.
Consequently the subject of the study is part of the dialogue between civilization or civilizations clash which is one of contemporary dialogues.
I choose this subject for its great importance as the ransom payers constitute a useful source for the researchers who are concerned with both the literary and the historical aspects and whose findings are more reliable because they reflect the reality as eye witness.

This study aims at showing the goals of this social group and how effective are their roles and dos through the diagnosis of its existence and action in Algiers during the Ottomans rule.
We tried to answer several questions:

- Who are prisoners' ransom payers?
- What were the main religious and ideological groups that were in action in Algiers?
- What are the main roles and responsibilities in ruling Christian prisoners' affairs in Algiers
- Were they considered as Crusaders?

In the pre-introduction, we approached the subject as regard the Islamic charity and the prisoners' ransom payers mainly when this concerns Christian prisoners. We extracted date from ancient trade treaties and peace pacts signed between the rulers of Algiers and the Europeans especially France and we focused on the clauses related to the prisoners .In this part, we also mentioned "Self-ransoming".
The first chapter contains the literary definition of "prisoners' ransom payers" focusing on the main Christian groups that were active in ransom paying in Algiers the following three groups:

- Saint Trinity Order
- Notre Dame of Mercy Order
- Lazarus Order

We dealt with a brief historical approach about the foundation of these three group and leading figures that were highly respected if not worshiped such as:
HEIDO – DAN – JOHN BAPTIST GRAMAY
We included brief biographies and some of their writings about Algeria and the Algerian society. We tried to evaluate their works which concerned ethno studies or life styles and

customs and we could discover exaggerating descriptions as regard Christian prisoners in the prisons of Algiers.
If one believes what they wrote, he will conclude a dark picture of the Algerian society and its rulers.

In the last two chapters, we talked about the actions and the responsibilities of the prisoners' ransom payers. We followed the action from beginning to end mentioning the hardships while processing as well as the rituals that accompanied the action. We also mentioned the following aspects:

- money collection
- sailing to Algiers
- negotiations with the authorities that detained the prisoners
- the ransom and supplements
- the procedures after release

We also studied different aspects related to:

a) Offering the basic health care to the Christian prisoners till the ransom is paid. This was done mainly in Christian hospitals created in the prisons where they were detained namely the Spanish Christian hospital which was supervised by St Trinity Order founded by Monk Sebastian Duport in 1551 .We talked also briefly about the hospitals that were established later and which attracted lots of Muslim and Christian sick prisoners mainly during epidemic periods.

b) Giving spiritual support to those detainees to whom they didn't manage to collect the ransom. This support was practiced mainly in the churches and cathedrals while daily prayers as well as Christian rituals wee performed. This support aimed at maintaining the prisoners' faith and facing the possibilities to be converted to Islam on one side and from the other side working to Christianize Muslims.
In the study we discovered that the clergymen who took in charge paying the ransoms had other tasks mainly propaganda, spying and working to spread Christianity and we could come to this conclusion through their writings which reflected clearly their hostile personalities as regard Algeria and Islam.
In their writings they mentioned wrong beliefs and customs and showing the Christians as being victims in the Algerian prisons, while others insulted Islam like HEIDO and DAN.

Eventually, one can say that the prisoners' ransom payers were the eyes of Europe in Algeria .Their reports contained the specific strengths and weaknesses which gave the Europeans a clear picture before the military attack later on.
Nonetheless, these reports remain an important source for the researchers if studied thoroughly and compared to other writings within the same era.

يتناول موضوع المذكرة فئة اجتماعية كان لها حضور فاعل و تأثير كبير في الجزائر خلال الفترة العثمانية، و هي "مفتديي الأسرى".

لقد عالجنا الموضوع تحت هذا العنوان: "مهام مفتديي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية". و عليه فهذا البحث يندرج ضمن البحوث المتعلقة بالتاريخ الاجتماعي، حيث يدرس عينة تختلف عن عامة المجتمع الجزائري من حيث الديانة، و التكوين الإيديولوجي. فالموضوع من هذا المنظور يدخل في سياق حوار الحضارات أو صراعها؟ و هو الإشكال الذي طرح مجدداً على الساحة الدولية.

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى أهميته الكبيرة، إذ يمثل "مفتدييو الأسرى" مدرسة للباحثين في الجانب التأريخاني الأدبي نظراً لما تحمله تقاريرهم من أهمية مصدرية باعتبارهم شهود عيان.

ترمي هذه الدراسة إلى إبراز أهداف هذه الفئة و مدى فعالية أدوارها و مهامها من خلال تقييم نشاطها و وجودها بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

لقد حاولنا من خلال هذا العمل الإجابة على مجموعة من التساؤلات، أهمها:

- من هم مفتدييو الأسرى ؟
- ما هي أهم الطوائف الدينية و المذهبية التي كانت تنشط في الجزائر خلال العهد العثماني ؟
- ما هي أهم الأدوار التي قاموا بها في خدمة شؤون أسراهم المسيحيين ؟
- هل كان لهم نشاط دعائي ؟ ما هي آلياته ؟

اعتماداً على المادة العلمية المتوفرة لدينا، وضعنا خطة تشمل فصل تمهيدي، و ثلاثة فصول. إضافة إلى المقدمة و الخاتمة.

الفصل التمهيدي: عبارة عن توطئة عامة للموضوع حيث عالجنا فيه - بعد تطرقنا إلى موقف الشريعة الإسلامية من قضية افتداء الأسرى المسيحيين - أهم الطرق التي شاع استعمالها في افتداء الأسرى بالجزائر، و قد استقينا مادته العلمية بالدرجة الأولى من نصوص معاهدات السلم و التجارة التي عقدتها الأيالة الجزائرية مع الدول الأوروبية خاصة مع فرنسا، بالتركيز أكثر على البنود المتعلقة بافتداء الأسرى. كما كان لنا حديث في هذا الفصل على الافتداء الذاتي.

الفصل الأول: تضمن التعريف بمفتديي الأسرى من خلال دلالة التسمية Rédemptoristes مع التركيز على الطوائف الدينية الثلاث التي كان لها نشاط كبير و واسع في عمليات الفداء في الجزائر، و هي:

- **تنظيم الثالوث المقدس و افتداء الأسرى.**
- **تنظيم سيدة الرحمة.**
- **التنظيم اللازاري.**

لقد قمنا بتقديم نبذة تاريخية حول تأسيس هذه الطوائف، و بعدها تناولنا نماذج من قساوسة الفداء الذين تمتعوا بمكانة محترمة جداً تصل إلى درجة القداسة، و يتعلق الأمر بـ:

- **فراي دايغو دو هايدو « Fray Deigo De Haido »**
- **الأب دان « Père Dan »**
- **جون بابتيست غرامي « Jean Baptiste Grammaye »**

أدرجنا بيوغرافيات مختصرة لهذه الشخصيات، كما سلطنا الضوء على كتاباتهم حول الجزائر في شكل عرض موجز وتقييم لهذه الكتابات الإتنولوجية المهتمة بأنماط المعيشة، عادات و تقاليد المجتمع مع تقديم أوصاف مبالغ فيها لأوضاع الأسرى المسيحيين في الجزائر، تجعل من يسلم بصدقها يرسم صورة قاتمة عن واقع هذا البلد آنذاك، سلطةً و مجتمعاً.

الفصلان الأخيران: خصصناهما للحديث عن مهام و التزامات مفتديي الأسرى في الجزائر، المتمثلة في:

- **افتداء الأسرى المسيحيين، تقديم الرعاية الصحية و الروحية لهم.**
- **الدعاية.**
- **الجوسسة و التبشير.**

و قد اكتشفنا هذه المهام من خلال القراءة المتأنية و الواعية لكتاباتهم و مختلف المصادر و المراجع التي تناولت هذه الفترة.

- **المهمة الأولى: افتداء الأسرى المسيحيين في الجزائر؛ قمنا بتتبع رحلات الفداء منذ بدايات التحضير لها إلى غاية إتمامها و ما رافقها من طقوس و عادات و مشاكل. فتحدثنا**

عن مواكب جمع أموال الفداء، عملية الإبحار باتجاه الجزائر، التفاوض مع ملاك الأسرى، الفدية و المبالغ المالية الملحقة بها، ... الخ.

- المهمة الثانية: تقديم الرعاية الصحية للأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر إلى أن يحين فداؤهم؛ كانت هذه الرعاية تتم من خلال تقديم خدمات الطب و الاستشفاء ، التي توفرها المستشفيات المسيحية الموجودة على مستوى سجون الأسرى المسيحيين بالتركيز أكثر على المستشفى الاسباني المسيحي التابع لتنظيم الثالوث المقدس، الذي أنشأه الأب "سيباستيان دو بور" سنة 1551 م بمدينة الجزائر حيث كان يستقطب آنذاك أعداداً من المسيحيين و حتّى المسلمين المرضى خاصة أيام الوباء.
- المهمة الثالثة: تتمثل في تقديم الرعاية الروحية للأسرى المسيحيين الذين لم يسعفهم الحظ في نيل الفداء. وكانت هذه الرعاية داخل الأسقفيات و الأديرة التّي تسهر على إقامة الصلوات و الشعائر الدينية المسيحية و القداس اليومي. كل ذلك من أجل تثبيت الأسرى على ديانتهم و مواجهة حركة اعتناق الإسلام من جهة و ترغيب المسلمين في اعتناق الديانة المسيحية (العمل التبشيري) من جهة أخرى.

اكتشفنا من خلال هذه الدراسة أن لآباء و قساوسة الفداء مهام أخرى تتمثل في النشاط الدعائي، و أنشطة سياسية تتعلق بالجوسسة.

يتضح العمل الدعائي من خلال كتاباتهم التي تحمل بين طياتها الكثير من ملامح شخصياتهم المتعصبة و التي تحكمت إلى حد كبير فيما نقلوه عن المجتمع الجزائري و رموزه المقدسة. منها ما كان بطريقة غير مباشرة من خلال إبراز بعض الممارسات الدينية الخاطئة في المجتمع و عاداته و تقاليده، و بعض السلوكات الشاذة الممارسة ضد الأسرى المسيحيين و منها ما كان بطريقة مباشرة تعمدت الطعن في هذه الرموز المقدسة و انتهاكها بطريقة جارحة مثل كتابات القس هَايْدُو و الأب دَانْ.

في الأخير يمكن القول أنه و بالإضافة على المهام و الأدوار المشار إليها فإن قساوسة الفداء كانوا عيون أوروبا في الجزائر، إذ يمكن إدخال أعمالهم و كتاباتهم ضمن أعمال الجوسسة لأنها كانت تهدف من خلال تقديم تفاصيل حول الجزائر إلى تحفيز الأوروبيين على شن حملات عسكرية ضدها مبرزة نقاط القوة و الضعف فيها.

رغم ذلك فهذه التقارير تعتبر مادة مصدرية هامة بالنسبة للباحث شريطة إخضاعها للنقد و المقارنة مع كتابات أخرى معاصرة لها بالدرجة الأولى.

Notre thème de mémoire traite d'une catégorie sociale ayant joué un rôle très actif en Algérie pendant la période ottomane à savoir les "Rédemptoristes".

Nous avons traité ce thème sous le titre : "Missions et engagement social des Rédemptoristes à Alger durant la période ottomane".

Et de ce fait, cette recherche s'inscrit parmi celles ayant relation avec l'histoire sociale. En effet, elle étudie un échantillon qui diffère du reste de la société algérienne du point de vue, de la religion et de la formation idéologique ; et sous cet angle, le sujet s'inscrit dans le contexte du dialogue ou du conflit des civilisations? cette problématique qui se pose actuellement sur la scène internationale.

Nous avons choisi ce thème pour sa grande importance car les rédemptoristes représentent une école pour les chercheurs dans le domaine historique et littéraire en ce sens que leurs rapports constituent une source de grande importance dans la mesure ou ils étaient des témoins oculaires.

Le but de cette étude est de mettre en relief les objectifs de cette catégorie et l'ampleur de l'efficacité de ses rôles et missions et cela à travers l'évaluation de son activité en Algérie durant la période ottomane.

Nous avons essayé, "à travers cette oeuvre", de répondre à une somme d'interrogations dont notamment :

- **Qui sont les rédemptoristes ?**
- **Quelles sont les principales catégories religieuses et doctrinales qui activaient en Algérie durant la période ottomane ?**
- **Quels sont les rôles essentiels mis au services de leurs captifs chrétiens ?**
- **Avaient-ils une activité prédicatrice ? quels sont ses mécanismes ?**

En se basant sur la matière scientifique dont nous disposons, nous avons confectionné un plan contenant un chapitre préliminaire, trois autres chapitres en plus, évidemment, de l'introduction et de la conclusion.

Le chapitre préliminaire constitue une introduction générale du sujet: En effet après avoir abordé la position de le charia Islamique sur la question de la rédemptions des captifs chrétiens, nous avons parlé des méthodes les plus utilisés dans cette rédemption, en puisant notre matière scientifique essentiellement dans les traités de paix et de commerce conclus par la régence d'Alger avec les pays européens en particulier avec la france. Nous avons insisté dans ce cadre sur les clauses relatives à la

rédemption. Comme nous avons parlé aussi, dans ce chapitre, de l'Autorachat.

Quant au premier chapitre, il contient une définition des rédemptoristes à travers ce que signifie ce mot. Nous avons insisté, à cet effets sur les trois catégories religieuses qui avait une intense et large activité dans cette opération à Alger ; il s'agit en l'occurrence de :

- **L'ordre de la Sainte Trinité et de la Rédemption des captifs.**
- **L'ordre de Notre Dame de la Merci.**
- **L'ordre Lazaristes.**

Après avoir donné un aperçu historique sur la fondation de ces associations et congrégations, nous avons traité des modèles de pères Rédempteurs qui avaient une place respectable voire sacrée. Il s'agit de :

- **Fray Deigo De Haido.**
- **Père Dan.**
- **Jean Baptiste Gramaye.**

Nous avons inséré de brèves biographies de ces personnalités ; comme nous avons fait la lumière sur leurs écrits sur l'Algérie et une évaluation de ces écrits qui s'inscrivent parmi les écrits ethnologiques traitant des modes de vie et des coutumes et tradition sociales.

Ces écrit qui ont exagéré dans la description de la situation des captifs chrétiens en Algérie en faisant croire à une image noire de la situation de l'Algérie à cette époque.

Les deux derniers chapitres, nous les avons consacrés aux missions et engagements des Rédemptoristes en Algérie qui consiste en la Rédemption des captifs leur couverture et spirituelle, la propagande, l'espionnage et la prédication.

Nous avons puisé ces missions de la lecture attentive et consciente de leurs écrits et des sources et références traitant de cette période.

- **La 1^{ére} mission, le rachats des captifs chrétiens à Alger, nous avons suivi les différentes étapes du rachat de la préparation jusqu'à sa conclusion : les quêtes, les processions, le voyage à Alger, les négociation avec les détenteurs des captifs, la rançon et les sommes d'argent qui l'accompagnent … etc.**
- **La 2^{éme} mission, la prise en charge sanitaire des captifs jusqu'à leur rachat et qui consiste en la prestation médicale offerte par les hôpitaux chrétiens qui se trouvent au niveau des prisons où sont détenus les captifs. Cette opération était concentrée beaucoup plus sur le 1er hôpital chrétien, espagnole, qui dépend de l'ordre trinitaire fondé par Père Sébastien du port en 1551 et**

qui abritait un grand nombre de malades chrétiens et même musulmans notamment en cas d'épidémie.

- **La 3ème mission, consiste en la prise en charge spirituelle des captifs. Cette mission s'exerçait dans les chapelles et des maisons construites à cet effet. On y tenait les prières et les rites chrétiens.**

Tout cela se faisait pour conserver le christianisme d'une part et convertir les musulmans à cette même religion d'autre part.

D'après cette étude nous avons découvert que les Rédemptoristes exerçait en parallèle une activité de prédication et d'espionnage.

Cette activité prédicatrice paraît dans leurs écrits qui contiennent beaucoup de leurs caractéristiques intégristes. Ces caractéristiques qui ont influencé ce qu'ils ont rapporté sur la société algérienne et ses symboles sacrés ; que ce soit indirectement à travers la mise en exergue de certaines fausses pratiques religieuses et d'autres comportements isolés exercés à l'égard des captifs chrétiens ou directement en s'attaquant férocement à ces symboles sacrés comme c'est le cas pour ce qui a écrit Saint Haido et Père Dan.

En conclusion, on peut dire qu'en plus des rôles et missions que nous avons cités, les Rédemptoristes étaient comme les yeux de l'Europe en Algérie et de ce fait en peut dire que leurs actes et écrits s'inscrivent dans un cadre d'espionnage qui vise à fournir des détails sur les forces et les faiblesses de l'Algérie. On vue de l'envahir et de l'occuper militairement.

الملاحق

1

TRAITÉ

Entre Monsieur de Guise au nom du Roi, & les Députés du Bacha & Milice d'Alger.

Fait à Marseille le 21. Mars 1619.

AU Nom de Dieu, soit-il, l'an mil six cens dix-neuf, & le 21. jour du mois de Mars du régne du Tres-Chrétien & Invincible LOUIS XIII. de ce nom par la grace de Dieu Roi de France & de Navarre en la Ville de Marseille & dans l'Hôtel du Roi pardevant tres-haut, tres-puissant & tres-juste Prince Monseigneur Charles de Lorraine Duc de Guise, Prince de Joinville, Pair de France, Gouverneur & Lieutenant General pour le Roi en Provence, Amiral des Mers de Levant, & Capitaine general de ses Armées tant de Terre que de Mer se seroient presentés : Queynan Aga & Rozan Bei députez du tres-illustre Bacha & Viceroi Divan & milice d'Alger, lesquels en presence des Sieurs Consuls de cette Ville & de plusieurs Seigneurs & Gentilshommes ont representé à mondit Seigneur, qu'à l'arrivée qu'il lui fit en cette Province, ils lui vinrent baiser les mains de la part desdits Bacha & Divan, & lui auroient fait entendre le sujet de leur voiage & deputation qui n'est autre que pour asseurer sa Majesté qu'ils n'ont autre intention que de garder inviolablement les Capitulations & Traités de Paix qui sont entre les deux Empires, & faire cesser toutes courses, ravages & Actes d'hostilité, dont on a ci-devant usé, leur aiant pour lors mondit Seigneur fait réponse qu'il en donneroit avis à sa Majesté, & en attenderoit ses Commandemens, depuis lequel temps ils ont toûjours attendu la resolution. Le Suppliant la leur vouloir donner, afin qu'ils en puissent rendre compte à ceux qui les ont députez, ce qu'entendu par mondit Seigneur, leur auroit dit & fait entendre par l'organe de Pierre Suffin Interprete du Roi qu'il a donné bien particuliers avis à S. M. du sujet de leur voiage & des propositions par eux faites ; mais que sadite Majesté trouve bien difficile de prendre aucune assurance en leur foi & parolle, puisque de leur part ils ont si mal observé lesdites capitulations, méprisé les commandemens de leur Empereur, & enfraint tous les particuliers Traités faits avec ceux de

A

2

cette côte même, celui qui fut fait y a deux ans avec Agi Muhamont & Mustafa Raix leurs députez confirmé par le Roi, lequel voiant que la foi & parolle si solemnellement donnée, & tant de fois rejettées ne les pouvoit contenir, auroit deliberé d'y emploier ses forces qui sont assez grandes & puissantes pour tirer raisons de tous ceux qui entreprendront de vexer & molester ses sujets, & lesquelles estoient déja toutes prêtes, neantmoins que Sadite Majesté comme grand Monarque & plein d'une singuliere douceur & bonté, lui auroit entiérement remis & déposé cet affaire pour le conduire par une voie ou par autre ainsi qu'il aviseroit : c'est pourquoi c'estoit à eux d'aviser qu'elles asseurances ils pourroient donner pour mettre sa Majesté hors de soupçon, & lui faire connoître qu'ils y vont de bonne foi, & non point pour en user ainsi qu'ils ont fait ci-devant : Surquoi ledit Queiman Aga & Rozan Bei, ont dit que conformement à ce qu'ils representeroient à son Excellence lors qu'ils eurent l'honneur de lui baiser les mains, le Sieur Baron d'Allemagne Gentilhomme de ce Païs, s'étant trouvé ces mois passez à Alger, & fait plusieurs plaintes audit Bacha & Divan des courses & infractions de Paix commises par aucuns Raix & Capitaines de Navires & Galleres, il fût deliberé de faire cesser à l'avenir toutes lesdites violences & actes d'hostilité, & rendre la Paix ferme, stable & assuré, & pour cet effet les auroient députez pour en venir donner toutes les asseurances qu'on peut desirer avec resolution ; que si bien par le passé la Paix qui est entre les deux Empires, & les particuliers Traités n'ont pas esté si bien observez qu'il convenoit. Supplient son Excellence de croire que cela n'a jamais procedé de l'intention du Bacha & Divan, ni du commun d'Alger ains de quelques particuliers armeurs qui s'estoient attribuez trop d'autorité ; mais que cela n'arrivera plus regle & la deliberation de cette Paix a esté faite d'un consentement universel, & avec des formes & solemnitez qui obligent tellement le public & particulier qui n'est pas loisible de l'enfraindre ni contrevenir en façon quelconque, suppliant son Excellence & le commun de cette Ville, & generalement tous autres Sujets de Sa Majesté, de ni mettre plus aucun doute, ce qu'entendu par mondit Seigneur, & aprés avoir veu les Capitulations faites entre les deux Monarques & les particuliers Traités ci-devant accordez, & le tout bien consideré sous l'esperance que ce qui sera ce jourd'hui arresté, sera gardé & entretenu de bon-

الملحق رقم 01:

معاهدة السلم الجزائرية الفرنسية الموقعة مع حاكم مقاطعة بروفونس الدوق "دوقيز" في 21 مارس 1619 م، أرشيف ولاية قسنطينة (37768/D).

3

ne foi, il a au nom & sous le bon plaisir de Sa Majesté accordé ce qui s'ensuit.

PREMIEREMENT, que les capitulations faites & accordées entre les deux Monarchies pour la Paix, & commun repos de leurs estats seront exactement & sincerement gardées & observées sans que de parts & d'autre il y soit contrevenu, directement ou indirectement, & façon quelconque.

Que suivant icelles toutes courses ravages, & actes d'hostillité cesseront sans qu'à l'avenir les Corsaires du Roiaume d'Alger, rencontrant les Navires, & Barques des François, tant du Levant que du Ponant, & autres negotians sous la Banniere de France, puissent visiter prendre n'y toucher aux personnes Vaisseaux Robbes, & Marchandises n'y autres choses leur apartenant quand bien, il se trouveront qu'il fust aux ennemis de la Porte du Grand Seigneur, suivant & conformement aux susdites capitulations ou ces mots sont expressement specifiez, & declarez mesme sous pretexte qu'ils eussent combatu puis que la Paix d'Alger, ne comprend par toute la barriere, & qu'on peut estre incertain de quel lieu est le Corsaire.

Et afin que l'on soit assuré que les particuliers armeurs ne contreviendront point a ce Traité; Il ne sera permis à aucuns Vaisseaux Galleres ou Fregattes de courts, de sortir des Ports & Havres dudit Roiaume d'Alger, sans donner au prealable caution de ne prendre aucun François, n'i leur faire aucun dommage moins les porter & conduire en autres parts hors dudit Roiaume.

Ne sera permis aux Corsaires des autres païs, & Roiaumes de porter & conduire à Alger, & sa coste aucuns François, & en cas qu'il y fust mené leur sera donné a l'instant liberté, avec restitution de leurs Barques Navires, & faculté.

Comme aussi sa Majesté ne permettra point que dans ses Ports & Havres soient armez aucuns Vaisseaux, pour courir sur ceux d'Alger, & en cas que ses sujets se missent au service dautres Princes, & fissent le cours sous la Banniere d'iceux sadite Majesté les desavoüe, & n'entend leur donner aucun Traites dans les Ports, pour y conduire les Turcs, & s'y tant est qu'ils y abordassent les mettre semblablement en liberté avec les Navires, & facultés.

Tous les François generallement quelconques tant de cette coste que de Languedoc, Guienne, Normandie, Picardie, Bretagne, & generallement tous les sujets de sa Majesté, & autres qui ont esté pris sous la Banniere de France, seront de-

A ij

4

livré & mis en liberté avec restitution de leurs Navires, & facultés qui se trouveront en état dans trois mois, comme aussi tous les Turcs dudit Roiaume d'Alger, qui sont dans les Galleres du Roi, ou qui se trouveront dans le Roiaume de France, seront mis en liberté, & delivré és mains desdits deputés pour les conduire audit Alger, & s'y à l'avenir aucuns estoient pris ou retenu seront mis és mains des Consuls de cette Ville de Marseille, pour les y renvoyer & faire conduire.

Les Italiens, & Espagnols domiciliés, & residans en France qui sont tenus, & reputés comme sujets du Roi, seront traités & tenus a l'égal des originaires François.

Et pour plus de seureté de ces conventions & present traité le tres illustre Bacha, & Divan envoieront deux d'entre eux personne de qualité qui resideront en cette Ville de Marseille, par forme d'otage, & pour entendre sur les lieux les plaintes qui pourroient arriver sur les contraventions, & avertir fidellement lesdits Bacha & Divan, & ausquels sera fait ici toute sorte de bon traitement comme aussi le Consul des François, fera le mesme office de par de là, & auquel sera rendu à l'avenir tout le respect, & honneur qui est deub a un Officier, qui represente la personne d'un si grand Monarque.

Et en cas qu'à l'avenir, il arrivât de part ou d'autre quelque action qui put estre prise, pour sujet de contravention, il ne sera pas pour cela permis, à iceluy qui s'estimera offencé d'user de force & d'hostilité: Mais en viendront demander raison sur le lieu, & s'y on refuse de lui faire justice, il pourra lors recourir à la force.

Et pour tout le surplus on s'en retient aux capitulations, du païs qui sont entre les deux Empires aiant mondit Seigneur remontré aux deputés, que lesdits Traités doivent estre comme sacré à leurs sujets les exhortans à ces fins de les garder, & observer de bonne foy, ensemble le present afin que S.M. n'aye plus occasion d'emploier ses armes invincibles, pour tirer raison des torts, & oppressions qui sont faites à ses sujets, lesquels il ne souffrira jamais ce que lesdits sieurs deputés ont promis solemnellement au nom desdits Bacha Divan, & milice, & ont mis & apposé leurs seings acoustumés ensemble mondit Seigneur qui a commandé à mon Secretaire sous-signé d'en faire dresser le present acte, signé le Duc de Guise, & plus bas Paulmier, avec deux cachets desdits deputés d'Alger.

Collationé à l'Original par moi sous-signé Secretaire de mondit Seigneur, PAULMIER.

بقية المعاهدة

ARTICLES
DE LA PAIX
ACCORDE'E
PAR LE CHEVALIER DE TOURVILLE
AU NOM DU ROY,
AU BACHA, DEY, DIVAN,
ET MILICE D'ALGER.
Signez le vingt-cinquiéme Avril 1684.

PREMIEREMENT.

LES Capitulations faites & accordées entre l'Empereur de France & le Grand Seigneur, ou leurs Predeceſſeurs, ou celles qui ſeront accordées de nouveau par l'Ambaſſadeur de France, envoyé exprés à la Porte, pour la Paix & repos de leurs Eſtats, ſeront exactement & ſincerement gardées & obſervées, ſans que de part & d'autre il y ſoit contrevenu, directement ou indirectement.

II.

Toutes courſes & actes d'hoſtilité, tant par Mer que par Terre, ceſſeront à l'avenir entre les Vaiſſeaux & Sujets de l'Empereur de France, & les Armateurs particuliers de ladite Ville & Royaume d'Alger.

III.

A l'avenir il y aura Paix entre l'Empereur de France, & les tres-illuſtres Bacha, Dey, Divan & Milice de ladite Ville & Royaume d'Alger, & leurs Sujets, & ils pourront reciproquement faire leur Commerce dans les deux Royaumes, & naviguer en toute ſeureté, ſans en pouvoir eſtre empêchez pour quelque cauſe & ſous quelque pretexte que ce ſoit.

A

IV.

Et pour parvenir à ladite Paix, il a eſté convenu de part & d'autre, de la reſtitution de tous les François détenus Eſclaves dans le Royaume & Domination d'Alger, & de ceux du Corps de la Milice dudit Royaume qui ſont ſur les Galeres de France, ſuivant les Rolles qui en ſeront fournis; le Sieur Duſault, Gouverneur du Baſtion de France, ſe chargeant en ſon nom d'amener leſdits Eſclaves du Corps de ladite Milice, par des Baſtimens exprés; & le Divan & Puiſſances d'Alger, de rendre tous les Eſclaves François dans le moment dudit échange; & dés à preſent toutes les priſes qui ſeront faites depuis le jour de la concluſion du preſent Traité, ſeront renduës reciproquement de part & d'autre, ſans qu'on puiſſe, ſous quelque pretexte que ce ſoit, retenir aucuns Baſtimens, argent, marchandiſes, ou robes, ny les Gens trouvez ſur leſdites priſes.

V.

Les Vaiſſeaux armez en Guerre à Alger, ou dans les autres Ports du Royaume, rencontrant en Mer les Vaiſſeaux & Baſtimens navigeant ſous l'Eſtendart de France, & les Paſſeports de Monſeigneur l'Admiral, conformes à la copie qui ſera tranſcrite en fin du Traité, les laiſſeront en toute liberté continuer leur voyage, ſans les arreſter, ny donner aucun empêchement, ains leur donneront tout le ſecours & aſſiſtance dont ils pourront avoir beſoin, obſervant d'envoyer ſeulement deux Perſonnes dans la Chaloupe, outre le nombre des Matelots neceſſaires pour la conduite, & de donner ordre qu'il n'entre aucun autre que leſdites deux Perſonnes dans leſdits Vaiſſeaux, ſans la permiſſion expreſſe du Commandant: Et reciproquement les Vaiſſeaux François en uſeront de même à l'égard des Vaiſſeaux appartenans aux Armateurs particuliers de ladite Ville & Royaume d'Alger, qui ſeront porteurs des Certificats du Conſul François qui eſt eſtably en ladite Ville, deſquels Certificats la copie ſera pareillement jointe en fin du preſent Traité.

VI.

Les Vaiſſeaux de Guerre & Marchands, tant de France que d'Alger, ſeront receus reciproquement dans les Ports & Rades des deux Royaumes, & il leur ſera donné toute ſorte de ſecours pour les Navires & pour les Equipages, en cas de beſoin; Comme auſſi il leur ſera fourni des vivres, agrez, & generalement

الملحق رقم 02:

بنود معاهدة السلم الجزائرية الفرنسية الموقعة بتاريخ 25 أفريل 1684 م
تهدف إلى وضع حل نهائي لمشكلة الأسرى و القرصنة بين الطرفين،
أرشيف قسنطينة (37768/D)

toutes autres choses necessaires, en les payant au prix ordinaire & accoûtumé, dans les lieux où ils auront relâché.

VII.

S'il arrivoit que quelques Marchands François estant à la Rade d'Alger, ou à quelqu'un des autres Ports de ce Royaume, fussent attaquez par des Vaisseaux de Guerre Ennemis sous le Canon des Forteresses, ils seront défendus & protegez par lesdits Chasteaux, & le Commandant obligera lesdits Vaisseaux Ennemis de donner un temps suffisant pour sortir & s'éloigner desdits Ports & Rades, pendant lequel seront retenus lesdits Vaisseaux Ennemis, sans qu'il leur soit permis de les poursuivre : & la même chose s'executera de la part de l'Empereur de France, à condition toutesfois que les Vaisseaux armez en Guerre à Alger, & dans les autres Ports du Royaume, ne pourront faire des prises dans l'étenduë de dix lieuës des Costes de France.

VIII.

Tous les François pris par les Ennemis de l'Empereur de France, qui seront conduits à Alger, & autres Ports dudit Royaume, seront mis aussi tost en liberté, sans pouvoir estre retenus Esclaves, même en cas que les Vaisseaux de Tripoli, Tunis, & autres qui pourront estre en Guerre avec l'Empereur de France, missent à terre des Esclaves François.

IX.

Lesdits Bacha, Dey, Divan, & Milice de la Ville & Royaume d'Alger, donneront dés à present ordre à tous leurs Gouverneurs de retenir lesdits Esclaves, & de travailler à les faire racheter par le Consul François, au meilleur prix qu'il se pourra : Et pareille chose se pratiquera en France à l'égard des Habitans dudit Royaume d'Alger.

X.

Tous les Esclaves François, de quelque qualité & condition qu'ils soient, qui sont à present dans l'étenduë dudit Royaume d'Alger, qui ont esté pris, non seulement depuis le 18. Octobre 1681. mais même depuis le Traité fait entre l'Empereur de France, & le Bacha, Dey, Divan, & Milice d'Alger, au mois de Fevrier 1670. seront mis dans une pleine & entiere liberté, sans aucune rançon ; & pour cet effet il sera permis au Commissaire que ledit Chevalier de Tourville choisira, de se transporter avec un Officier commis par le Gouvernement de ladite Ville, dans tous les Bagnes, & autres lieux où sont retenus lesdits François,

pour prendre une Liste exacte de leurs noms, sur laquelle ils seront mis en liberté : & en cas que par mégarde ou autrement il en fut oublié quelques uns, ils seront restituez aussi-tost qu'ils seront demandez, encore que ce fut long temps aprés le present Traité, attendu qu'il n'y aura point de prescription sur cet Article.

XI.

Et à l'égard des François qui ont esté pris avant ledit Traité de 1670. a esté convenu qu'ils seront tous rachetez, en payant trois cens livres pour la rançon de chacun, quelque somme qu'ils ayent esté payez par leurs Patrons.

XII.

Les Estrangers passagers trouvez sur les Vaisseaux François ; ny pareillement les François pris sur les Vaisseaux Estrangers, ne pourront estre faits Esclaves, sous quelque pretexte que ce puisse estre, quand même les Vaisseaux sur lesquels ils auroient esté pris se seroient défendu ; Ce qui aura pareillement lieu à l'égard des Estrangers passagers trouvez sur les Vaisseaux de ladite Ville & Royaume d'Alger, & des Sujets dudit Royaume, sur des Vaisseaux Estrangers.

XIII.

Si quelque Vaisseau François se perdoit sur les Costes de la dépendance du Royaume d'Alger, soit qu'il soit poursuivi par les Ennemis, ou forcé par le mauvais temps, il sera secouru de tout ce dont il aura besoin pour estre remis en Mer, & pour recouvrer les Marchandises de son chargement, en payant le travail des journées de ceux qui y auront esté employez, sans qu'il puisse estre exigé aucun droit ny tribut pour les Marchandises qui seront mises à terre, à moins qu'elles ne soient venduës dans les Ports dudit Royaume.

XIV.

Tous les Marchands François qui aborderont aux Ports ou Costes du Royaume d'Alger, pourront mettre à Terre leurs Marchandises, vendre & acheter librement, sans payer autre chose que ce qu'ont accoûtumé de payer les Habitans dudit Royaume : Et il en sera usé de la même maniere dans les Ports de la Domination de l'Empereur de France ; & en cas que lesdits Marchands ne missent leurs Marchandises que par entrepos, ils pourront les rembarquer sans payer aucuns droits.

XV.

Il ne sera donné aucun secours ny protection contre les Fran-

بقية بنود المعاهدة

çois, aux Corsaires de Barbarie qui seront en Guerre avec eux, ny à ceux qui auront armé sous leur Commision : Et feront lesdits Bacha, Dey, Divan & Milice d'Alger, deffenses à tous leurs Sujets d'armer sous Commission d'aucun Prince ou Estat Ennemi de la Couronne de France. Comme aussi empécheront que ceux contre lesquels ledit Empereur de France est en guerre, puissent armer dans leurs Ports pour courre sur ses Sujets.

XVI.

Les François ne pourront estre contraints pour quelque cause ou sous quelque pretexte que ce puisse estre, à charger sur les Vaisseaux aucune chose contre leur volonté, ny faire aucun voyage aux lieux où ils n'auront pas dessein d'aller.

XVII.

Pourra ledit Empereur de France continuer l'établissement d'un Consul à Alger, pour assister les Marchands François dans tous les besoins ; & pourra ledit Consul exercer en liberté dans sa Maison la Religion Chrestienne, tant pour luy que pour tous les Chrestiens qui y voudront assister. Comme aussi pourront les Turcs de ladite Ville & Royaume d'Alger, qui viendront en France, faire dans leur Maison l'exercice de leur Religion. Et aura ledit Consul la prééminence sur les autres Consuls, & tout pouvoir & Jurisdiction dans les differends qui pourront naistre entre les François, sans que les Juges de ladite Ville d'Alger en puissent prendre aucune connoissance.

XVIII.

Il sera permis audit Consul de choisir son Drogman & son Courtier, & d'aller librement à bord des Vaisseaux qui seront en Rade, toutefois & quantes qu'il luy plaira.

XIX.

S'il arrive quelque differend entre un François & un Turc ou More, ils ne pourront estre jugez par les Juges ordinaires, mais bien par le Conseil desdits Bacha, Dey, Divan & Milice de ladite Ville & Royaume, ou par le Commandant dans les Ports où les differends arriveront.

XX.

Ne sera ledit Consul tenu de payer aucune dette pour les Marchands François, s'il n'y est obligé par écrit : & seront les effets des François qui mourront audit Pays, remis és mains dudit Consul, pour en disposer au profit des François, ou autres ausquels ils appartiendront ; & la même chose sera

observée à l'égard des Turcs dudit Royaume d'Alger, qui voudront s'établir en France.

XXI.

Joüira ledit Consul de l'exemption de tous droits pour les provisions, vivres & marchandises necessaires à sa maison.

XXII.

Tout François qui aura frappé un Turc ou More, ne pourra estre puni qu'aprés avoir fait appeller ledit Consul pour deffendre la cause dudit François ; & en cas que ledit François se sauve, ne pourra ledit Consul en estre responsable.

XXIII.

S'il arrive quelque contravention au present Traité, il ne sera fait aucun acte d'hostilité, qu'aprés un déni formel de Justice.

XXIV.

Et pour faciliter l'établissement du Commerce, & le rendre ferme & stable, les tres-Illustres Bacha, Dey, Divan & Milice d'Alger envoyeront quand ils l'estimeront à propos une personne de qualité d'entre eux resider à Marseille, pour entendre sur les lieux les plaintes qui pourroient arriver sur les contraventions au present Traité, auquel sera fait en ladite Ville toute sorte de bon traitement.

XXV.

Si quelque Corsaire de France ou dudit Royaume d'Alger fait tort aux Vaisseaux François ou à des Corsaires de ladite Ville qu'il trouvera en Mer, il en sera puny, & les Armateurs responsables.

XXVI.

Si les Vaisseaux d'Alger qui sont presentement en Mer avoient pris quelques Bastimens François, ils seront rendus aussi-tost qu'ils seront arrivez en ladite Ville, avec toutes les marchandises, effets, argent comptant, & robes des équipages, & il en sera usé de même, si les Bastimens François avoient pris quelque Bastiment de ladite Ville d'Alger.

XXVII.

Toutes les fois qu'un Vaisseau de guerre de l'Empereur de France viendra moüiller devant la Rade d'Alger, aussitost que le Consul en aura averty le Gouverneur, ledit Vaisseau de guerre sera salüé, à proportion de la marque de commendement qu'il portera, par les Chasteaux & Forts de la Ville,

بقية بنود المعاهدة

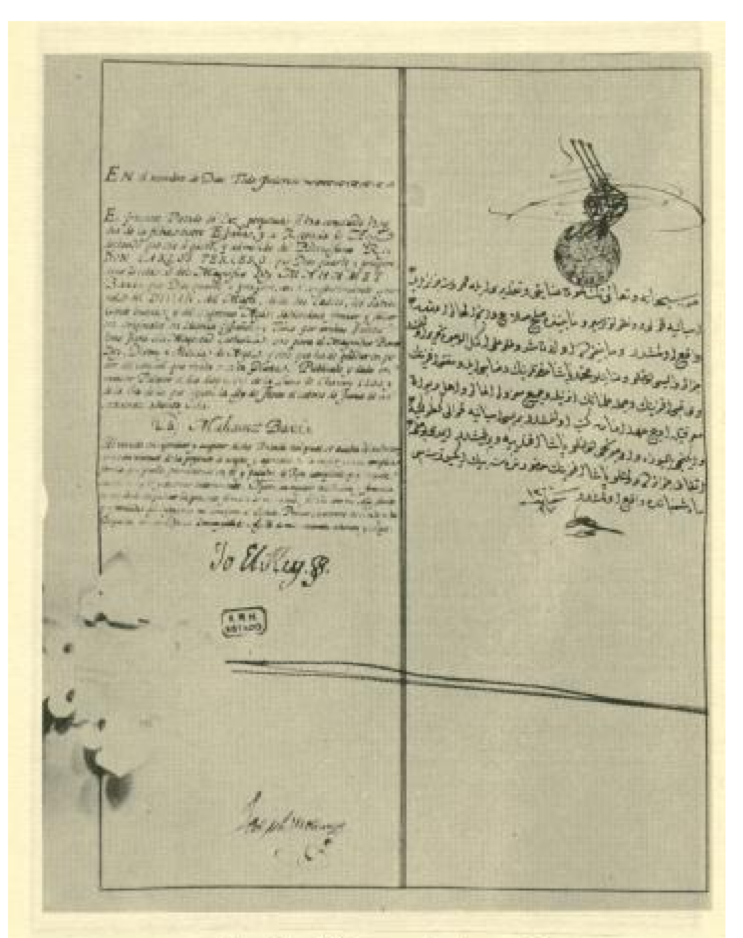
الملحق رقم 03:

معاهدة محمد باشا مع الأسبان

في 14 جوان 1786 م

من كتاب المدني أحمد توفيق

المرجع السابق، ص. 521 - 522.



نص معاهدة محمد باشا والاسبان



Traduccion

Hassan Dey y Comandante de Argel.
(L.S.)

بقية نص معاهدة محمد باشا والاسبان وذيلها بامضاء حسان باشا

TRATADO

DE

PAZ E AMIZADE,

AJUSTADO

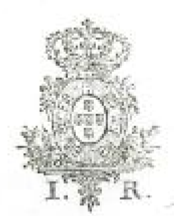
ENTRE SUA ALTEZA REAL

O PRINCIPE REGENTE DE PORTUGAL,

E

O BEI, E REGENCIA DE ARGEL,

EM 14 DE JUNHO DE 1813.



I. R.

LISBOA,

NA IMPRESSÃO REGIA.

EM NOME DE DEOS CLEMENTE, E MISERICORDIOSO.

(*Lugar do Sello.*)

Tratado de Paz e Amizade, entre S. A. R. o Muito Alto e Muito Poderoso Principe Regente de Portugal, e dos Algarves, d'aquém, e d'além mar, em Africa de Guiné, e da Conquista, Navegação, Commercio da Ethiopia, Arabia, Persia, e da India, etc.; e o Muito Nobre e Honrado Sid Hage Aly, Baxá de Argel, e mais Provincias sugeitas ao seu Dominio, ajustado entre o dito Baxá com o seu Divan, e Principaes do seu Estado; e José Joaquim da Rosa Coelho, Capitão de Mar e Guerra da Armada Real; e Fr. José de Santo Antonio Moura, Interprete da Lingua Arabe, e Official da Secretaria de Estado dos Negocios da Marinha, e Dominios Ultramarinos, competentemente authorizados para effeituarem o dito Tratado, em que intervejo como Mediador e Garante S. M. Britanica; e para este fim se apresentou com os necessarios Plenos Poderes Mr. William a Court, Enviado Extraordinario, e Ministro Plenipotenciario da Corte de Londres.

بسم الله الرحمن الرحيم

(موضع الطبع)

انعقدت المهادنة الكاملة و الصلح التام بين الاسعد الاكرم السيد الحاج علي باشا الجزاير وباقي الاقاليم المتصلة اليها ولجواء دولته واهل ديوانه وبين ذي غاية القدر والاجلال دون جوان امير البرطقال والقوين والبرازيل والغنارة والهند وتبرعا بواسطة من فوض له ونائب عنه في عقد الصلح المذكور واقامه مقامه وهو جزف جواكيم دروزه كويلو رس السفينة ورفيقه الرهبان الباباس يوسف مورة ترجمان وكاتب مكاتبة السلطان وبالشدور الانجليز المسمى ويليام اكورت الموسول بامر سلطانه ليكون الوسيط والضامن عنه في هذا الصلح حتى يكون ثابتا ضابطا بين الجانبين وهو المرسوم لمد *

ART. I.

Haverá huma Paz firme, estavel, e perpetua entre as duas Altas Partes Contractantes, e os seus respectivos Vassallos; e quaesquer Embarcações assim de Guerra, como Mercantes de ambas as Nações, poderão navegar livremente, e com toda a segurança, para onde bem lhes convier, levando para isso os correspondentes Passaportes.

الشرط الاول

فبان هذا الصلح يكون ثابتا ضابطا دائما بين الجانبين ولرعية الطايفتين ولجميع مراكب قراصين وبابوركان لها السفر بامان وامن اينما شاءت لانه الى البلاد سيكون في الباسبورط والاوراق المعهودة المفهومة *

II.

Todas as Embarcações, e Vassallos de Portugal poderão entrar, sahir, demorar-se, commerciar, e prover-se de todo o necessario nos Dominios de Argel, sem que se lhes ponha embaraço, ou se lhes faça alguma violencia. Os Vassallos, e Embarcações Argelinas serão tratados da mesma sorte nos Dominios de Portugal.

الشرط الثاني

كل من اراد الدخول من جنس البرطقيز ومراكبه الى بلاد ايالة الجزاير بقصد شراء ما احتاج اليه في التجارة فيها فان له الدخول والمقام بها من غير ان يتعرض له معارض وهذا بعينه العمل برعية الجزاير في بلاد البرطقال *

III.

As Embarcações de Guerra pertencentes á Corôa de Portugal poderão prover-se de todo o mantimento, ou de qualquer outra cousa de que precisarem nos Portos de Argel, e pelo preço corrente, sem que sejão obrigadas a pagar por isso mais cousa alguma.

الشرط الثالث

اما قراصين البرطقيز لها ابتياع جميع ما تحتاج اليه من القوت وجميع الامور التي افتقرت اليها في مراسي الجزاير ولا تكلف بعطاء شي زايد على الثمن الجاري في البلاد وهذا العمل بعينه مع قراصين الجزاير في مراسي البرطقيز

IV.

Nenhum Corsario Argelino poderá cruzar na distancia de seis milhas das Costas de Portugal, e suas Ilhas, ou demorar-se naquelles sitios com o fim de dar cassa, ou visitar os Navios Portuguezes, ou de qualquer outra Nação, sua inimiga, que buscarem os referidos Portos por causa do seu Commercio. O mesmo praticarão os Navios de Guerra Portuguezes junto das Costas de Argel.

الشرط الرابع

لا يمكن لقراصين الجزاير ان تحاوط وتخطر وتقرص لمسافة ستة اميال بمقابلة مراسي البرطقال وجزايره لا لمراكب البرطقيز ولا الغربية المتوجهة للمراسي المذكورة بقصد السبب بيعها وهذا العمل بعينه من جهة قراصين البرطقيز في مقابلة سواحل الجزاير

V.

Se alguma Embarcação, ou Navio Mercante Portuguez for encontrado por qualquer Corsario Argelino, e este o quizer registar, o poderá fazer; com tanto que a bordo do dito Navio não subão mais de duas pessoas para examinar os seus papeis, e Passaportes.

الشرط الخامس

اذا التقا قرصان الجزاير احدا من مراكب البرطقيز البابوركان فانه لا يطالبه الا باظهار الباسبورط والاوراق للبحر ولا يفتش ابدا ولا يصعد للمركب بقصد رويا الباسبورط الا رجلان فقط *

VI.

Os Estrangeiros de qualquer Nação, e as fazendas de propriedade Estrangeira, que se encontrarem a bordo de qualquer Embarcação Portugueza, ainda mesmo de Nação inimiga de Argel, não poderão ser aprehendidas debaixo de pretexto algum, que se queira allegar. O mesmo se pra-

B

الشرط السادس

كل من دخل تحت سنجق البرطقيز وحمل من سلعته وامواله في مركب من مراكب البرطقيز من الجنوس الغير المعاهدين باشا الجزاير فيكون محفوظ بسبب دخوله لها فلا يحل الواحد من اهل الجزاير

يوجه من الوجوه ولا ...

ملحق رقم 04:

نص المعاهدة الجزائرية البرتغالية الموقعة في عهد الحاج علي داي بتاريخ 14 جوان 1813 م.
أرشيف ولاية قسنطينة (36794).

6

ticará da parte dos Portuguezes a respeito dos effeitos, que se encontrarem a bordo de qualquer Embarcação Argelina.

Da mesma sorte os Vassallos, e Fazendas pertencentes a qualquer das partes contratantes, que se encontrarem a bordo de Embarcação inimiga de qualquer das mesmas partes contratantes, serão respeitadas, e postas em liberdade pela outra parte; mas não poderão emprehender a sua viagem sem o correspondente salvoconducto. Se acontecer porém que este se desencaminhe, nem por isso as ditas Pessoas serão reputadas Escravos; antes pelo contrario, certificando em como são Vassallos de qualquer das Altas Partes Contratantes, deverão ser postas immediatamente em liberdade.

في مراكب الجزاير فان هذا
العمل ابدا يبرى كذلك فكل من وجد
من اهل الجزاير او من البرطقيز في
مركب من مراكب اهل غير الصلح وعلى
العدو مع احد من الجانبين فله
محترم و سلعته المحمولة فيه لا ان يقع
يركبون بالباسابورط واما اذا
انتلفت هذا الباسابورط فانه لا يكون
اسيرا بل يشهد على انه من رعية الجانبين
و يوصل لبلاده

VII.

Se algum Navio Portuguez, perseguido do Inimigo, se refugiar em algum dos Portos dos Dominios de Argel, ou debaixo das suas Fortalezas; os Habitantes defenderão o dito Navio, e não consentirão que se lhe faça prejuizo algum. Da mesma sorte se alguma Embarcação Portugueza se encontrar com Embarcação sua inimiga nos Portos de Argel, e aquella quizer sahir para o seu

الشرط السابع

اذا احتما احد من مراكب البرطقيز
في مراسي ايالات الجزاير او تحت
ابراجه هاربا من عدوه او احد
من مراكب الجزاير في مراسي
ايالات البرطقال فارا من عدوه
فان اهل البلاد لا يسمح ان يقع
العدو بوجه من الوجوه واذا التقت
ملاقات مركب من مراكب البرطقيز

7

destino, não se permittirá que a sua inimiga levante do Porto senão vinte e quatro horas depois da sua partida. O mesmo se praticará nos Portos de Portugal com as Embarcações Argelinas.

في مراسي ايالات الجزاير مع
مركب من مراكب عدوه فان اهل
الجزاير لا يسمح خروج مركب عدو
البرطقيز وليعد الا بعد اربعة وعشرين
ساعة من خروج البرطقيز وعلى هذا الحال
و بهذا المنوال العمل بمراكب الجزاير
في مراسي البرطقيز *

VIII.

Se alguma Embarcação Portugueza infelizmente naufragar, ou encalhar nas Costas dos Dominios de Argel, o Governador e moradores daquelle districto deverão tratar a Tripulação com toda a humanidade, não o prejudicando, nem permittindo, que se lhe roube cousa alguma; antes pelo contrario lhe prestarão todo o auxilio para poder salvar a dita Embarcação com a sua carga, ou aquillo que lhe for possivel; não devendo ser obrigada a mesma Tripulação a pagar, senão o salario, ou jornal áquelles que nisso se tiverem empregado. A mesma consideração se terá com qualquer Embarcação Argelina, que infelizmente naufragar nas costas de Portugal.

الشرط الثامن

اذا حرث مركب من مراكب البرطقيز
بسواحل ايالات الجزاير فانه في حفظ وامان
ولا يقاربه احد بسوء ولا ينهب منه شيء
بل يقدم له من يسعى في خلاصه من
الخطر ولا يكلف بعطاء شيئا سوى اجرة
من يعينهم على ذلك وهذا بعينه
العمل بمراكب الجزاير ان قدر الله
بشيء من ذلك وحرثت بسواحل بلاد
البرطقيز *

IX.

Os Vassallos de Portugal po-

الشرط التاسع

كل من ورد من رعية سلطان البرطقال

8

derão Commerciar nos Portos e Estados de Argel do mesmo modo, e com as mesmas prerogativas, e pagando os mesmos Direitos, que estão estipulados para os Inglezes. Os Vassallos Argelinos pagarão em Portugal iguaes Direitos aos que alli pagão os Inglezes.

واراد التجارة ببلاد الجزاير او المقام
فيها فان له ذلك من غير ان يتعارض
له احد ولا يلزمه في الكمرك والعادة
في الدخل والخرج شيء زايد على ما
هو مبين في شروط الصلح التي بين
سلطان الانجليز وبين باشا
الجزاير وديوانه واما رعية الجزاير
من التجار وغيرهم لا تلزمها في بلاد
البرطقيز الا ما يلزم لجنس الانجليز
في تلك البلاد *

X.

O Consul de Portugal estabelecido nos Dominios de Argel será reputado e considerado, como o Consul Britanico; e poderá ter em sua casa, assim como os seus criados e todos os mais, que o quizerem praticar, o livre exercicio da sua Religião. O mesmo Consul poderá julgar todas as contendas e questões suscitadas entre os Vassallos Portuguezes, sem que nisso se possão intrometter os Juizes da Terra, ou alguma outra Authoridade; salvo se a questão for entre Portuguez e Mouro, porque nesse caso a deverá julgar o Governador da Terra na presença do mesmo Consul.

الشرط العاشر

قونصوا البرطقيز فانه يكون محترما
مكرما في بلاد الجزاير مثل قونصوا
الانجليز وله التصرف في دينه القيام
بامور صلاته هو ونوابه واهل بيته
وخدامه وجميع من يريد من اهل دينه
استعمال الصلاة معه في داره وله ايضا
فصل ما يحدث بين النصارى من
الخصومات فيما بينهم من غير ان
يدخل فيها احد من قضاة او حكام
البلاد الا ان كان الخصام بين مسلم
ونصراني فيتولى الفصل حاكم البلاد
بحضور القونصوا المذكور *

XI.

O referido Consul e seus Encarregados não poderão ser obrigados a pagar divida alguma contrahida por Vassallos Portuguezes; excepto no caso de se terem obrigado a ella por Escripto feito de sua letra e signal.

الشرط الحادي عشر

فان القونصوا المذكور ونوابه لا يلزم
بوفاء دين البرطقيز الا اذا لزم نفسه
بذلك بوثيقة منه بخط يده *

XII.

Se algum Portuguez fallecer nos Dominios de Argel, todos os seus bens se entregarão ao Consul de Portugal, para serem por elle remettidos aos Herdeiros do dito defunto.

الشرط الثاني عشر

اذا مات احد من البرطقيز في ايالات
الجزاير فحوايجه تدفع للقونصوا المذكور
ليبعث بذلك لوارثه او الاقربين للميت *

XIII.

Succedendo qualquer contravenção ao presente Tratado da parte dos Vassallos de Portugal, ou dos Vassallos de Argel, nem por isso se dissolverá o presente Tratado de Paz estabelecido entre as duas Nações; mas examinando-se a origem de similhante acontecimento, se dará á Parte offendida a condigna satisfação.

الشرط الثالث عشر

اذا حدث خلاف لهذه الشروط المعاهدة
من رعية البرطقيز او من رعية الجزاير
فلا يبطل هذا الصلح لاجل ذلك بل
تفحص وتختبر تلك القضية على حقيقتها
ويجبر الخاطر المكسور ويكافى الضرر
المحصول *

XIV.

No caso de se declarar a Guerra entre as duas Altas Partes Contratantes (o que DEOS não permitta) não se commetterão hos-

c

الشرط الرابع عشر

اذا انفقت لا يسمح الله المهادنة
والصلح بين هاتين الدولتين
فلا يجوز من الجهتين الطرفين اظهار

بقية نص المعاهدة

tilidades de Parte a Parte, senão passados seis mezes depois da dita Declaração: Neste intervallo poderão o Consul de Portugal e todos os Vassallos do mesmo Reino retirarem-se com todos os seus Bens; assim como os Vassallos Argelinos, que estiverem em Portugal, para o seu Paiz; sem que se lhes possa pôr o menor embaraço.

العدو ومعارضتها الا بعد ستة اشهر من تاريخ بروزها للتعدي وفي هذه المدة يستطيع القونصو وجميع اهل الدولتين يرحل لبلاده ويحمل جميع ارزاقهم من غير ان يتعارض لهم احد بسوء *

XV.

الشرط الخامس عشر

Tudo o mais não expecificado nos precedentes Artigos será regulado pelos Artigos de Paz estabelecida entre S. Magestade Britanica, e a Regencia de Argel.

كل الباقي غير مذكور في هذه الشروط يفصل على شروط الصلح التي بين محبتنا سلطان الانجليز وبين باشا الجزاير *

XVI.

الشرط السادس عشر

E para que seja firme, e duravel este Tratado aceitão as duas Altas Partes Contractantes por Medianeiro e Fiador da sua observancia o Rei da Grã-Bretanha; em prova do que o assigna Mr. *Acourt*, Enviado Extraordinario e Ministro Plenipotenciario da Corte de Londres, juntamente com os mencionados Enviados de Portugal, e deste se extrahirão duas Copias, huma para o Soberano do dito Reino de Portugal, e outra para ficar em Poder do seu Consul residente em Argel.

واما ليثبت ويدوم ابدا هذا الصلح بين الجانبين ورعية الدولتين قبل سلطان البرتقيز وباشا الجزاير يقبلا وساطة وضمن وكفالة سلطان الانجليز لذلك وباشدور السلطان المذكور يسجل ايضا هذه الشروط ويطبعها ومنها تدفع نسختان للرسولين المذكورين واحدة لسلطانهما والاخرى للقونصو الذي يقعد في الجزاير *
صار الاتفاق بحضرة الجزاير بين الجانبين حارية عشر من شهر يونيه

Foi ajustado e escripto em Argel aos 14 de Junho de 1813.
(Corresponde aos 15 de Jomadi-tani de 1228 da Egira.)

عام الف وثمانية مائة وثلاثة عشر الذي يوافق لخمسة عشر من شهر جمادي الثاني عام الف ومايتين وثمانية وعشرين من الهجرة *

الرهبان يوسف مورة باشدور امير بطقال	وليام اكورط وسيطا وباشدور سلطان الانجليز	جوزي جواكيم دروزة كويلهوا باشدور امير برطقال
Fr. José de Santo Antonio Moura, E. de S. A. R. o Principe Regente de Portugal.	Como Medianeiro e Fiador, *William Acourt*, E. E. e M. P. de S. M. Britanica.	*José Joaquim da Rosa Coelho*, Enviado de S. A. R. o Principe Regente de Portugal.

Esta traducção he feita por Fr. José de Santo Antonio Moura, Ministro Geral da Congregação da Terceira Ordem da Penitencia, Interprete, e Official da Secretaria de Estado dos Negocios da Marinha, e Dominios Ultramarinos. = Fr. José de Santo Antonio Moura.

E Sendo-nos presente o mencionado Tratado, cujo theor fica acima inserido; e bem visto, considerado, e examinado por Nós tudo o que nelle se contém, bem como a Carta, que o Bei de Argel nos escreveo, e serve de ratificação da sua parte, o Approvamos, Ratificamos, e Confirmamos assim no todo, como em cada huma das suas Clausulas, e Estipulações, promettendo em Fé, e Palavra Real do Augusto Principe Regente de Portugal, cuja Soberana Pessoa representamos no Governo destes Reinos, observallo, e cumprillo inviolavelmente, e fazello cumprir, e observar, sem permittirmos que se faça cousa alguma em contrario por qualquer modo que possa ser. E em testemunho, e firmeza do sobredito, fizemos passar a Presente por Nós assignada, Sellada com o Sello grande das Armas Reaes, e referendada por D. Miguel Pereira Forjaz, do Conselho de S. A. R., Tenente-General dos seus Reaes Exercitos, Secretario dos Negocios da Marinha, Estrangeiros, e da Guerra. Dado em Lisboa no Palacio do Governo aos 13 de Julho do Anno do Nascimento de Nosso Senhor Jesu Christo de 1813. = *Bispo Patriarca Eleito.* = *Marquez de Olhão.* = *Marquez de Borba* = *Principal Sousa.* = *Carlos Stuart.* = *Ricardo Raimundo Nogueira.* = *D. Miguel Pereira Forjaz.* = *João Antonio Salter de Mendonça.*

(L. S.)

D. Miguel Pereira Forjaz.

بقية نص المعاهدة

Liure premier.

Alain le Clerc, natif de S. Malo en Bretagne.
Amour Germain, de S. Malo.
André Baron, de Marseille.
Anthoine Paulian, d'Antibe.
Claude Maucuit, de Bondy lés Paris.
Claude Truche, de S. Iean de Luz en Gascongne.
François Cournot, de Credon en Bretagne.
François Diep, des Sables d'Olonne.
François Dauid, des Sables d'Olonne.
François de la Ruë, de Roüen.
François Perier, de Lyon.
Gabriel Cocordon, de Marseille.
Guillaume Clery, de S. Malo.
Iacques Medard, de Paris.
Iacques Roche, de Fecan.
Iean Lienne, de Courtray.
Iean Parroleau, des Sables d'Olonne
Iean Derene, du Port-Louys en Bretagne.
Iean Senes, de Dieppe.
Iean Humel de Granville, en basse Normandie.
Iean Coste, d'Aurignac en Gascongne.
Iean Gaudefré, des Sables d'Olonne.
Iean Parson, de S. Malo.
Iean Vincent de S. Bonnet, en Dauphiné.
Iulien Alanni, de Vennes en Bretagne.
Leon Pille, de Lyon.
Louys le Blanc, de Bourdeaux.
Matthieu Lambert, de S. Martin de Ré, païs d'Aunis.
Matthieu Gazet, Chirurgien de Dieppe.
Michel Anjubault, de Change au Mans.
Michel Estayar, d'Anuers.
Noël du Bois, de Roüen.
Philippes Gilles, de Carentan.
Pierre Tasil, de Toulon.
Pierre Laurent, de S. Malo.
Pierre Aragon, de S. Malo.
Pierre Demy, de Dierue en Bretagne.
Pierre Boyer, de S. Malo.
Robert Randon, de Fecan.
Robert Daltry, du Havre de Grace.
Sebastien Lombart, de Marseille.
Sebastien Maue, de Conquet en Bretagne.

ملحق رقم 05:

قائمة الأسرى المحررين من طرف الأب "دان" سنة 1535 م (عددهم 42)

- DAN (Pierre), op. cit., Livre 01, p. 63.

قائمة الكهنة اللازاريين المبعوثين إلى الجزائر « Les Vicaires apostoliques »

من 1646 م إلى غاية 1827 م

اسم المبعوث	معلومات متفرقة حوله
- Jean Baree	- أرسل كقنصل إلى مدينة الجزائر في جويلية سنة 1646 م، و كان قبل ذلك يشتغل في سلك المحاماة.
- Boniface Nouvelly	- أرسل كمبعوث كهنوتي « Missionnaire apostolique »، و كان طبيباً، قدم خدمات الطب و الاستشفاء لصالح الأسرى المسيحيين في الجزائر. توفي بسبب الطاعون في 22 جويلية 1647 م و هو نفس المصير الذي تلقاه المرسلان بعده. - Jean le Sage (في 12 ماي 1648 م) - Jean Dieppe (في 02 ماي 1649 م)
- Philippe Le Vacher	- عين مبعوثاً كهنوتياً بالجزائر في 17 ديسمبر 1650 م، عُرف بحماسه في خدمة الأسرى المسيحيين، بقي يؤدي مهامه في الجزائر إلى غاية شهر فيفري من سنة 1662 م.
-Benjamin Huguier	- خلف "فليب لو فاشي"، وصل إلى الجزائر في سبتمبر 1662 م، و توفي في طاعون أفريل 1663 م.
-Jean Le Vacher	- قدم إلى الجزائر سنة 1668 م كمبعوث كهنوتي للجزائر و تونس. اعتمد كقنصل فرنسا في الجزائر سنة 1673 م، و توفي في 26 جويلية 1683 م، حيث قذف به من فم مدفعية بأمر الداي حسين ميزو مورتو (1682 م - 1686 م).
- Michel Montmasson	-أرسل خلفاً لـ "جون لو فاشي"، و تأخر وصوله إلى الجزائر حتى بداية 1686 م، و ذلك بعد توقيع معاهدة السلم بين فرنسا و الجزائر. تلقى نفس مصير "جون لو فاشي".
- Joseph Glanola	- كلف بمهام الدعاية و التبشير، ظهر نشاطه في هذا المجال خاصة في تونس، امتدت مهامه من 1686 م إلى 1693 م.
- Yves Laurence	- تولى مهامه من شهر سبتمبر 1693 م إلى غاية 11 مارس 1705 م.
- Lambert Duchesne	- خلف « Yves Laurence »، و كان قبل ذلك موجوداً بالجزائر، امتدت مهامه كمبعوث من 1705 م إلى غاية 23 ديسمبر 1736 م.
- Pierre Faroux	- قدم إلى الجزائر سنة 1736 م. كان رجل دين على درجة كبيرة من القداسة، توفي بسبب الطاعون في 15 جويلية 1740 م.
- Pastey	- عين « pro - vicaire »، كان أيضاً ضحية للطاعون في 23 جويلية 1740 م.
- Adrien Poissant	- رفيق « M. Pastey » بقي « pro - vicaire » إلى غاية 01 جوان 1741 م أين عبر البحر إلى فرنسا.

ملحق رقم 06:

من كتاب:

- GLEIZES C. M (Raymond), CAPTIVITE & Œuvres, De Saint Vincent Paul en Barbarie, Librairie Lecoffre, Paris, 1930, pp. 191 - 199.

- Charles-Marie-Gabriel Poirier Du Bourg	- كان « Vicaire apostolique » من جوان 1741 م إلى جويلية 1743 م. أصيب بمرض وعاد إلى فرنسا للعلاج ثم رجع مرة أخرى إلى الجزائر حيث توفي نهاية عام 1745 م.
- Adrien Poissant	- أدى مهامه من جويلية 1743 م إلى 03 أوت 1746 م، أصيب بمرض و عاد إلى فرنسا.
- Arnoult bossu	- بالإضافة إلى مهامه كمبعوث، منذ سنة 1746 م، فقد شغل منصب قنصل فرنسا بالجزائر لمدة سنة، غادر البلاد بعد وصول القنصل الفرنسي الجديد سنة 1757 م.
-Théodore Groiselle	- شغل مهامه من 30 نوفمبر 1757 م إلى 05 سبتمبر 1763 م.
- Charles-Louis Lapie De Sévigny	- بقي « pro - vicaire » من 1763 م إلى أفريل 1765 م.
- Philippe-Joseph Leroy	- جاء إلى الجزائر ستة 1765 م و عاد إلى فرنسا سنة 1772 م بعد أن أصيب بالمرض.
- Lapie De Sévigny	- من 1772 م إلى 1773 م.
- Pierre-François Viguier	- من 1773 م إلى 1778 م، أرسل فيما بعد إلى القسطنطينية.
- Claude Cosson	- دامت مهامه من 1778 م إلى 1782 م، ترك الجزائر مرغماً بسبب محاولة اغتيال من طرف الأسرى الفرنسي الذين لم يتم فداؤهم
- Benoît-Joseph Lalan	- كان « pro - vicaire » سنة 1782 م.
- Michel-René Ferrand	- من 1782 م إلى 1784 م.
- Lalan	- كان « pro - vicaire » من 1784 م إلى 1785 م.
- Jean Alasia	- من 1785 م إلى 1798 م.
- Jean-Claude Vicherat	- كان « pro - vicaire »، أبعده الداي بابا مصطفى (1798 م - 1805 م) بعد أن قضى مدة تمتد من 1798 م إلى 1801 م.
- Salvatop Clariava	- أتى إلى الجزائر سنة 1802 م و توفي بها في 06 كانفي 1811 م
- Jean-François Chossat	- جاء إلى الجزائر في 1823 م لكنه سرعان ما عاد إلى فرنسا لأسباب صحية.
- Jean Louis Solinhac	- جاء إلى الجزائر في 19 ديسمبر 1825 م، وغادر البلد مع كل الفرنسيين في شهر جوان 1827 م بسبب المشاكل الفرنسية الجزائرية الممهدة للاحتلال.

تابع الملحق 06

Cependant, le Pere Lucien qui auoit laissé en Alger, Frere Boniface du Bois, son compagnon, en ostage, pour asseurance de quelque somme, ayant promis au Bascha, & au Diuan d'Alger, de retourner au plus tard, au mois de Iuin ensuiuant, pour leur apporter cette somme, mit tous ses soins pour recouurer de l'argent, & par les bontez & la bien-veillance de la Reyne, obtint permission de faire vne queste generale dans la Ville de Paris, sa Maiesté commanda à chaque Paroisse, deux Dames, qui allerent recherchant des aumosnes & charitez, par les maisons les plus considerables, dont en voicy vn estat.

I. Fut donné par la Reyne Regente, 1000. liures.
Fut questé & trouué au Louure, par Mademoiselle de Neüillan, 1404. liures.

A S. Nicolas des Champs.
Par Mesdames du Til, & Brisonnet, 954. liu. sept sols.
A Sainct Paul.
Par Madame la Mareschale de Sainct Gerent, en son quartier, 338. liures 15. sols.
Aux Saincts Innocents.
Par Mesdames Pijart & Parques, 28. liures. 15. sols.
A S. Estienne du Mont.
Par Madame de Meziere, 178. liures 10. sols.
A S. Martin Fauxbourgs S. Marcel.
Par Madame 22. liu. dix sols.
A Sainct Hypolite.
Par Madame 20. liures.
A Saincte Geneuiefue des Ardents.
Par Mesdames Carreron & Gallot, 25. liures 8. sols.

A la Saincte Chappele.
Par Mesdames Cheualier, & Reuerand, 208. liu. 15. sols.
A Saincte Opportune.
Par Mesdames Moutule & Rousseau, 68. liu.
A Saincte Magdeleine.
Par Mesdamoiselles Luçon, & Buffet, 36. liu. 8. sols.
A Sainct Eustache.
Par Mesdames Cartier & Viot, 1403. liu. 15 sols.
A Sainct [illegible]
Par Madame 49. liu. 16. sols
A S. Mederic.
Par Mesdames de Champigny & Boisse, 1035. liu.
A S. Symphorien.
Par Mademoiselle de Choisy, 24. liu.
A Sainct Landry.
Par Madame Godefroy, 105. liu. [illegible] sols.
A Sainct Roch.
Par Madame de Maurry, 539. liu.
A Sainct [illegible]
Par Madame 31. liu. dix sols.
A S. Germain le vieil.
Par Mesdames Pouancheré & Poquelin, 94. liu. 5. sols.
A S. Christophle.
Par Madame 35. liu.
A S. Nicolas du Chardonnet.
Par Mademoiselle Lamy, 563. liu. 5. sols.
A Sainct Hosse.
Par Madame Melian, 53. liu. 6. sols.
A S. Barthelemy.
Par Madame de la Porte, 138. liu. 9. sols.
A S. Germain de L'Auxerrois.
Par Mesdames Chaumont & Canaule, 266. liu. 2. sols.
A S. André des Arts.
Par Mesdames de Chasteau-Vieux, & Caignaux, 1036. liu.
A Sainct Geruais.
Par Mesdames le Roux & le Febure, 700. liu. 5. sols.
A S. Iean en Greue.
Par Madame la Comtesse Blain, 286. liu. 5. sols.
A S. Leu S. Gilles.
Par Mademoiselle des Bordes, 65. liures.
A S. Iacques de la Boucherie.
Par Mesdamoiselles Gouthillon, & Barbier, 169. liu.

A S. Laurens.
Par Mesdames la Ramée & le Roy, 49. liures.
A S. Benoist.
Par Madame de la Noue, 177. liu.
A S. Louys en l'Isle.
Par Mesdames Foras & la Grange, 250 liu. 7. sols.
A Sainct Seuerin.
Par Mesdamoiselles Noel & Meinier, 170. liu.

ملحق رقم 07:

حملة لجمع التبرعات المالية عبر قرى مدينة باريس بأمر ملكي، تمت عقب احتجاز الأب « Boniface du Bois » كرهينة بالجزائر.

قدرت المبالغ المالية التي تمّ حجزها بحوالي 11723 ليرة « livres »، انظر:

- DAN (Pierre), op. cit., Livre 02, pp. 142 - 144.

DES DROICTS QVE l'on payoit pour la ſortie des Captifs auant le Traité fait par le R. P. Lucien Herault, auec le Baſcha & Diuan d'Alger.

Premierement au Baſcha à raiſon de dix pour cent, c'eſt à dire que ſi l'on s'eſt rachepté de cent cinquante pieces de huict realles, qui vallent chacune enuiron quarante huict ſols monnoye de France, il luy eſt deub quinze pieces de huict.

Aux Eſcriuains du Diuan quatre pieces & demies de huict realles.

Au Chiaoux vne piece & demie.

Pour la marque & le ſigne du Baſcha outre ce que deſſus vne piece & demie.

Pour le truchement du meſme Baſcha vne demie piece de vingt quatre ſols.

A l'Haia ou Lieutenant du Baſſa quatre pieces & demie de huict realles.

D

A celuy qui fait mettre la marque demie piece.

Tout ce que deſſus ſe paye auant que l'Eſclaue affranchy mette le pied dans le vaiſſeau, & lors qu'il s'eſt embarqué pour partir quand on fait la viſite du nauire il paye encores les droits qui ſuiuent.

A l'Armin qui eſt le fermier de la Doüane & du port.

A l'Aiabaſchi deputé du Diuan pour viſiter le nauire.

Au Gardien du port.

Au truchement de la nation.

Au Gardien du baigue où eſtoit l'Eſclaue.

Pour l'Alcaſſaue & fortereſſe dix ſept pieces de huict realles.

A Maiſtre Mouſſa à raiſon d'vn pour cent qui luy eſt deub.

Pour l'entretien du Mole du port vne piece & demie.

A ſon Eſcriuain trois demies pieces.

Pour l'entretien des Marabouts & des Moſquées trois pieces de huict.

Voila tout ce qui ſe payoit auant l'arriuée de nos Peres en Alger.

ملحق رقم 08:

الحقوق المفروضة على خروج الأسرى المحررين قبل عقد معاهدة مارس 1643 م بين الأب « Lucien Herault » من تنظيم الثالوث المقدس و عمر باشا (1642 م - 1647 م).

- Lucien Herault, Les victoires de la charités, pp. 49 - 50.

COPPIE DV TRAITTE' fait le premier du mois de Mars 1643. entre le Bascha & le Diuan d'Alger, auec les Religieux Reformez de l'Ordre de la Saincte Trinité & Redemption des Captifs.

A SA MAIESTE' ROYALE.

Ayant veu & reconnu l'intention de vostre Majesté, suiuant ce que nous ont fait entendre les Peres Religieux qui sont venus en cette ville, à dessein de traitter, qui est que nous fissions son passage à l'aumosne de vostre Royaume: & ce faisant nous seroit apporté pour rachepter les vassaux de vostre Majesté: Ce que nous accordons & asseurons à ce qu'ils puissent venir sans aucune deffiance ny apprehension, qu'il leur soit fait mauuais passage: Et pour plus de

D ij

ملحق رقم 09:

نسخة من المعاهدة المنعقدة في 01 مارس 1643 م بين عمر باشا و آباء الثالوث المقدس.

- Lucien Hérault, <u>op. cit.</u>, pp. 51 - 55.

seureté, nous auons fait ce nostre sauf-conduit en la forme & maniere qui s'ensuit.

En cette ville le dixiesme iour du mois de Mars & de nostre année 1642. qui s'accorde auec le premier du mois de Mars de l'année 1643. de vostre Royaume sont venus traitter pour l'aumosne. Le Pere Lucien & le Pere Boniface, pour la parole, & moyen desquels, nous accordons de bailler ce sauf-conduit, asseurant par la nostre comme vassaux fideles & loyaux de nostre grand Seigneur, que tout ce qui est compris dans iceluy leur sera octroyé & accomply, qui est ce qui s'ensuit.

Que venant l'aumsone, ou les aumosnes, rencontrans quelqu'embarquement de cette nostre ville, comme vaisseaux, galeres, sayties, ou carauelles, ne doiuent auoir aucune crainte ou défiance d'eux, d'autant que nous l'auons ainsi commandé à nos Capitaines.

Que lors qu'elle viendra, si poursuiuant son voyage, il succede comme il peut arriuer, que par mauuais temps elle relasche en quelque port ou forte-

resse des nostres, & qu'elle ait besoing de viures, & autres necessitez, nous auons commandé à nos vassaux qu'ils leur en donnent pour leur argent, & qu'il ne leur soit fait aucun moleste.

Que lors que l'aumosne, ou les aumosnes arriueront en cette ville, & qu'ils rachepteront des Esclaues, ils ne payeront au Bascha plus de vingt pieces de huict pour chacun, & au Gardien du port vne reale de huict, & à l'Armin du Bascha vne reale de huict, & à l'Allibech de la Doüane vne piece de huict, & à la Cassane, qui est le Chasteau de la ville trois reales pour testes à Maistre Moussa deux reales & demye de huict pour teste, & au truchement vne reale de huict.

Pour les Droicts de l'entrée, il se payera vn pour cent pour le port & au Bascha, & à son Armin huict & demy pour cent, c'estoit tout neuf pour cent ; & ce qui est cy-dessus mentionné s'entend pour la sortie des Esclaues.

Nous auons commandé suiuant la coustume, qu'ils emporteront quatre Esclaues de la Doüane, & non plus, & vn de l'Aga, qui pour lors sera dans la chaire, auec quoy se concluent tous au-

tres droicts, exceptez les cy dessus mentionnés.

Nous auons commandé aux fermiers des cuirs & cires, qu'ils ne puissent par force bailler ny cuirs ny cires, estant argent des Esclaues.

Nous promettons sous nostre parole qu'au Pere Redempteur qui reste en cette nostre ville, que personne ne sera si osé de l'offenser d'effects ny de paroles, à peine de chastiment, ny qu'aucun le puisse par force obliger à rachepter quelque Esclaue si ce n'est la volonté desdits Peres Redempteurs.

Que si entre les Chrestiens qui seront racheptez, il arriue quelque excez ou desordre, les seuls Peres Redempteurs en prendront connoissance, sans qu'aucune iustice y puisse voir : Et s'il arriue en vostre Royaume (comme il peut estre) que preniez aucuns de nos nauires, pour cet effet & consideration, le rachapt ne sera point retenu, & ne luy sera fait aucun mauuais passage, mais receura au contraire toute la courtoisie possible.

Toutes ces conditions se sont faites pardeuant nostre Conseil & Diuan, &

promettons les bien accomplir & fidelement, comme l'on verra par les effets lors que Dieu aura amené ladite aumosne, lequel garde vostre Maiesté. Fait les an & iour que dessus.

Traduit de la langue Turquesque en François par le commandement du Sur-Intendant des fabriques d'Alger ; Signé Ally Hommera, fils du Maistre Moussa, és presences du truchement Morat.

Voila vn traitté fort considerable sans doute, & qui apres tout deuoit estre fait dés le temps que Barberousse conuertit ce Royaume de Sarrasins en vne republique de voleurs sous les ordres du Grand Seigneur. Si nos Religieux ont autrefois suiui les armées qui alloient contre les Sarrasins. Si pour tesmoignage & pour recompense de leur charité, nos Roys ont mis leur Couronne fermée sur les armes de l'Ordre, & s'ils en ont semé l'escu de fleurs de lys sans nombre, pourquoy en voyant ces superbes tiltres d'honneur n'a t'on pas eu le coeur pressé d'emulation de ne les pas moins meriter que nos Peres, & pour les meriter comme eux, il ne falloit que continuer les mesmes exercices

بقية نص المعاهدة

70 Relat. des voyages d'Alger en Barbarie.

ESTAT DES QVESTES qui ont esté faites dans les Paroisses de Paris, par les Ordres de la Reyne Regente pour la Redemption des Captifs d'Alger.

PRemierement a esté donné par la Royne Regente pour ladite Redemption, 1000. liures.
A esté questé au Louure par Mademoiselle de Neuillan, 1404. liu.
A S. Nicolas des Champs.
Par Mesdames du Til & Brissonet, 954. liures 7. sols.
A S. Paul.
Par Madame la Mareschalle de Vitry en son cartier, 1032. liu. 4. sols.
Par Madame la Mareschalle de sainct Gerent en son cartier, 338. liures 5. sols.
Aux Saincts Innocents.
Par Mesdames Pijart & Parques, 28. liures 15. sols.

Seconde Partie. 71
A S. Estienne du Mont.
Par Madame de Meziere, 178. l. 10. s.
A S. Martin Faux-bourg S. Marcel.
Par Madame 21 l. 10. s.
A S. Hyppolitte.
Par Madame 20. liu.
A Saincte Geneuiefue des Ardens.
Par Mesdames Carteron & Gallot, 25. liures 8. sols.
A la Saincte Chapelle.
Par Mesdames Cheualier & Reuerand, 208. liures 15. sols.
A saincte Opportune.
Par Mesdames Moutulé & Rousseau, 68. liures.
A saincte Magdeleine.
Par Mesdamoiselles Luçon & Buffet, 36. liures 8. sols.
A S. Hustache.
Par Mesdames Cartier & Viot. 1403 liures 11. sols.
A Sainct.
Par Madame 49. l. 16. s.
A S. Mederic.
Par Mesdames de Champigny & Boissy, 1035. liures.
A S. Symphorien.
Par Madamoiselle de Choysy, 24. liu.
E iij

72 Relat. des voyages d'Alger en Barbarie.
A S. Landry.
Par Madame Godefroy. 103. l. 12. s.
A Sainct
Par Madame 33. l. 10. s.
A Sainct Roch.
Par Madame de Mauroy, 539. liu.
A S. Germain le Vieil.
Par Mesdames Prouanchere & Poquelin, 94. l. 5. s.
A S. Christophe.
Par Madame 35. liu.
A S. Nicolas du Chardonnet.
Par Madamoiselle Lamy, 163. l. 5. s.
A Sainct Iosse.
Par Madame Melian, 59. liu. 6. s.
A sainct Barthelemy.
Par Madame de la Porte. 138 l. 9. s.
A sainct Germain de l'Auxerrois.
Par Mesdames Chaumont & Cauault, 866. liures 2. sols.
A sainct André des Arts.
Par Mesdames de Chasteau Vieux & Coigneux, 1036. liu.
A sainct Geruais.
Par Mesdames le Roux & le Febure, 700. liures 5. sols.
A sainct Iean le Rond.
Par Madame la Comtesse Blain, 286. l. 6. s.

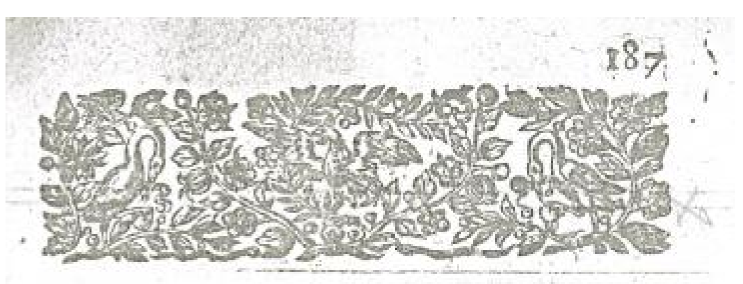
Seconde Partie. 73
A sainct Leu sainct Gilles.
Par Madamoiselles Desbordes, 65. l.
A sainct Iacques de la Boucherie.
Par Mesdamoiselles Goussilion & Barbier, 169. liures.
A sainct Laurens.
Par Mesdames la Ramée & le Roy, 49.
A sainct Benoist.
Par Madame de la Noue, 177. liu.
A sainct Louys en l'Isle.
Par Mesdames Foras & la Grange, 250. liures 7. sols.
A sainct Seuerin.
Par Mesdamoiselles Noël & Metiuier, 170. liures.
Si la ville de Paris s'est monstrée zelée à contribuer à vn si haut œuure, & seconder les saintes intentions de son incomparable Princesse celles de la compagnie ne luy ont voulu ceder en rien. Le Chapitre Royal & ville de S. Quentin furent les premieres qui donnerent les mains à cette entreprise & à leur exemple, la Prouince de Picardie s'efforça d'estre prodigue où ils n'auoient paru que liberaux.
Messieurs du Parlement de Dijon approuuerent en Corps par leurs liberalitez

ملحق رقم 10:

حملة لجمع التبرعات المالية بأمر ملكي عبر قرى باريس لصالح آباء الثالوث المقدس لافتداء الأسرى المسيحيين بالجزائر.

- Lucien Herault, Les victoires de la charités, pp. 70 - 73.

187



Catalogue des François Captifs racheptez en Alger l'an 1643. par le Reuerend Pere Lucien Herault, & arriuez à Paris le 20. Septembre de la meſme année.

QVentin Vatel Pariſien de la paroiſſe de ſainct Leu ſainct Gilles.
Michel de la Ville auſſi Pariſien de la meſme paroiſſe.
Le Sieur Iacques Roger de Monainuille natif d'Orleans.
Le Sieur Iean Barbier de Rouen.
Le Sieur Deſcures, de Rouen.
Thomas Moiſſon de Dieppe.
Iean Tremois d'Honfleur.
Iean Guillaume de Chaſtelleraut.
Le Sieur des Bois de la Fleche.
Iacques Piliat de la Rochelle.
Thomas Barré de S. Vailly en Caux.

ملحق رقم 11:

قائمة الأسرى الفرنسيين المفتديين بالجزائر من طرف الأب « Lucien Hérault » في 20 سبتمبر 1643 م.

- Lucien Herault, <u>Les victoires de la charités</u>, pp. 70 - 73.

Iean Millet de Granuille.
André Poiret dit la garanne de Sainct Euroux en Normandie.
Louis Guerin de la Rochelle.
Pierre Boiuin dit la Cour de Limoges.
Louis Audiere d'Olleron.
Le Sieur Martin d'Aruſtigny de S. Iean de Lus.
Le Sieur des Croix de Sainct Malo.
Le Sieur Auzerel de la Rochelle.
Le Sieur Eſtienne le Breton de S. Malo.
Iean Carol, dit la Croſſe, de S. Paul de Leon.
Le Sieur Iean Arſon de Sainct Malo.
Iean le Gouuerneur, de Sainct Malo.
Pierre le Moine de S. Malo qui mourut ſur mer au retour.
Philippes Rapion de Nantes.
Guillaume Parcot de S. Brieu.
Pierre Iobin de S. Brieu.
Iacques de Beaubras, de S. Malo.
Yuon Cheualier de S. Malo.
Nicolas Hervé, de S. Malo.
Simon Pierre, de S. Malo.
Antoine Quinſon.
Louis Rabbaron.
François du Montet.
Charles Nattes.
} de Marſeille.

Antoine Lieutaut.
Maiſtre Vincent.
Alexandre Goiram.
Iean Martin.
Pierre Rouland,
} de Marſeille.
François Buez de Digne.
Iean Faure d'Arles.
Paul Orlandi, de la meſme ville.
Iacques Treal, de Morlais.
Dominic de Hyriad, de Bayonne.
Zacharie Colinet, d'Ollone.
Iean Laurent, auſſi d'Ollone qui mourut en Alger, huict iours apres ſon rachat par le mauuais traittement & à force des coups que ſon patron Turc luy auoit fait ſouffrir.

بقية الملحق

190

Autre Catalogue des Captifs rachaptez audit Alger l'an 1645. par ledit R. P. Lucien Herault, contenant les noms tant de ceux qui arriuerent à Paris le dix Aoust de la mesme année que de ceux qui ont esté arrestez pour le droict des Portes.

Ceux qui arriuerent à Paris sont.

LE Reuerend Pere Anaclet de Laſſay,
Le R. P. Theophile de Rennes,
Le Frere Hilarion de Roſcof, Capucins.
Le ſieur du Sauzay.
La Damoiſelle Renée Iourdart ſa femme,
Ieanne Fouché ſa ſeruante, de Nantes.
Le Baron de la Tour de Courpon de Sens, eſchangé pour Negrille Capitaine Turc.
Michel Boiuin, Eueſché de Coutances.

191

Iean Thomas,
Barthelemy Aubert,
Iulien Hingart, } de S. Malo.
Guillaume le Tural,
Oliuier Creſté,
Michel de la Borde, de Bayonne.
Pierre Suard,
Guillaume Roman,
Laurens Breau,
Iean François Martin, } de Marſeille.
Remond Daleter,
Touſſainct Michel,
Louis Braſſié.
Alexandre Potier, de Lizieux.
Pierre Calauir, d'Aix.
Patron Paul Laures d'Antibes.
Antoine Alaud, de Dauphiné.
Gabriel Garnier, de Nantes.
Pierre Aubaneaux, d'Antibes.
Le ſieur Claude Filand de S. Benoiſt ſur Loire.
Michel Poiteuin, de Quilbœuf
Patron Michel Barré, } de l'Iſle de Ruis
Sebaſtien Cauſic, } Eueſché de Vannes.
Iacques Fromantin, } de Dieppe.
Pierre le Ieolle,
Iacques le Roux, de Gerſé.

ملحق رقم 12:

قائمة الأسرى المحررين بالجزائر في 10 أوت 1645 م من طرف « P. Lucien » تتضمن أسماء المتوجهين إلى باريس بالإضافة إلى قائمة الذين منعوا من المغادرة بسبب عدم دفع الحقوق المالية.

- Lucien Herault, Les victoires de la charités, pp.190 - 195.

192

Estienne Poyard, de S. Chaumont en Forest.
Laurens Boyer, de Liolle.
Barthelemy Aubaneaux, d'Antibes.
Pierre Coppin, de Lion.
Iean Seboin, des sables.
Pierre le Cheualier, de S. Brieuc.

Le reste de cétte trouppe de cinquante se dispersa sur les chemins en quittant leurs Conducteurs, de telle sorte que l'on n'a peu recouurer leurs noms pour estre inserez au present Catalogue : & les noms de ceux qui suiuent sont ceux qui restent en Alger, *Sçauoir*,

Le Reuerend Pere Anselme Dauid Religieux de S. François, des Sables.
La Damoiselle Paul Olandy, } d'Arles.
La Damoiselle Olandy sa fille }
Pierre d'Alger enfant d'vn an & demy, qui fut rachepté à l'anchere d'vne Tagarine qui le vouloit mener aux montagnes pour le faire esleuer dans sa loy.
Deux autres petits enfans.
Louis Tanquerel, } de Coutance.
Martin Helaine, }
Noel Lesné, }
Pierre le Roux, }

Estienne

193

Estienne l'Abbé, de Coutance.
François Iourdanot aagé de dix ans, frere de la Damoiselle du Sauzay.
François Filland,
Nicolas Filland son frere enfans du sieur Filland.
Thomas la Trutte, } Euesché de S. Malo
Iean Salomon, }
Robert Cadelay, }
Pierre Hubert, }
Michel Cadossi, }
Iean Baussot, }
Iean le Corre, Bas-Breton Daudiere.
Iean Rolland, de Morbian.
Iean Bourdic, du Croisic.
René Rouuaux, de S. Lazare.
Pierre le Marec, } de l'Isle de Ruis.
Iean le Quel, }
Iean le Corre, }
Guillaume Coluar de Morbian.
Louis Helaine, de Granuille.
Gabriel Escoubat, de la Tremblade.
Robert Tibaudeau } Euesché de Lizieux.
Guillaume Potier, }
Abraham Safray, }
Iacques Celier, }
Pierre Restout, }
Pierre Blandin, dit S. Hilaire, d'Orleans.

N

194

Philippes Poyrier, d'Orleans.
Iean Colon, Doriol.
Gerault la Fonte, de Cahors en Quercy.
Iean Ricman, de Dieppe.
Iean du Mas, de Cassis.
Antoine la Plaise, de Cahors en Quercy.
Pierre Priuois, } du Havre de Grace.
Iean Iouan, }
Estienne de la Marre, }
Iean Tardif, }
Pierre Boquet, }
Iean Fromantin, de Dieppe,
Guillaume Colleuille, de Caen.
Iacques Fort, de Bordeaux.
Pierre Chesneau, de la Rochelle.
Pierre Gerault, de saincte Coloigne proche Lion.
Iean le Barbier, de Nantes.
Barthelemy Sicard, } d'Arles.
Pierre Souche, }
Maurice du Crey, }
Balthasard Gaureau, de Marteques.
Pierre Sicard, dit Licenciado, de Vitré.
Iean Perron, de Roüen.
Iean Arnout, de Ionsac.
Iacques le Breau, de la Rochelle.

195

Pierre le Cheualier, de S. Brieuc.
Iean Sebrin. } des Sables.
Pierre Reguin. }
Nicolas Robin. }
Toussainct Michel, de Marseille.
Iean Potier dit la Sonde, de Valon au Maine.
Iean Aubert. } de Dinan.
Thomas la Troutte. }
Baltazard Baureau, de Martegues.
Iean Couleaux.

On ne peut au vray sçauoir les noms de tous les Captifs qui furent racheptez, tant à cause du changement qu'aporta la mort de nostre Redempteur d'Esclaues, que la contrainte où se virent reduites vne partie de ses gens de se retirer dans les montagnes pour éuiter d'estre reuendus, & pour la liberté desquels nostre Congregation est engagée de la somme de dix-neuf mil liures, qui attend à Marseille l'occasion fauorable d'estre employée pour ceux pour lesquels nostre Reuerend Pere Lucien à volontiers perdu la liberté de la vie.

F I N.

بقية الملحق

ALGER

P.iij.

Thomas Fourderin, natif de Paris, âgé de cinquante-trois ans,

Guillaume Odouard, natif d'Irlande, âgé de cinquante-six ans, esclave sept ans.

Nicolas Gueppe, natif de Lille en Flandres, âgé de quarante-trois ans, esclave sept ans.

Jean Bernard Hilt, natif de Stinnel, diocèse de Spir, âgé de quarante-trois ans, esclave six ans.

Claude-Joseph Bourderon, natif de Lyon, âgé de vingt-neuf ans, esclave six ans quatre mois.

Piv

Pierre Canot, natif d'Auvergne, diocèse de Saint-Flour, âgé de cinquante ans, esclave vingt-cinq ans.

Pierre Truite, de Saint-Séve, diocèse de Torbez, âgé de cinquante ans, esclave sept ans.

Augustin Autembac, natif de Landau, âgé de quarante ans, esclave trois ans.

Jean Pedre, natif d'Ostende, âgé de vingt-un ans, esclave un an et quatre mois.

Louis Prial, natif de Brianson, âgé de vingt-cinq ans, esclave quatre ans.

Julien Gassan, natif de Limbourg, âgé de trente-sept ans, esclave quatre ans.

Silvain Godet, natif de Château en Berry, diocèse de Bourges, âgé de soixante-sept ans, esclave trente-cinq ans.

Jacques de La Haye, natif du Puy, Notre-Dame en Poitou, âgé de trente-cinq ans, esclave deux ans.

P.v.

André Faller, natif de Colmar, âgé de trente ans, esclave deux ans.

Julien Basnier, natif de Saint-Malo, âgé de vingt-sept ans, esclave un an et quatre mois.

Michel Calé, natif d'Abbeville, diocèse d'Amiens, établi à Gand, âgé de cinquante ans, esclave dix ans.

André Cati, natif d'Edin, diocèse de Saint-Omer, âgé de trente-sept ans, esclave trois ans.

Hyacinthe Robert, natif de Toulon, âgé de trente ans, esclave dix ans.

Adam Mager, natif de Dijon, âgé de quarante-sept ans, esclave deux ans et six mois.

Jacques Vanfler, natif du diocèse de Bruges, âgé de vingt-huit ans, esclave quatre ans.

ملحق رقم 13:

قائمة الأسرى الفرنسيين المفتدين من طرف آباء الثالوث المقدس سنة 1725 م.

- DE LA FAYE (Jean) et autres, p. 158.

Joseph Gontar, natif de Marseille, âgé de trente-cinq ans, esclave dix ans.

Antoine Pitre, natif d'Ostende, diocèse de Bruges, âgé de vingt-huit ans, esclave un an et quatre mois.

Michel Maïr, natif de Mayence, âgé de 60 ans, esclave 11 ans.

P.vj.

Jacques Mercier, natif de Calais, âgé de cinquante-deux ans, esclave un an et quatre mois.

Jacob de Wiche, natif de Dunkerque, âgé de vingt-neuf ans, esclave un an.

Jean Linglet, natif d'Ostende, âgé de vingt-quatre ans, esclave un an et quatre mois.

Jean-Charles Job, natif de Landau, âgé de trente-cinq ans, esclave deux ans et trois mois.

Dominique Jangeme, natif de Messine, âgé de soixante ans, esclave vingt-cinq ans.

Antoine Ybres, natif d'Ostende, âgé de quarante-deux ans, esclave deux ans.

Christan Ben, natif de Dunkerque, âgé de vingt-huit ans, esclave sept ans.

Pierre Vallouard, natif d'Ostende, âgé de dix-neuf ans, esclave un an et quatre mois.

Bernard Orbec, natif d'Ostende, âgé de seize ans, esclave un an et quatre mois.

Pvij

François Carton, natif d'Ostende, âgé de vingt ans, esclave un an et quatre mois.

Jean Casa-Neuve, natif de Clérac, diocèse d'Agen, âgé de trente-neuf ans, esclave dix ans.

Joseph Olivier, natif de Palmes, âgé de vingt-huit ans, esclave deux ans et six mois.

Pierre Blocq, natif de Dunkerque, âgé de vingt-trois ans, esclave un an et quatre mois.

Dominique Bernard, natif de Genes, âgé de quarante ans, esclave dix ans.

Hyacinte Bertouge, natif de Genes, âgé de quarante-cinq ans, esclave dix ans.

Jean Georges, natif de Naples, âgé de quarante-deux ans, esclave onze ans et six mois.

Jean Las, natif de Copenhague, âgé de soixante-dix-sept ans, esclave quarante-un ans.

Matthieu Ben, natif d'Amsterdam, âgé de cinquante-sept ans, esclave cinq ans.

P.viij.

Nicolas Couri, diacre, natif de Laodicée, âgé de cinquante ans, esclave dix ans.

Melchior Masso, natif du diocèse de Grasse, âgé de quarante-neuf ans, esclave dix ans.

Claude Le Clerc, natif de Nantes, âgé de vingt-un ans, esclave un an et quatre mois.

Pierre Marin, natif de Rennes, âgé de trente-cinq ans, esclave un an.

Joseph d'Albanson, natif de Modene, âgé de vingt-huit ans, esclave cinq ans.

LISTE

DES Captifs François rachetés dans le Royaume d'Alger le mois d'Octobre 1750. par les RR. PP. Jacques HOULLIER, *& Melchior* HERAUD, *députés de l'Ordre Royal & Militaire de Notre-Dame de la* MERCY, *institué pour la Rédemption des Captifs.*



LE R. P. Gaetano AGUILLON, Religieux de l'Observance, de la Province de Provence, âgé de 35 ans, Esclave depuis deux ans, Profès de la Maison d'Aix.

M. François RICAUD, Ingénieur, & Lieutenant Colonel au service d'Espagne, âgé de 46 ans, Esclave depuis deux ans & demi, de la Ville d'Antibes, Diocèse de Grasse, avec Madame son Epouse.

M. le Chevalier François DUMOLAN, de la Paroisse de Saint Etienne de Rennes en Bretagne, âgé de 31 ans, Esclave depuis quatre ans, sous le nom d'EMION.

Jacques Giraud, âgé de trente ans, Esclave depuis quatre ans, de la Paroisse de Notre-Dame de Bandol, Diocèse de Marseille.

Pierre Flory, âgé de vingt-cinq ans, Esclave depuis quatre ans, de la Paroisse de Cannes, Diocèse de Grasse.

Marc Jean, âgé de vingt-deux ans, Esclave depuis cinq ans, de la Ville d'Apt.

Honoré Vian, âgé de quarante ans, Esclave depuis quinze ans, de la Paroisse de Pelissanne, Diocèse d'Aix.

Lazare Isoard, âgé de trente ans, Esclave depuis six ans, de la Paroisse de Trets, Diocèse d'Aix.

François Chaix, âgé de cinquante-cinq ans, Esclave depuis sept ans, de la Paroisse de S. Louis du Martigues, Diocèse d'Arles.

Antoine Mathon, âgé de vingt-sept ans, Esclave depuis quatre ans, de la Paroisse de S. Ambroise, Diocèse d'Uzez.

Jean-Baptiste Cavalier, âgé de vingt-sept ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de Canaule, Diocèse de Nîmes.

Louis Bousquet, âgé de trente-six ans, Esclave depuis quatre ans, de la Paroisse de Notre-Dame de la Ville de Montpellier.

o

Jean-Baptiste Coquenas, âgé de vingt-huit ans, Esclave depuis huit ans, de la Paroisse de S. Denis de la Ville de Montpellier.

Jean Dumas, âgé de quarante-deux ans, Esclave depuis sept ans & demi, de la Ville de Lunel, Diocèse de Montpellier.

Pierre Siau, âgé de trente-quatre ans, Esclave depuis sept ans, de la Paroisse de Saint Martin de Limoux, Diocèse de Narbonne.

André Maillen, âgé de trente-trois ans, Esclave depuis quatre ans, de la Paroisse S. Michel de la Bastide, Diocèse de Perpignan.

Antoin Marsal, âgé de trente-six ans, Esclave depuis quatre ans, de la Ville d'Arles en Villespy, Diocèse de Perpignan.

Pierre Monmejan, âgé de quarante ans, Esclave depuis quatorze ans de la Paroisse de S. Michel de Toulouse.

Guillaume Roubi, âgé de cinquante-huit ans, Esclave depuis deux ans, de la Paroisse de S. Etienne de Toulouse.

Rose Garrigue, âgée de cinquante-huit ans, Esclave depuis deux ans, femme à Guillaume Roubi.

Guillaume Sarran, âgé de trente ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de Cologne, Diocèse de Lombez.

Jean Bebian, dit La Ramée, âgé de cinquante-huit ans, Esclave depuis dix-huit ans, de la Paroisse de Leribos, Diocèse de Cahors.

Benoît Robert, âgé de trente-huit ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de Dalmeirat, Diocèse de Cahors.

Jean Francinon, âgé de cinquante ans, Esclave depuis quatre ans, de la Paroisse de S. Martin de Redon, Diocèse de Cahors.

Joachim Lespiau, âgé de trente-deux ans, Esclave depuis dix ans, de la Paroisse de Cazeres, Diocèse de Rieux.

Michel Moret, âgé de trente ans, Esclave depuis six ans, de la Paroisse Desplats, Diocèse de Couserans.

Jean-Jacques Ayet, âgé de vingt-cinq ans, Esclave depuis trois ans, de la Paroisse de Montané, Diocèse de Tarbe.

Jean Darrabiat, âgé de vingt-un ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de Saint Jean de Campa, Diocèse de Tarbe.

Jean Santex, âgé de trente-neuf ans, Esclave depuis dix-huit ans, de la Paroisse de Barcom, Diocèse d'Auch.

Joseph Albingue, âgé de trente-trois ans, Esclave depuis huit ans, de la Paroisse de Clognac, Diocèse de Rhodès.

Jean Poussin, âgé de quarante-un ans, Esclave depuis huit ans, de la Paroisse de Polrance, Diocèse de Rhodès.

Jean Brameri, âgé de trente-cinq ans, Esclave depuis quatre ans de la Paroisse de Gleizac, Diocèse de Rhodès.

Antoine Gazé, âgé de quarante-six ans, Esclave depuis huit ans, de la Paroisse de Combliés, Diocèse de Rhodès.

Jean-Jacques Forcau, âgé de trente-deux ans, Esclave depuis onze ans de la Paroisse de la Magdeleine de la Ville de Beziers.

Antoine Fagaral, âgé de trente-cinq ans, Esclave depuis huit ans de la Paroisse de Monjazes, Diocèse de Rhodès.

Jean Thomas, âgé de trente ans, Esclave depuis deux ans, de la Paroisse de S. Michel, Diocèse de Bazas.

Pierre Grenier, âgé de trente-quatre ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de S. Pierre de Bordeaux.

Jean Pinteau, âgé de cinquante ans, Esclave depuis dix-huit ans, de la Paroisse de Lera, Diocèse d'Angoulême.

Pierre Lilé, âgé de cinquante-quatre ans, Esclave depuis quatorze ans, de la Paroisse de S. Martial de la Ville d'Angoulême.

Jean Leroy, âgé de quarante ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de l'Arrilion-Chabaud, Diocèse de Xaintes.

Pierre Montauban, âgé de vingt-cinq ans, Esclave depuis cinq ans, de de la Paroisse de Coignac, Diocèse de Xaintes.

Etienne Rousseau, âgé de trente-six ans, Esclave depuis sept ans, de la Paroisse de S. Nicolas de la Rochelle.

Pierre Dubois, âgé de quarante-cinq ans, Esclave depuis neuf ans, de la Paroisse de la Tranblade, Diocèse de la Rochelle.

Jean Brunet, âgé de quarante-un ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de S. Marc, dans le Pays d'Aunix, Diocèse de la Rochelle.

Jean Darse, âgé de trente-cinq ans, Esclave depuis deux ans, de la Paroisse de Bardos, Diocèse de Bayonne.

Jean Duparc, âgé de quarante-quatre ans, Esclave depuis dix-sept ans, de la Paroisse de S. Etienne, Diocèse de Rennes.

Jean Brossay âgé de trente ans, Esclave depuis dix ans, de la Paroisse de Vienvic, Diocèse de Rennes.

Jacques Pujol, âgé de trente-huit ans, Esclave depuis six ans, de la Paroisse de Francesca, Diocèse de Condom.

Arnaud Cazeneuve, âgé de vingt-huit ans, Esclave depuis cinq ans, de Dax.

Jean Lexconte, âgé de vingt-six ans, Esclave depuis quatre ans, de la Paroisse de Sauveterre, Diocèse d'Oleron.

Joseph Paillet, âgé de vingt-quatre ans, Esclave depuis trois ans, de la Paroisse de Bedouc, Diocèse d'Oleron.

Jean Cartor, âgé de trente-cinq ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de Verdec, Diocèse d'Oleron.

Bernard Pilory, âgé de vingt-quatre ans, Esclave depuis six ans, de la Paroisse d'Enay, Diocèse de Lescar.

Jean Pourteau, âgé de vingt-six ans, Esclave depuis sept ans, de la Paroisse de Grosse, Diocèse de Lescar.

Jean Delpiau, âgé de trente-huit ans, Esclave depuis six ans, de la Paroisse de Boil, Diocèse de Lescar.

François Inguant, âgé de quarante-huit ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de Venegri, Diocèse de S. Malo.

Jean Lamorcque, âgé de trente-sept ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse d'Aslangue, Diocèse de Dax.

8

Guillaume Dubois, âgé de trente-sept ans, Esclave depuis quatre ans, de la Paroisse de S. Saturnin de Nantes.

Pierre Fontaine, âgé de vingt-six ans, Esclave depuis cinq ans, de la Paroisse de la Taille, Evêché d'Annecy.

Bernard Sane, âgé de vingt-six ans, Esclave depuis six ans, de la Paroisse de S. Ambroise de la Riviere de Gennes, pris à la Calle.

Pierre Cheriés, âgé de vingt-cinq ans, Esclave depuis six ans, de la Paroisse de Saint Michel de Mantoue, pris à la Calle.

Augustin Selle, âgé de vingt-huit ans, Esclave depuis six ans, de la Calle.

Jean-Baptiste Sel, âgé de trente-deux ans, Esclave depuis six ans, de la Paroisse de Tabarque, pris à la Calle.

Barthelemi Buze, âgé de cinquante-un ans, Esclave depuis six ans, de la Paroisse de Tabarque, pris à la Calle.

Jean-François de Pirée, âgé de trente-neuf ans, Esclave depuis douze ans, de Cagliary en Sardaigne, & fils d'un François.

Ces six derniers ont été pris au Service de la France.

M. Jean-Baptiste MICAULT DE FOLLEVILLE, de Lamballe, Diocèse de S. Brieux, âgé de vingt-un ans, a été racheté à Alger le mois de Janvier dernier.

ملحق رقم: 14

قائمة الأسرى الفرنسيين المحررين بالجزائر في أكتوبر 1750 م من طرف آباء الرحمة.

أرشيف قسنطينة (37778/D)

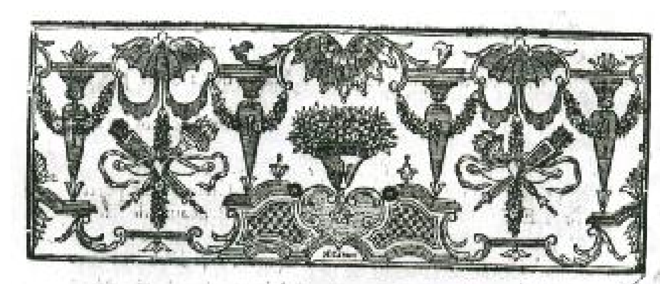
Permis d'imprimer & distribuer, à la charge d'enregistrement à la Chambre Syndicale, ce 5. Décembre 1750.

BERRYER.

Registré sur le Registre de la Chambre Royale & Syndicale des Libraires & Imprimeurs de Paris. A Paris ce 7. Décembre 1750.

LE GRAS, *Syndic.*

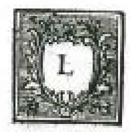
De l'Imprimerie de C. F. SIMON, Fils, Imprimeur de la REINE & de l'Archevêché, rue des Mathurins. 1750.



ORDRE

DE LA PROCESSION ET DE LA MARCHE des soixante-six Captifs rachetés dans le Royaume d'Alger, au mois d'Octobre 1750, par les Religieux de l'Ordre Royal & Militaire de Notre-Dame de la Mercy, institué pour la Redemption des Captifs.

QUI se fera Mercredy prochain neuviéme de Décembre & les deux jours suivans. Le Mercredi 9 Décembre, de l'Eglise des RR. PP. Capucins du Marais à Notre-Dame. Le Jeudi 10, à l'Eglise des Dominicains de la rue S. Dominique. Le Lundi 14, aux Dominicains de la rue S. Honoré.



ES Religieux de la Mercy, accompagnés des Confreres & Chevaliers de la Confrerie Royale de Jérusalem, sortiront de leur Eglise le 9, à neuf heures du matin, pour se rendre en celle des RR. PP. Capucins du Marais, où doivent se trouver tous leurs Captifs, & marcheront ensuite processionnellement pour se rendre en l'Eglise Cathedrale & Métropole, dans l'ordre qui suit.

A

2

Messieurs les Officiers, Gardes & Instrumens de la Ville placés dans l'ordre que M. l'Aide-Major de la Ville jugera convenable.

La Banniere de Notre-Dame de la Mercy, accompagnée de deux Anges qui en tiendront les cordons.

Le Suisse de l'Archiconfrerie Royale de Jérusalem.

La Croix de ladite Confrerie & les deux Chandeliers portés par des Ecclesiastiques, precédés des deux Bedeaux de ladite Confrerie. Le Bâtonnier de ladite Confrerie revêtu de son habit de Cérémonie, le Syndic, & les quatre Administrateurs en Charge, le Guidon porté par un Confrere, tous les anciens Syndics & Administrateurs & les autres Confreres, tous en habit noir, sur deux colonnes, & tenant chacun la Palme à la main.

Après ladite Confrerie quatre Tambours des Mousquetaires, la Banniere de la Rédemption accompagnée de deux Anges qui en tiendront les Cordons.

Les Captifs l'un après l'autre portant chacun les marques de leur Captivité & accompagné de deux Anges à leurs côtés; au milieu des Captifs sera porté par un Gentilhomme richement habillé le Guidon de la Redemption, & à la fin des Captifs marcheront deux Gentilhommes & un Religieux Cordelier, tous trois aussi Captifs, & ayant chacun quatre Anges à leurs côtés.

A la suite desdits Captifs marcheront les deux Redempteurs tenant chacun la Palme à la main, & suivis de quatre Anges.

Après les Redempteurs un Timballier, quatre Trompettes & huit Haut-bois de la Maison du Roi.

Ensuite la Croix & les Chandeliers des Religieux de la Mercy, une figure de la Sainte Vierge, au pied de laquelle sont deux Esclaves d'argent, & autour de laquelle seront huit flambeaux revêtus des armes de l'Ordre.

Après, le Clergé séculier suivi de vingt-quatre Musiciens & des Religieux, tous marchant sur deux colonnes, & chantant les Pseaumes 113 *In exitu*, & 125 *In convertendo*.

Ladite Marche sera fermée par un détachement des Officiers & Gardes de la Ville.

C'est dans cet ordre que ladite Procession sortira le Mercredi 9 de ce mois, de l'Eglise des RR. PP. Capucins du

ملحق رقم:15

نموذج من المواكب التي تقام عقب نجاح عمليات الفداء من طرف آباء تنظيم الرحمة (أكتوبر 1750 م).

أرشيف ولاية قسنطينة (37778/D).

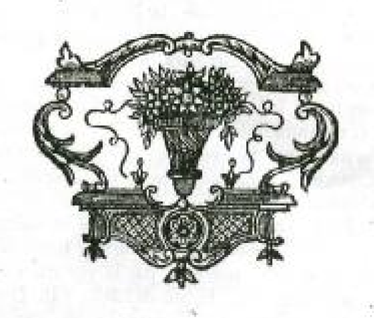
Marais, & ſuivant la rue d'Orléans, paſſera par les rues de Poitou, de l'Oſeille, de S. Louis, & entrera dans la Place Royale par le côté gauche, pour en faire le tour juſqu'à la rue Royale par où elle ſortira pour entrer dans la rue S. Antoine qu'elle ſuivra juſqu'à la rue de Fourcy par laquelle elle continuera ſa marche le long des Ponts Marie, la Tournelle, le Quai Miramion, par la rue des Bernardins, la Place Maubert, la rue Galande, le Petit Pont, rue Notre-Dame, & l'Egliſe Métropole, où après avoir chanté une Antienne à la Vierge, elle reſſortira par la même Porte, & paſſera par la rue Notre-Dame, le Pont Notre-Dame, la rue des Arcis, S. Martin, de la Verrerie, Bar-du-Bec, Sainte Avoye, de Braque, & rentrera dans l'Egliſe de la Mercy, où il y aura un *Te Deum* chanté par la Muſique, après lequel ſera donnée la Bénédiction du S. Sacrement qui y ſera expoſé les trois jours au Salut ſeulement.

Le Jeudi 10, la Proceſſion dans le même ordre que le jour précédent ſortira de l'Egliſe des Peres de la Mercy à huit heures du matin, tournera par la rue du Paradis, & continuera ſa route vers l'Egliſe des RR. PP. Dominicains de la rue S. Dominique où elle fera ſtation, par la vieille rue du Temple, rue S. Antoine, Place Baudoyer, Arcade S. Jean, Quai Pelletier, rue de Gêvres, Quai de la Mégiſſerie, Pont-Neuf, Quai Conti, & des Quatre Nations, Quai des Théatins, rue du Bacq, rue S. Dominique, & aux Dominicains où ils chanteront l'Antienne du Patron, & une Meſſe en Muſique.

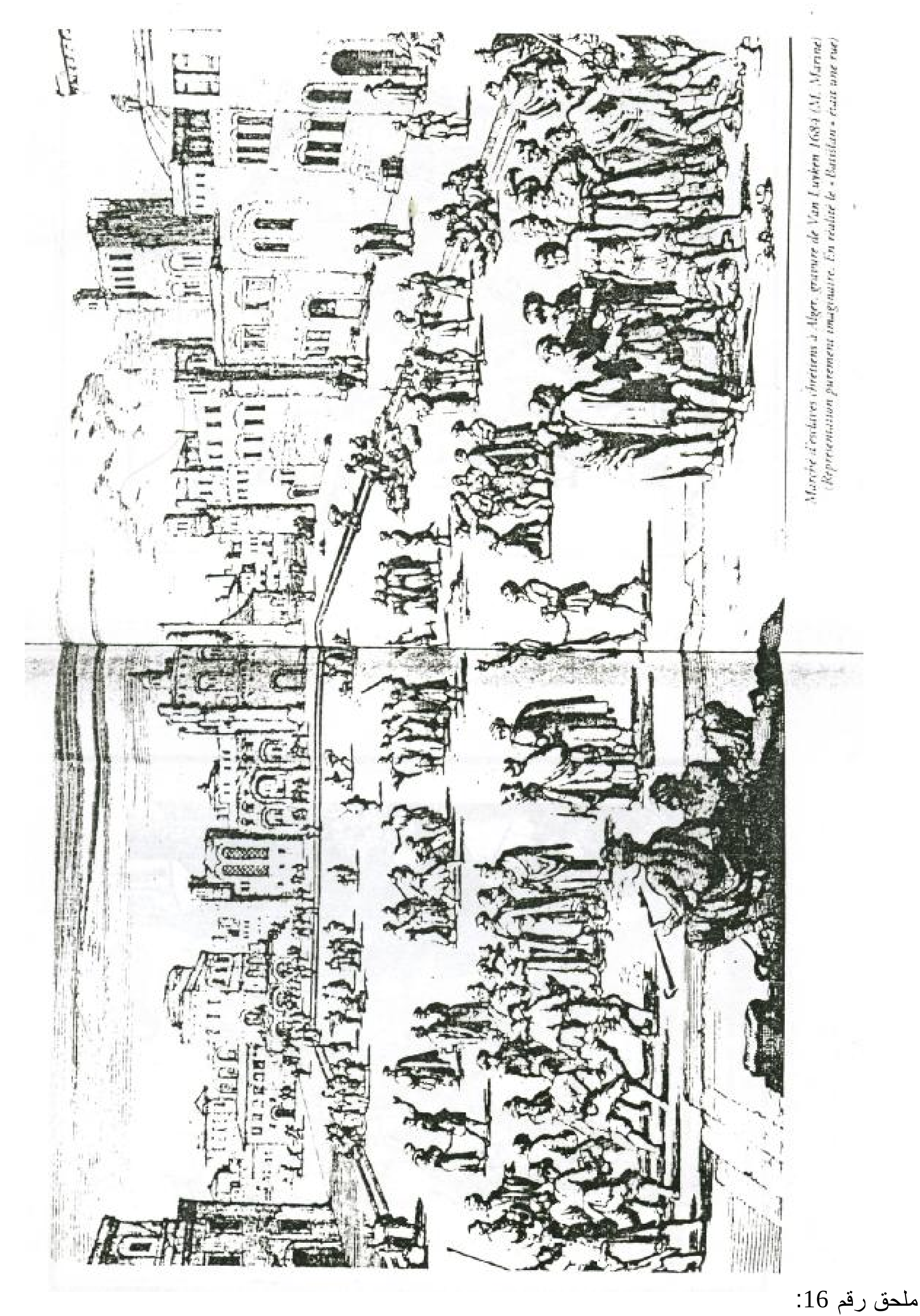
Après la Cérémonie faite la Proceſſion ſortira par la rue du Bacq, pour gagner la rue de Grenelle qu'elle ſuivra juſqu'à la Croix Rouge, & entrera dans la rue du Four, rue de Buſſi, rue S. André des Arts, Pont S. Michel, Pont au Change, par le Grand Châtelet, rue S. Denis, rue Aubry-le-Boucher, rue neuve S. Merry, rue Sainte Avoye, des Blancs-Manteaux, rue du Chaume, & rentrera dans l'Egliſe deſdits Religieux, où il y aura Salut & Bénédiction du S. Sacrement.

Lundi 14, la Proceſſion toujours dans le même ordre ſortira de l'Egliſe de la Mercy à huit heures préciſes du matin, & ſe rendra dans l'Egliſe des RR. PP. Dominicains de la rue S. Honoré, par les rues du Grand Chantier, des Au-

driettes, Michel-le-Comte, Grenier S. Lazare, aux Ouës, S. Denis, la Ferronnerie, S. Honoré, & de-là aux Jacobins, où après l'Antienne du S. Patron, ils chanteront une Meſſe en Muſique; après laquelle la Proceſſion reprendra la rue S. Honoré juſqu'à la Place de Vendôme qu'elle traverſera, & continuera ſa route par la rue des Petits Champs, Place des Victoires, la rue des Foſſés Montmartre, rue neuve S. Euſtache, & les rues du Petit Carreau, Montorgueil, Thevenot, S. Denis, Greneta, S. Martin, Jean-Robert, des Gravilliers, Paſtourelle, Grand Chantier, & de-là dans l'Egliſe de la Mercy, dans laquelle cette ſolemnité ſe terminera par le Salut & la Bénédiction du S. Sacrement.



بقية الملحق



ملحق رقم 16:

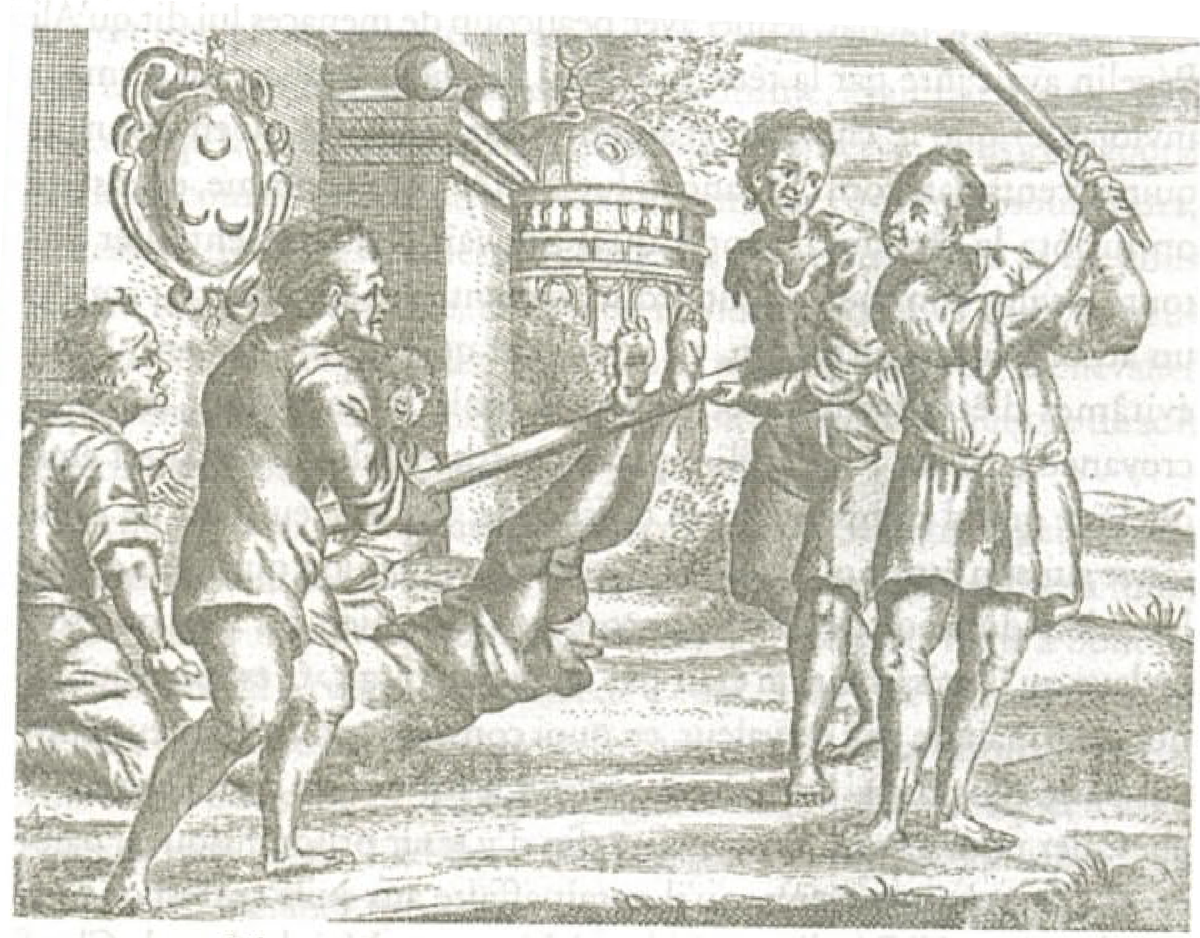
صورة متخيلة لسوق الرقيق (البادستان) بمدينة الجزائر سنة 1684 م

- Mascarenhas, <u>Esclave à Alger</u>, pp. 119 - 220.



ملحق رقم 17:

العقوبات المطبقة على الأسرى المسيحيين في الجزائر كما صورها الأب "دان".



Falaque infligée à un esclave. Cliché Bibliothèque nationale, Paris.

205

ملحق رقم 18:

معاقبة الأسرى في الجزائر (الفلقة) كما صورها الأسرى و مفتديي الأسرى



Esclave à Alger, vers 1690 (B.N.)

ملحق رقم 19:

صورة لأسير مسيحي في الجزائر مكبل بالسلاسل الحديدية 1690 م

- Mascarenhas, Esclave à Alger, p. 226.

The manner of Turkish tyrannie over Christian slaves.

A
RELATION
OF
SEAVEN YEARES
SLAVERIE VNDER THE
Turkes of *Argeire*, suffered by an
English Captive Merchant.

Wherein is also conteined all memorable Passages, Fights, and Accidents, which happined in that Citie, and at Sea with their Shippes and Gallies during that time.

Together with a Description of the sufferings of the miserable Captives under that mercilesse Tyrannie.

Whereunto is added a Second Booke conteining a Discription of *Argeire*, with its Originall, manner of Government, Increase, and present flourishing Estate.

—Per tot discrimina rerum
Tendimus in Patriam.—

BY FRANCIS KNIGHT.

LONDON,
Printed by *T. Cotes*, for *Michael Sparke Junior*, and are to be sold at the signe of the blue Bible in *Greene Arbour*. 1640.

ملحق رقم: 20
عقاب الأسرى في الجزائر كما صوره « Francis Knight »